علم التاريخ

نشأته وتطوره ووضعه بين العلوم الأخرى ومناهج البحث فيه

تأليف
دكتور شوقى الجمل
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
ورئيس قسم التاريخ بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية
بجامعة القاهرة



الناشر
المكتب المصرى لتوزيع المطبوعات
ت : ٢٥٦٧٦٥٩

علم التاريخ

نشأته وتطوره ووضعه بين العلوم الأخرى
ومناهج البحث فيه

تأليف

دكتور شوقي الجمل

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
ورئيس قسم التاريخ بمعهد البحوث والدراسات
الأفريقية
بجامعة القاهرة

الناشر

المكتب المصرى لتوزيع المطبوعات

ت : ٢٥٦٧٦٥٩

إسم الكتاب

علم التاريخ

دار النشر

المكتب المصرى لتوزيع المطبوعات

ت : ٢٥٦٧٦٥٩

رقم الإيداع

٢٨٩٥ / ٩٧

الترقيم الدولى

I.S.B.N

977 - 19 - 2131- 0

مقـــدمة

حاولنا فى هذا الكتاب الذى نقدمه للباحثين فى مجال التاريخ أن نعالج موضوعين مترابطين ومتكاملين يصعب فصل أحدهما عن الآخر ·

الأول : نشأة علم التاريخ منذ بدأ على شكل قصص وروايات ، ثـــم تطور مع تطور المعرفة الانسانية ، فأصبح لا يقنع بالسرد أو ترديد ما تناقلناه عن السابقين ، فكان السعى وراء الحقيقة من مصادرها الأصلية من أهـــم أهداف الباحث التاريخى ·

وكان طبيعى أن نتعرض لدور العرب فى هذا المجال والشوط الذى قطعوه فيه فخصصنا فصلا مطولا لذلك ·

كذلك تعرضنا لموضع علم التاريخ بين العلوم الأخرى والآراء المختلفة التى أثيرت حول هذا الموضوع ·

كما أشرنا للعلوم الأخرى الوثيقة الصلة بعلم التاريخ ، وبما يجب أن تتوفر فى الباحث التاريخى من صفات ومميزات ليمارس هذا العمل بمفهومه الصحيح السليم ·

وقد عرضنا آراء الكثيرين من الكتاب والفلاسفة والمؤرخين فى مختلف هذه القضايا التى بحثناها ، وضربنا الأمثلة للاستدلال بها على بعض الآراء المذكورة ·

أما الموضوع الثانى : فهو يتعلق بالمنهج الذى يجب أن يلتزم به الباحث فى هذا الميدان فى ضوء المفاهيم التى ذكرناها سابقا وفى ضوء التطـور الذى طرأ على الكتابة التاريخية ·

وقد بدأنا مع الباحث منذ اختياره لموضوع بحثه ، وسرنا معه وهو يجمع مصادره ومراجعه ويضعها تحت مجهر الفحص والنقد للتحقق من سلامتها قبل استخدامها ، ثم تحليل محتوياتها ، فترتيب المادة التاريخية المتوفرة وتنسيقها تمهيدا لعرضها على هيئة موضوع متكامل متجانس ومترابط ·

وقد حاولنا ـ جهد الطاقة ـ أن نوضح للباحث ما يجب مراعاته فى كل مرحلة منها ، والمزالق التى يجب أن يحذر الوقوع فيها ، والأخطاء الشائعة التى يجب تفاديها الى غير ذلك مما نأمل أن يعين الباحث على تحقيق أهدافه والوصول لقصده ٠

وقد اعتمدنا فى كل ذلك على القواعد المتعارف عليها والتى أصبحت من الأسس الرئيسية التى يقوم عليها البحث التاريخى ٠

كما عرضنا آراء وأفكار العديد من المؤرخين الذين برزوا فى هذا الميدان واهتموا بهذه الدراسة ـ دراسة منهج البحث التاريخى ٠

هذا بالاضافة الى الخبرة الطويلة التى اكتسبت من الاشراف على عشرات الأبحاث والرسائل التاريخية ومن الممارسة الفعلية ٠

ونأمل أن يسهم هذا الكتاب فى سد الفراغ الملاحظ فى مكتبتنا العربية فى هذا المجال ٠

فعلى الرغم من اهتمام الكتاب الأجانب ـ خاصة فى السنوات الأخيرة بمناقشة موقف التاريخ من العلوم الأخرى ومحاولة وضع الخطوط العريضة للمنهج السليم للبحث التاريخى ـ من وجهة نظرهم على الأقل ـ فاننا الى الآن لم نوف هذا الموضوع بعض حقه من العناية والاهتمام ٠

والله ولى التوفيق

د٠ شوقى الجمل

الجـــزء الاول

علم التـــاريخ
نشـــأته ، وتطوره
ووضعه بين العلوم الأخرى

مباحث هذا الجـــزء :

الفصـــل الأول :
علم التـــــاريخ ــ نشأته وتطوره ٠

الفصـــل الثانى :
التـــاريخ عنـــد العـــرب ٠

الفصـــل الثالث :
التاريخ بين العلوم الأخرى ٠

الفصل الرابع :
العلوم الأخرى الوثيقة الصلة بعلم التاريخ ٠

الفصـــل الخامس :
الصفات الواجب توافرها فى المؤرخ ٠

الفصــل الأول

علم التــاريخ

نشــأته وتطوره

مباحث هذا الفصــل :

— لفظ تاريخ ومدلوله ·

— أسفار العهد القديم والتوراه وأهميتها فى أخبار الخليقة الأولى ·
— الأسطورة ، والحكاية الشفهية كبداية طبيعية لتناول الانسان لأخبــار آبائه وأجداده ·
— الدين وأثره على الرواية التاريخية ··
— محاولات تدوين الأحداث فى مصر القديمة ، وعند الأشوريين والبابليين·
— التاريخ عند الاغريق والرومان ·
— خضوع التاريخ للاهوت ·
— تطور التاريخ فى أواخر العصور الوسطى ·
— ظهور روح النقد فى عصر النهضة ·
— حركة الاصلاح الدينى فى أوربا وأثرها على التاريخ
— فكرة القومية وأثرها فى الاهتمام بالمصادر المحلية ·
— التوسع الاستعمارى الأوربى وأثره على التاريخ ·
— التغير الاجتماعى ، والسياسى فى أوربا فى القــرنين السادس عشر والسابع عشر وأثره على التاريخ ·
— القرن الثامن عشر — ومؤرخو الثورة فى فرنسا ، وفى باقى أوربا ·
— المؤرخون الألمان رواد مدرسة النقد والتحليل ·
— القرن التاسع عشر ، والاهتمام بجمع المصادر التاريخية ونشرها ·

التاريخ ، هو تعــريف بالوقت ، وقد اختلف العلمـــاء فى أصل لفظ « تاريخ » • فذهب البعض الى أنه لفظ عربى خالص ، وذهب آخرون الى أنه لفظ فارسى ، وأن العرب أخذوه عن الفرس • والتاريخ على العموم يعنى (التوقيت) اى تحديد زمن الأحداث وأوقات حدوثها (١) ••

وقد أشار السخاوى لذلك فذكر « ان التاريخ فن يبحث عن وقائع الزمان من حيث توقيتها ، وموضوعه الانسان ، والزمان » (٢) •

وقد مرت الكتابة التاريخية فى أطوار متعددة • ففى وقت كان التاريخ مجرد سرد للاحداث ، أو تدوينها كما هى دون نقد أو تمحيص أو محاولة للتثبت من صحتها •

وأول صورة دون بها التاريخ كانت فى صورة قصصية •

ولعل أقدم التواريخ المدونة هى ما جاء فى أسفار (التوراة والعهـد القديم) ، حيث ذكرت الأخبار الأولى عن الأحداث التى مرت بالخليقة منـذ نشأتها الأولى . (كقصة خلق الانسان ، وقابين ، وهابيل ، والطوفان •••)

وتدل عناوين أسفار العهد القديم على الأحداث والأخبار التى تناولها كل سفر ـ فمثلا سفر الملوك الأول والثانى تناول أخبار ملوك اسرائيل ويهوذا وسفر الخروج يتناول على الخصوص خروج بنى اسرائيل من مصر • والمزامير تتعلق بمزامير داود النبى (٣) •

وهكذا تمدنا الكتب السماوية بالمعلومات التاريخية الأولى عن حيـــاة الانسان ، وعن علاقاته بالكائنات الأخرى ، بل وعن علاقات الانسان بأخيـه الانسان منذ أن بدأت تتكاثر الخليقة على الأرض •• باعتبار أن الأرض هى

---

(١) انظر لسان العرب ـ مادة (أرخ) •

ـ وكذلك نصار ، حسين : نشأة التدوين التاريخى عند العرب ص ٣ •

(٢) السخاوى : الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ٧ •

(٣) أسفار العهد القديم ٢٩ سفرا •

المسرح ، وأن التاريخ هو التمثيلية التى تدور فصولها على هذا المسرح عبر العصور ٠ بحيث يمكن أن نقول أن التاريخ موضوعه الانسان والزمان (١) ٠

وقد بدأ اهتمام الانسان بالتاريخ منذ فجر الخليقة ، فقد لعبت الأساطير (Legends) والحكايات (anecdotes) دورا هاما فى حياته ، وكانت هذه بداية طبيعية للتاريخ ٠ اذ يحكى الانسان لأبنائه وأحفاده أخبار الأجداد والسلف ، وبالطبع امتزجت فى هذه القصص الحقيقية بالخيال ، وبذا بدأ الانسان يهتم بأخبار أسلافه السابقين ٠

وقبل أن يعرف الانسان الكتابة عبر عن هذه الأفكار التى جالت بذهنه بالرسم والنقش على الحجر\مستخدما فى ذلك ما أمكنه استخدامه من آلات وأدوات ومواد ، ومن ثم ترك لنا الانسان الأول على جدران الكهوف ، وفى المغارات وغيرها من الأماكن التى سكنها ما يمكن أن نستدل به عن بعض أفكاره ، وعن نظام حياته ومعتقداته ٠

ومع تقدم الانسان تطورت حياته ، كما تقدمت وسائل التعبير عن أفكاره ومعتقداته ، وأسلوب حياته حتى عرف الكتابة ، فكانت هذه طفرة عظيمة فى مجال تسجيل الأحداث والأفكار والمعتقدات ٠

ولعب الدين دورا هاما فى تكييف حياة الانسان وتصرفاته ، فعلاقته بخالقه ، ونظرته للقوة العليا الخفية التى تدير الكون ، ورهبته من الأشباح والأرواح غير المرئية ، والخوف من الموت ، ومحاولاته للحفاظ على حياته ،

---

(١) عكف عدد من المؤرخين الفلاسفة - الالمان بالذات على دراسة أثر القصص الدينى فى الكتابة التاريخية ، وقد تباينت اراؤهم حول هذه العلاقة بين الاساطير الدينية وبين التاريخ كعلم نذكر منهم على سبيل المثال :

شلينج ٠ و (Schelling) - الذى كتب « مقدمة فى فلسفة الاساطير »

كاسيرر Cassirer - الذى كتب فى « التفكير الاسطورى »

د. شتراوس Dr. Strauss - الذى كتب فى حياة يسوع المسيح بحث نقدى ٠

لمزيد من التفصيل أنظر :

كاسيرر ، أرنست : فى المعرفة التاريخية ص ١٠٨ وما بعدها ٠

وما خلقه هذا من تصورات وخيالات فى عقله ـ كل هذا كان له أثره فى سلوك الانسان ، وفى معاملاته وعبر عن ذلك بمختلف وسائل التعبير المتـاحة له ٠

وهكذا يمكن أن نقول ان اهتمام الانسان بمعرفة ماضيه ، وأخبار أسلافه يرجع الى أقدم العصور ٠

وحرص الإنسان ـ كما ذكرنا ـ على أن يلم أبناؤه وأحفاده بأخبـار أسلافهم ، وكطبيعة البشر لم تخل هذه الأخبار من الاضافات والتحريف ممـا يضفى على هؤلاء الأسلاف ثوبا من البطولات والتمجيد ٠

ولعل الغرض الأساسى الذى من أجله حرص الناس على أن يتناقلوا قصص الأحداث التى حدثت فى الأزمنة القديمة هو ـ الى حد كبير ـ نفس الغرض الذى نهدف اليه اليوم من دراسة التاريخ ٠٠ الا وهو اتخاذ العظـة من الماضى ، وتوضيح الحاضر ، والنظر للمستقبل فى ضوء هذا الماضى بعظاته وعبره ٠

ومن أقدم المحاولات لتدوين التاريخ تلك التى قام بها الكاهن المصرى القديم مانيثون (Manetho) الذى عاصر بطليموس اول ، وبطليموس الثانى ، ووضع تاريخا لقدماء المصريين استمد مادته من مصادر مصرية قديمة ، وكان ذلك على نظام (الحوليات) أى تدوين الحوادث وترتيبها تاريخيا عاما بعد عام ، وللاسف فقد مؤلف مانيثون هذا فلم تبق منه الا نبذ قليلة ٠

كذلك محاولة كاهن آخر بابلى عاش حوالى ٢٥٠ ق٠م هو بيروسوس (Berossus) كتـابة تاريخ بابل باليونانية مسـتندا على مصـادر بابلية قديمة ، وقد ضاع مؤلفه أيضا ولم تصلنا منه الا نبذ بسيطة متضمنة فى بعض الكتب الأخرى التى أخذت عنه (١) ٠

وحذا بعض الأشوريين ، والعبرانيين حذو المصريين والبابليين فى هذا المجال فكتبوا عن تاريخ آشور وبابل ٠

أما عن الاغريق وتاريخهم ـ فلدينا العديد من الأسماء اللامعة التى تعرضت للكتابة عن أصلهم ، وعن النزاع بينهم وبين الفرس ، والنزاع بين

---

(١) هرنشو : علم التاريخ (ترجمة عبد الحميد العبادى) ص ١٦ ٠

المدن الاغريقية المختلفة كحرب البلوبونيز بين أثينا وأسبرطة وغيرها من الحـــروب •

لقد شغف الاغريق بالبحث أو بما يسمونه باليونانية (Istoria) اى تاريخا حتى بزوا غيرهم فى هذا الميدان • فكتب هكتيوس (Hecateus) فى القرن السادس ق•م عن أصل الشعب الاغريقى ، كمـــا كتب هيرودوت (Herodotus) الذى يلقب بأبى التاريخ فى القرن الخامس ق•م عن النزاع بين الاغريق والفرس ، وبعـــــده كتب ثوكوديديس (Thucydides) عن حرب البلوبونيز بين اثينا واسبرطة •

وتميزت كتابات هؤلاء المؤرخين الاغـــريق بالبعد الى حـــد كبير عن الخرافات والأساطير ، وبمحاولة الوصول الى تفسير منطقى للاحداث (١) •

ومن أبرز كتابات الاغريق الاليـــاذة ، والأوديســـة التى نسبت الى هوميروس (٢) •

ومن الذين أرخوا الرومان ، ومدنهم ، وفتوحهم بوليبيوس (Polybius) الاغريقى ، فقد عاش فى روما فى القرن الثانى ق•م ، وكتب عن المدينـــة الرومانية وما وصلت اليه من قوة ، وتحدث عن فتوح الرومان ، ونظـــامهم السياسى (٣) •

وقد ظل تاريخ الرومان تتناوله أقلام مؤرخى الاغريق باليونانية لفتـــرة طويلة •

---

(١) Collingwood : The Idea of History, pp. 17 and 28-31.

ـ كذلك هرنشو : مرجع سابق ص ١٧ وما بعدها •

(٢) انظر ج • ح • كراوزر : صلة العلم بالمجتمع (ترجمة حسن خطـــاب) • وقد نفى ولف (F.A. Wolf) الالمانى فى عـــام ١٧٩٥ ما هو شائع من أن الاليـــاذة والاوديسة كتبها هوميروس وذهب الى أنها من عمل جماعة من الشعراء فى فترات زمنية متباعدة ــ وسنتعرض لذلك فيما بعد •

(٣) Collingwood : Op. Cit., pp. 33-36.

لكن كتب يوليوس قيصر (Julius Caesar) فى عام ٥١ ق٠م كتابه المشهور عن الحرب الغالية (The Gallic War) تناول وقائع هذه الحروب التى انتهت بضم بلاد الغال الى الدولة الرومانية ، كذلك له كتاب آخر عن الحرب الأهلية التى انتصر فيها على بومبى ٠

ثم تأتى كتابات ليفى (Livy) ، وتاسيت (Tacitus) ٠ فقد كتب الأول تاريخا كامـــلا لروما تحدث فيه عن فتوحاتها وتغنى بمفاخـــر الجمهورية الرومانية ، وجمع كل المتواتر عن تاريخ روما ونسقه فى دراســة متكاملة لتاريخ الجمهورية الرومانية ٠ وتستحق مقدمة كتابه هذا الدراسة والتأمل فقد أوضح فيها الهدف من كتابه ، وذكر أنه رجع بالرومان لتاريخهم القديم ليوضح لهم كيف أن عظمة روما ترجع للازمنة الأولى التى كان فيها المجتمع الرومانى يتسم بالبساطة والوضوح (١) ٠

أما تاسيت فقد كان يهدف فى كتاباته الى الاصلاح الاجتماعى أكثر من تناول التاريخ للتاريخ ذاته ٠ فقد حرص فى (حولياته) على أن يعطى صورة لما وصل اليه المجتمع الرومانى من تدهور خلقى ، وقارن بين ذلك وبين المزايا التى يتحلى بها البرابرة الذين كانوا حديثى عهد بالاتصـــال بالامبراطورية الرومانية ٠

ولما أصبحت المسيحية الديانة الرسمية للامبراطورية الرومانية فى عهد الامبراطور قسطنطين (٣٠٦ ــ ٣٣٧ م) تأثر التاريخ والكتابة التاريخية بهذا الحدث الهام : فقد تحول التاريخ الى أيدى القساوسة والرهبان وصـــار التاريخ خاضعا للاهوت مسخرا له ، وتركز فى الحوليات التى لا تخرج عن تقييد للحوادث وربطها بأعياد الفصح وغيره من الأعياد المسيحية ٠

لكن حين ضعفت الامبراطورية الرومانية واندثرت معالم الحضـــارة الأوربية ــ احتفظت الأديرة والكنائس بقبس من النور ، كما أن الاهتمـــام بتاريخ الكنيسة ، والأحداث المرتبطة به أدى الى نظرة جديدة للتاريخ ، فقـــد اعتبروه سجلا حافظا للعلاقة بين الانسان وخالقه ٠

---

(١) Collingwood : Op. Cit., p. 36.

لقد تغيرت النظرة للتاريخ بتحكم رجال الدين فيه · فنظروا للاحداث لا على أنها نتيجة تصرف الانسان وسلوكه لكن على أنها ارادة الله ومشيئته التى تسير الكون · فظهور روما وعظمتها - مثلا - لا يرجع لجهود الرومان أنفسهم لكن لمشيئة الخالق ، وحين تنتهى الحكمة الالهية من وجودها تضمحل وتزول ·

وفى أواخر العصور الوسطى حدث تطور يذكر فبدأ الكتاب يدققون فيما يذكرون من حوادث ، ويرجعون فى الحوادث المعاصرة لأقوال من اشترك فيها أو شاهدوها ·

ففى فرنسا ظهر تاريخ نانت ((Chronicle of Nantes) تناول أحداثا تمتد حتى عام ١٠٤٩ م ، وفى المانيا ظهر التاريخ الانجلو سكسونى (Anglo-Saxon Chronicle) تناول الأحداث حتى عام ١١٥٤ م ، وفى انجلترا ظهر التاريخ الأكبر لماثيوباريس (Mathew of Paris) وهو راهب انجليزى اعتنى بتسجيل ما وصل اليه من أخبار العالم المتمدن فى الغرب والشرق حتى عام ١٢٥٥ (١) ·

وفى القرن الرابع عشر ظهرت بعض الكتب التاريخية التى تميزت بتحكيم العقل ورفض الأساطير التى تتنافى مع المنطق ، يظهر ذلك بوضوح فى كتاب فلافيوس بلوندوس (F. Plondos) الايطالى وهو معاصر لابن خلدون (١٣٨٨ - ١٤٦٣) (٢) ·

كذلك مذكرات (Memoirs) المؤرخ الفرنسى فيليب دى كومين (Philippe de Commines) - وهو الملقب فى فرنسا بأبى التاريخ الحديث ، فقد استفاد من تقلبه فى كثير من المناصب السياسية فى كتابة مذكراته عن الحوادث حتى نهاية القرن الخامس عشر (٣) ·

وكان تأثر التاريخ بالنهضة الأوربية عميقا وقويا - فقد ترتب على النهضة نتائج منها :

---

(١) هرنشو : مرجع سابق ص ٣٠ ·

(٢) رستم ، أسد : مصطلح التاريخ ص·ب (فى المقدمة)

(٣) توفى عام ١٥٠٩ م

١ ـ صبغ التاريخ بالصبغة الزمنية ، وتحول تدوين شؤون الدولة من رجال الدين الى العلمانيين ·

٢ ـ تغيرت الكتابة التاريخية كنتيجة طبيعية لاحياء الدراسات القديمة، واتجاه الايطاليين بالذات الى منابع هذه الحضارة القديمة أى الى اللاتينية والاغريقية ·

٣ ـ ظهور روح النقد والتمحيص والتحليل للمراجع والمصادر الأصلية، واستبعاد ما لا يثبت صحته منها ·

وهكذا عاد الى الظهور البحث الحر . والنقد بعد أن تحطم ما كانت تفرضه الكنيسة على العقول والأقلام والكتابات من حجر وقيد ·

ولعل البداية كانت القنبلة التى فجرها لورنزو فلا (Lorenzo Volla) (١٤٠٦ ـ ١٤٥٧) بكتابه منحة قسطنطين (Donation of Constantine) الذى أثبت فيه بطلان هبة قسطنطين للبابوات ، وأن الأمر لا يعدو أن يكون تزويرا افتعل فى روما بعد خمسة قرون من التاريخ الوارد فى الوثيقة · وكان البابوات قد استندوا الى هذه الوثيقة فى صراعهم ضد الأباطرة لاثبات حقهم فى السلطة الزمنية اذ أن هذه الهبة كانت تدعى أن قسطنطين ـ عندما نقـل عاصمته الى القسطنطينية ـ منح البابوات الحكم الزمنى فى ايطاليا ، وظلت هذه الفكرة مسيطرة طوال العصور الوسطى ، واستند اليها البابوات لاثبات ادعاءات لهم · لكن لورنزو فلا أثبت أن هذه الادعاءات لا تقوم على أسـاس صحيح لأن الوثيقة الأصلية التى تتعلق بهذه المنحة لا وجود لها ، وبالاضافة الى ذلك أشار الى أنه لم يعثر على أية عملة بابوية تحمل ذكرى هذا الحادث الهـام ·

وقد أثار هذا الحدث حين نشر وذاع رجال الدين وأقعدهم ـ لكنه على كل حال شجع على ذيوع روح النقد ، فأصبح من المألوف أن يثير المؤرخون والكتاب الشك فيما كان الناس يعتقدون أنه من الأخبار المسلم بها التى لا يجب أن توضع موضع المناقشة والجدل ·

فقد حذا حذو لورنزوفلا عدد كبير من مؤرخى عصر النهضة فى ايطاليا

نذكر منهم على سبيل المثـــال نيكولا مكيـــافيلى (Nicola Machiavelli) (١٤٦٩ — ١٥٢٧) فقد كتب كتابا عن « تاريخ فلورنسه » ، كما كتب كتـابه المشهور « الأمير » (It Principe) ضمنه آراءه التى اكتسبها نتيجـــة خبرته الواسعة بسياسة الجمهوريات الايطالية وأوربا فى عهده ، وقد وضح فيه كيف أن ايطاليا بحاجة الى أمير مستبد قوى جرىء يوحدها ويجعل منها دولة عظيمة (١) ٠

ولما انتشرت حركة النهضة خارج ايطاليا كان لها أيضا أثرها عـلى التاريخ والمؤرخين فظهر بوليدور فرجيل (Polydore Virgil) (١٤٧٠ — ١٥٥٠) الذى كتب عن تاريخ انجلترا فى عهد هنرى السابع ٠

وكانت لحركة الاصلاح الدينى التى تزعمها مارتن لوثر (١٤٨٣ — ١٥٤٦) أثارها العميقة على الدراسات الفلسفية عامة والتاريخ بوجه خاص — فقد أشاع لوثر — أثناء تدريسه الفلسفة فى جامعة وتنبرج (Wittenburg) سنة ١٥٠٨ واللاهوت فى عامى ١٥١٥ ، ١٥١٦ — روح النقد والتحليل حين دعا الناس لدراسة الكتاب المقدس بأنفسهم دون الاعتماد على تفاسير رجال الدين أو الأخذ بها على أنها حجج مسلم بها ٠ وقد نشر رأيه بصراحة فى أن الكنيسة قد انحرفت عن طريقها السوى الذى كانت تسير عليه فى عهد المسيح والرسل الأوائل وأن ما يصدر عن البابوية من أحكام قد يكون صوابا وقـد يكون خطأ . هذا بالاضافة الى الرسائل المشـــهورة التى نشرها لوثر عن الأسر البابلى للكنيسة (The Babylonish Captivity of the Church) (٢) ٠

فقد أدى هذا لأن يصبح للتاريخ قيمته — فقد دفع للبحث التاريخى بهدف

---

(١) لمن يريد التوسع فى دراسة المبادىء التى نادى بها مكيافلى — انظر ٠
Mortey, Ji Machiavelli
وكذلك Schevill, F.: A History of Florence

(٢) فى عام ١٣٠٩ انتقل البابا (كلمنت الخامس) — وكان فى الاصل اسقفا فرنسيا — من روما الى (أفينون) بفرنسا ، ومن ذلك التاريخ خضعت البابوية لنفوذ ملوك فرنسا ، ولم ترجع البابوية الى روما الا فى ١٣٧٧ م أى بعد ٧٠ عاما . وعرفت هذه الفترة بمدة الاسر البابلى ، وأدت هذه الحادثة الى انقسام بين الكرادلة ورجـال الدين . فقد وجد بابا فى روما واخر فى افينون ، ففقدت الكنيسة كثيرا من صفات الزعامة الدينية التى لها ٠

الوصول للحقيقة فى هذا الصراع بين المتمسكين بالكاثوليكية والداعين للآراء الجديدة - والحقيقة أننا لم نشهد تهالكا على نبش أكداس التاريخ الكنسى المهجور كالذى حدث بسبب هـــذا التصادم بين المتنـــافسين الكاثوليك والبروتستانت • ولم يصل البحث التاريخى من القوة والأهمية كما وصل خلال هذه المعارك •

وكانت حصيلة هذا ظهور العديد من الكتب والأبحاث ونشر العشرات من الوثائق • فكتب روبرت بارنز (Robert Barnes) (١٤٩٥ ـ ١٥٤٠) عن « ســـير بابوات روما » ، وكتب جـــون فوكس (John Foxe) (١٥١٦ ـ ١٦٨٧) كتاب الشهداء (Book of Martyrs) ، ونشر ماثياس فلاكيوس (Mathias Flacius) كتابه عن تاريخ الكنيسة المسيحية منذ قيامها فى عهد الرسل حتى القرن الثالث عشر باسم « قرون مجدبرج » (Magdeburg Centuries) تناول فيه ما كان يجرى فى المجامع الدينية، وما صدر عن البابوات •

وانبرى عدد من المتحمسين للكاثوليكية للرد عليه ، وفى مقدمة هـؤلاء قيصر بارونيوس (Caesar Baronius) ـ الذى كان أمينا لمكتبة الفاتيكان الضخمة التى يرجع الاهتمام بها الى البابا نيقولا الخامس الذى جمع بها مجموعات ضخمة من الكتب والمخطوطات ـ فنشر بارونيوس كتابا باســم (الحوليات) للرد على ما جاء فى كتاب فلاكيوس ، وترتب على ذلك اذاعة العديد من المعلومات والوثائق (١) •

وكان الاصلاح الدينى المضاد الذى لا يقل أهمية عن حركة لوثر وهـو (الاصلاح الكاثوليكى) أو انتعاش الكنيسة الكاثوليكية مما أثرى التـاريخ أيضا وادى له أجل الخدمات •

وهكذا استفاد التاريخ من هذا الجدل والصراع الدينى ـ أكبر فائدة سواء من ناحية المادة التاريخية لكثرة ما نشر من وثائق ، أو من ناحيـــة الطريقة فقد شاع النقد والتحليل ولم يعد التسليم بما ينشر أو يكتب ـ حتى ولو كان صادرا عن البابوات أنفسهم ـ دون تمحيص أو مراجعة أمرا مقبولا •

---

(١) هرنشو : مرجع سابق ص ٥٧ •

ان الفصل بين الدين والدولة ، والدولة والحضارة باعتبارها السلطات الثلاث الدينية التى تم عن طريقها تطور جميع الأفعال التاريخية ـ كما يقول المؤرخ بوركار (Burkhardt) من أكثر الأمور أهمية ٠

فحين انتظمت الممالك فى أوربا فى القرن السادس عشر وتبلورت فكرة القومية ـ قامت عصبية وطنية جديدة ، ونشأ شعور قومى ، فقام علماء مؤرخون فى دول الغرب يعنون بجمع المصادر عن تاريخ بلادهم بدافع الاعتزاز بالماضى ـ ولعل من أهم هذه المجموعات التاريخية الوطنية مجلدات تواريخ العصور الوسطى التى بدأ بنشرها فى القرن السابع عشر ـ بعض الرهبان من جماعة القديس مور ٠ وتتابع ظهور السلاسل التى تتناول تاريخ قطر معين من أقدم العصور فى تتابع وتسلسل خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر (١) ٠

وترتب على النشاط العلمى والملاحى الذى صاحب النهضة الأوربية ، وظهور الدول الوطنية الحديثة وشعورها بالعزة القومية ـ أن سعت الدول التى تم تكوينها الى بسط سيطرتها على غيرها من الأمم والشعوب التى تأخر تكوينها أو التى كانت ـ فى نظر هذه الدول ـ أقل حضارة ، وأقل قوة ٠ وكان نشر المسيحية أيضا من الحوافز الهامة وراء هذه الحركة التى أدت الى الاكتشافات الجغرافية الهائلة وما تبعها من استعمار ٠

ودخلت البرتغال وأسبانيا ثم هولنده ، وبلجيكا ، وانجلترا ، وفرنسا فى هذا الصراع الاستعمارى وترتب على ذلك قيام الامبراطوريات العظمى فى العالم الجديد وفى قارتى أفريقيا وآسيا ٠

وأدى ذلك لاحتكاك حضارى عجيب بين حضارة أوربا ، وبين هذه الحضارات المتعددة والمتباينة ٠ وتهيأت للمؤرخين بذلك مادة دسمة حفزت خيالهم : فانبروا لدراسة عادات وأدب وعقائد ، ونظم الحكم ، وتاريخ هذه الأقطار والشعوب الجديدة ٠

وكان طبيعيا أن يبرز فى هذا المجال العديد من المؤرخين الأسبان الذين جذبت أنظارهم هذه الأقطار الجديدة بعادات سكانها المغايرة لما ألفوه فى بلادهم ٠

---

(١) رستم ، أسد : مرجع سابق ـ المقدمة ص ح ٠

كما كانت للتوسع الاستعمارى الأوربى آثار اقتصادية خطيرة ، فتدفق الذهب والفضة من مناجم المكسيك وبيرو على أوربا ، كما زرعت مساحات شاسعة فى البلاد المكتشفة (أمريكا على وجه الخصوص) بالطباق ، وقصب السكر ، وتطلب هذا نقل الزنوج الافريقيين كعبيد الى الأراضى الأمريكية ، واحدث هذا اضطرابا اجتماعيا ، وبالذات فى طبقات العمال المأجورين ، وظهرت طبقات رأسمالية ، وتكونت الشركات التجارية المساهمة القائمة على أساس الأسهم تشترى وتباع فى السوق الحرة ولها مجالس ادارة — كشركة الهند الشرقية الانجليزية ، وشركة الهند الشرقية الهولندية ، ووجدت المصارف التى تمارس عمليات متعددة لم تكن معروفة من قبل · وبجانب هذه الطبقات الجديدة كانت هناك الارستقراطية الزراعية متمثلة فى كيان الاقطاعيين ، وكان لهذه الطبقة تاريخها الطويل منذ العصور الوسطى ، وما تمتعت به من امتيازات عبر هذه العصور ·

وتطلعت الطبقات الجديدة الى الميدان السياسى ، وتأثر تاريخ أوربا بهذه الأحداث فكثر البحث والتنقيب عن أصول وأسس الأسر الحاكمة فى أوربا وحقيقة ما تدعيه من حقوق ·

وتتميز هذه الحقبة من تاريخ أوربا بظهور (الملكيات المطلقة) فظهر فى فرنسا ملوك البربون العظام ، وفى ألمانيا اسرة الهابسبرج ، وفى انجلترا اسرة تيودور ثم أسرة استيوارت ·

واشتعلت فى هذا القرن حرب الثلاثين سنة (١٦١٨ — ١٦٤٨) التى انتهت بصلح وستفاليا المشهور ، فى عام ١٦٤٨ ·

على أن أهم الأحداث فى هذه الفترة من ١٥٥٠ الى ١٦٥٠ فى تاريخ أوربا يمكن أن نجمله فيما يلى :

١ — الصراع بين اسبانيا والأراضى المنخفضة التى كان حكمها قد آل الى شارل الخامس (١٥١٩ — ١٥٥٦) عن جده مكسمليان ، فعمد شارل الخامس الى أن ينشىء بها حكومة موحدة رغم الاختلافات بين المقاطعات السبعة الشمالية والمقاطعات العشرة الجنوبية . وورث فيليب الثانى (١٥٥٦ — ١٥٩٨) حكم هذه البلاد من والده — لكن سياسته فيها فجرت روح الثورة

التى تزعمها وليم أورنج - وانتهى هذا الصراع بقبول اسبانيا الهدنة مع هولندة فى عام ١٦٠٩ واعترافها رسميا فى معاهدة وستفاليا عام ١٦٤٨ باستقلال هولنده .

وخلال هذه الأزمة انبرى عدد كبير من المؤرخين للكتابة عن الأصول التاريخية التى تسند حق الأراضى المنخفضة فى الحكم الذاتى والاستقلال الاقليمى عن حكومة اسبانيا المستبدة أو العكس .

٢ - الصراع بين الملكية وطبقة النبلاء الاقطاعيين فى فرنسا ، وفى خلال هذا الصراع انبرى عدد من الكتاب والمؤرخين للبحث والكتابة فى تاريخ الملكية الفرنسية والأصول التاريخية والدستورية التى تستند اليها فخرج لنا العديد من الكتب عن تاريخ هذه البلاد .

٣ - الثورة الدستورية فى انجلترا - وقد برزت هذه الثورة بعد أن وصلت اسرة استيورت للحكم فى عام ١٦٠٣ م بعد أسرة تيودور وحاول ملوكها أن يقلدوا النظم التى اتبعها كل من لويس الثالث عشر (١٦١٠ - ١٦٤٣) ولويس الرابع عشر (١٦٤٣ - ١٧١٥) فى فرنسا .

ويهمنا فى مجال الأثر التاريخى لهذا الصراع البرلمانى أن كلا من الفريقين المتنازعين - الملوك من جانب ، والبرلمانات من جانب آخر - شحذ قريحة أتباعه ليبرز الحجج والأسانيد التاريخية التى يستند اليها . الملوك يطالبون بسلطات يدعون أنها ثابتة تاريخيا ، والبرلمانات تطالب بحقوق تدعى أنها إكتسبت من زمن وصارت من حقها بلا منازع .

وأعطانا هذا الجدل الذى ثار خلال هذه المعارك الدستورية ، مادة نادرة للتطور الدستورى فى انجلترا ما كان يمكن أن نحصل عليها لولا هذا النزاع .

وجاء القرن الثامن عشر - فشهد حركة علمية وفلسفية واسعة ذات طابع ثورى أطلق عليها اسم (حركة الاستنارة) - اذ انشئت - تحت رعاية الحكومات ، الأكاديميات العلمية لتبادل وجهات النظر بين المتعلمين (١) .

---

(١) الاكاديمية - اسم لغابة تقع فى الشمال الغربى من مدينة اثينا - ويرجع اسمها للبطل الاغريقى القديم (اكاديموس) ، وكان الفيلسوف افلاطون يلتقى بالقرب منها بتلامذته ، ومن هنا كانت التسمية لمدرسته وفلسفته .

وكذلك تعمل لنشر أبحاثهم وتشجيع الانتاج بمختلف الوسائل ، فانشئت فى انجلترا الأكاديمية الملكية فى ١٦٦٢ ، وفى فرنسا عام ١٦٦٦ ، كما انتشرت المكتبات العامة والمتاحف ٠

ومن الذين برزوا فى القرن الثامن عشر فى مجال التاريخ ـ الفيلسوف الايطالى جيوفنى باتستافيكو Gio Vanni Battistavico (١٦٦٨ ـ ١٧٤٤) فقد نشر فى عام ١٧٢٥ كتابه « أصول علم جديد » ذهب فيه الى أن التاريخ فرع من فروع العلوم الانسانية وان منهج البحث التاريخى يقوم على أصول منطقية ، وأن كل عصر من عصور التاريخ يمثل تطورا معينا (١) ٠

أما الكتاب الفرنسيون فقد كانت كتاباتهم وابحاثهم القبس الذى اثار الطريق أمام الفرنسيين وغيرهم فشعروا بالظلم الواقع عليهم ، فهبوا مطالبين بحقوقهم المهضومة ، ولذا فقد كانوا القوة الدافعة للثورة الفرنسية ٠ وفى مقدمة هؤلاء منتسكيو Montesquieu (١٦٨٩ ـ ١٧٥٥) ففى كتابه « روح القوانين » Espirit des lois درس نظامى الحكم الانجليزى والفرنسى وتطورهما ، ووازن بينهما ، واشار الى تطور نظام الحكم عند الرومان وغيرهم من الحكومات فى الماضى والحاضر ـ وتوصل فى النهاية الى قاعدة هامة وهى « ان الأنظمة السياسية لكى تكون ناجحة لا بد من أن تكون ملائمة للحياة الطبيعية والخصائص العقلية للشعب » ٠

كما أن جان جاك روسو Rousseau (١٧١٢ ـ ١٧٧٨) فى كتابه « العقد الاجتماعى » Le Contrat Social يذهب الى أن الانسان ولد حرا لكنه تنازل عن بعض حريته وحقوقه للمجتمع ، فالحكومة تستمد قوتها من ارادة الشعب وتبقى مشروعة طالما انها تستند الى هذه الارادة الشعبية ، وهى صاحبة السيادة ، ولها أن تعزل الحكام من مناصبهم متى شاءت ، ولها أن تغير الحكومة فى أى وقت ٠ وبالطبع تهدم هذه الآراء كل أساس تقوم عليه الملكية المطلقة الاستبدادية ، ومن حق الشعب فى ضوء هذه المبادىء أبعاد الحكومة عن الحكم اذا وجد أنها خرجت على ارادة الشعب العامة وأخلت بذلك العقد المبرم أصلا بينها وبين الشعب صاحب السيادة العليا فى الدولة ٠

---

(١) Collingwood : Op. Cit.

أما فولتير Voltaire (١٦٩٤ ـ ١٧٧٨) فعالج فى كتابه « عصر لويس الرابع عشر » · عناصر القوة ، وأسباب الضعف فى فرنسا فى عهد هذا الملك ، وامتدح ما رآه فى انجلترا من سيادة القانون على جميع الناس دون تمييز ، كما امتدح نظام الحكم فى انجلترا حيث يكفل حقوق كل من الملك ، والأشراف ، والشعب · وتميزت كتاباته بالدعوة لتحكيم العقل ورفض ما لا يقره ·

وفى انجلترا انبرى المؤرخ الانجليزى ادوارد جبـون Edward Gibbon (١٧٣٧ ـ ١٧٩٤) لتحليل اسباب قوة الامبراطورية الرومانية ، واسباب اضمحلالها وسقوطها فى كتابه المشهور « تاريخ اضمحلال وسقوط الدولة الرومانية » ·
The History of the Decline and fall of the Roman Empire (7 vols.)

وقد ترجم هذا الكتاب الى العديد من اللغات ، ووجد فى مكتبات العديد من الحكام الذين حاولوا الاسترشاد بما جاء فيه . ولا تزال له اهميته وقيمته العلمية للطريقة التحليلية التى سار عليها المؤلف ·

وكان من الآثار الطبيعية للمبادىء التى شاعت اثناء الثورة الفرنسية وبعدها شيوع روح النقد والتمحيص والتحليل للمراجع والمصادر والأفكار والآراء واستبعاد ما لا يثبت صحته منها وما لا يساير المنطق والعقل ·

ويعتبر المؤرخون الألمان (المدرسة التاريخية الألمانية) ـ أساتذة مدرسة النقد والتحليل ، فقد تميزت كتابات عدد كبير منهم منذ أواخر القرن الثامن عشر ، وفى القرنين التاسع عشر والعشرين بالدقة والنقد لكثير مما ظهر من قبل من نظريات وآراء فى العصور السالفة ·

ظهر ذلك جليا فى كتابات وولف الألمانى F. A. Wolf فى عام ١٧٩٥ الذى وصل به الأمر ـ كما سبق أن ذكـــرنا ـ الى أن نفى ما كان شائعا من أن الألياذة والأوديسة كتبها هوميروس ، وذهب الى انها من عمل جماعة من الشعراء فى فترات زمنية متباعدة ·

كذلك كتابات المؤرخ الفيلسوف الألمانى هردر Herder الذى كان

معاصرا لروسو وأطلق عليه اسم (روسو الألمان) واشتهر بكتابه عن فلسفة التاريخ (١) ٠

ومن أمثلة ذلك أيضا ما كتبه المؤرخ الألمانى برتولد نيبور B. Niebuhr (١٧٧٦ ـ ١٨٣١) عن تاريخ الرومان حلل فيه ما كتبه ليفى Livy . وغيره عن تاريخ الرومان ، فأثبت أنه بعيد كل البعد عن الحقيقة ٠ واستطاع نيبور أن يفصل الأساطير فصلا واضحا دقيقا عن الواقع التاريخى (٢) ٠

كذلك كتابات ليوبولد فون رانكى Ranke L. Von (١٧٩٥ ـ ١٨٨٦) الذى كتب فى تاريخ ايطاليا ، وتركيا ، وانجلترا ، وفرنسا ـ بالاضافة الى مؤلفه الجليل عن تاريخ العالم الذى ظهر منه فى حياته سبعة مجلدات ، وأتمه تلاميذه من بعده ، وكذلك كتابه « التاريخ الألمانى فى عهد الاصلاح الدينى » ٠

●●●

والحقيقة التى نخرج بها من هذا العرض لتطور التاريخ عبر هذه العصور هى أن التاريخ بدأ بالقصص الخيالية التى لا تخلو من الخرافات يتناقلها الأبناء عن الآباء ، وفى العصور الوسطى أصبح دينيـــا يختص به رجال الكنيسة ، وفى عصر النهضة أصبح وطنيا قوميا يهتم باثبـــات الشخصية الخاصة المتميزة لمجموعة من الناس ، أما فى القرن الثامن عشر فان الكتاب من أمثال فولتير وجبون كانوا يهدفون من كتاباتهم الى غرض سياسى ٠

وجاء القرن التاسع عشر والتاريخ ـ رغم ما حققه من تقدم فى محاولة البعد عن السرد أو الجنوح الى روح النقد والتحليل ـ كانت لا تزال اقدامه تهتز من حيث الهدف منه ، والأسس التى يجب أن تقوم عليها الكتابة التاريخية أى ما نعبر عنه اليوم (بالمنهج) ٠

لقد تميز القرن التاسع عشر بظاهرة هامة هى جمع المصادر التاريخية ونشرها ٠ ساعد على ذلك ما اكتسبه الناشرون من خبرة فنية فبدأت تظهر مجاميع علمية هامة قدمت للباحث التاريخى مادة علمية وفيرة ٠ فبدأت تظهر مجموعات من الوثائق التاريخية من مصادر متعددة لا حصر لهـــا بوبت

---

(١) كاسبرر ، أرنست : مرجع سابق ص ١٣ ٠

(٢) نفس المرجع ص ١٩

وقيمت وفهرست ـ وشجعت الحكومات والهيئات العلمية هذا العمل (١)

وفى المانيا قامت (جمعية دراسة التاريخ الألمانى) منذ ١٨١٩ م بنشر سلسلة من الوثائق تتعلق بتاريخ المانيا تحت اسم (أصول التاريخ الألمانى القديم) ٠

وفى فرنسا تكونت فى عام ١٨٣٤ م (جمعية تاريخ فرنسا) وقد نشرت عدة مجلدات فى مصادر التاريخ الفرنسى ٠

وفى عام ١٨٣٦ شرعت بلجيكا فى نشر العديد من الوثائق التى كانت بدار محفوظاتها ـ كذلك اسبانيا فى عام ١٨٤٢ ، والنمسا فى عام ١٨٤٩ م٠

ومنذ ١٨٥٧ اخذت (مصلحة المطبوعات الرسمية) البريطانية تنشر ما عرف باسم (تقاويم الأوراق الرسمية) ، كما نشرت سلسلة كبيرة من الوثائق تحت اسم (تواريخ ومذكرات بريطانيا العظمى ، وايرلنده فى العصور الوسطى) وذلك فى مجلدات بلغ عددها فى عام ١٨٦٩ ـ ٢٤٤ مجلدا ٠

كما تشكلت فى بريطانيا فى عام ١٨٦٩ (لجنة المخطوطات التاريخية) لفحص وفهرسة ونشر مجاميع الوثائق الهامة التى كانت فى حيازة الهيئات البلدية وغيرها ٠

وفى الولايات المتحدة اخذت الجامعات (جامعة هارفارد ، وجامعة كولمبيا ، وجامعة متشيجان ٠٠ وغيرها) تهتم بنشر ما يتعلق بتاريخ امريكا من وثائق ٠

وقد بلغ من ضخامة المادة العلمية المنشورة ـ فى هذا القرن التاسع عشر ـ أن أصبح المؤرخون غير قادرين على متابعة والاستفادة مما ينشر ، وبالطبع أدى هذا للتخصص الدقيق ـ فتخصص قوم فى التاريخ الاقتصادى أو السياسى أو الاجتماعى ـ وهكذا ٠٠ وأصبح لفظ مؤرخ بمفهومه العام الشامل غير مستساغ ٠

---

(١) هرنشو : مرجع سابق ص ٨٦ وما بعدها ٠

ويذكر كاسيرر E. Cassirer « ان ما تحقق من تقدم فى علم التاريخ يعتبر من أعظم انجازات عصر الاستنارة ، فقد دفع للبحث فى طائفة جديدة من المسائل التاريخية ، كما دفع الى وضع المناهج المتمايزة للمعرفة التاريخية ... فالقرن التاسع عشر يعتبر من خصائصه ليس فقط اكتشاف التفكير التاريخى ، بل أيضا تقديم علم التاريخ فى صورة جديدة » (١) .

ونشير فى نهاية هذا الفصل الى ما انتهى اليه الفيلسوف الألمانى هيجل Hegel (١٧٧٠ - ١٨٣١) عند حديثه عن فلسفة التاريخ - فذكر ان التاريخ هو عبارة عن علاقة الدول بعضها ببعض ، وعلاقتها بالروح العام السائدة فى العالم . وتاريخ العالم هو عبارة عن (مجلس قضاء) يمسك فيه بصولجان الحكم شعب واحد ، ويظل كذلك الى أن يظهر شعب آخر أقدر منه فينتزع منه ذلك الصولجان وهكذا .

وتاريخ العالم فى نظره - حتى عصره - مر فى ثلاثة مراحل هى (١) :

الشرقى تمثل فى الحاكم المستبد .

اليونانى الرومانى - تمثل فى النظام الذى ساد العالم يومئذ .

الجرمانى : تمثل فى ظهور شخصية الانسان من حيث هو انسان .

ولا شك فى أننا لا يمكن أن نقبل وجهة نظر هيجل فى التاريخ وتصوره له كما هى دون مناقشة لكن على كل حال هى وجهة نظر فيلسوف له مكانته ويمكن أن توضع على بساط المناقشة .

---

(١) كاسيرر . ارنست : مرجع سابق ص ٤ .

الفصـــل الثــانى

التاريخ عنـد العـرب

مباحث هذا الفصل :

التاريخ عند العرب فى الجاهليـــة (الأيام ، الانساب ، تاريخ ملوك الحيرة) .

تطور علم التاريخ عند العرب بعد الاسلام والعوامل التى أثرت فيه .

المراحل التى مرت بها الكتابة التاريخية عند العرب بعد الاسلام .

مدارس الحركة التاريخية عند العرب المسلمين وخصائص كل منها :

- المدرسة اليمنية (وهب بن منبه) .
- المدرسة الحجازية فى المدينة (عروة بن الزبير ، الزهرى) .
- المدرسة العراقية فى الكوفة ، والبصرة . وبغداد وأئمة مؤرخى القرن الثالث الهجرى .
  (البلاذرى . واليعقوبى ، والدينورى . وابن قتيبة ، والطبرى) .
- مدرسة التاريخ فى مصر والشام .
- مدرسة التاريخ فى الأندلس .

المؤثرات التى أثرت فى الكتابة التاريخية عند العـرب .

أهم المواضيع التى تناولها المؤرخون العرب فى كتاباتهم .

ألممنا بتطور علم التاريخ وتتبعنا المراحل التى مر بها هذا التطور عند الأوربيين والمؤثرات التى أثرت على الكتابة التاريخية عندهم ٠

والأسئلة التى تفرض نفسها علينا بعد ذلك هى :

هل كان للعرب فى الجاهلية اهتمام بالتاريخ ؟

وما التغير الذى طرأ على الكتابة التاريخية بعد الاسلام ؟

وما الأطوار التى مر بها هذا التغير ؟

وما العوامل التى أثرت فى الكتابة التاريخية ؟

كل هذه وأمثالها أسئلة لا بد أنها تجول بالأذهان لندرك موقفنا من هذه الحركة العلمية ودورنا فيها ٠

كان العرب قبل الاسلام يحددون الأوقات بالنجوم والأهلة ، كما كانوا يؤرخون بالأحداث العظيمة الحاسمة ، والوقائع المشهورة ـ كعام الفيل ، وبناء الكعبة ونحوها ٠٠٠ وظل الأمر كذلك حتى كانت خلافة عمر بن الخطاب فأمر أن تتخذ الهجرة النبوية بداية للتاريخ العربى فمضى الأمر على ذلك حتى يومنا هذا (١) ٠

ولا نكاد نجد للعرب فى الجاهلية تاريخا مدونا باستثناء بعض النقوش على المبانى القديمة فى اليمن التى تحكى أخبار بعض ملوكهم وشؤونهم العامة. وكذلك أخبار ملوك الحيرة المسيحيين التى كانت مودعة فى الأديرة والكنائس ببلادهم (٢) ٠

لكن العرب كانوا يتذاكرون أيامهم عن طريق الرواية الشفوية ويتفاخرون بما أحرزه أجدادهم من انتصارات ، وذلك عن طريق الشعر أو النثر ٠ وبالطبع اصطبغت أمثال هذه الأشعار بالمغالاة ٠

كذلك كانت القبائل تتفاخر بنسبها ، وتحرص على أن تلقنه لأطفالها

---

(١) العبادى ، عبد الحميد : علم التاريخ ص ٣٤ ٠

(فصل اضافه للترجمه العربية لكتاب هرنشو السابق الاشارة اليه) ٠

(٢) الطبرى تاريخ الامم والملوك جـ ٢ ص ٣٧ ٠

فتتناقله الاجيال . وكان ذلك مصحوبا بالطبع بقصص البطولات المرتبطة بهذه القبائل . وقد ظلت للانساب أهميتها بعد الاسلام للاستعانة بها فى تقدير العطاء للجند .

وهكذا وصلتنا روايات عن عرب اليمن وملوكهم . فقد أورد هؤلاء الرواة قصصا خيالية لتاريخ اليمنيين نسبوا فيها اليهم أمجادا فى الحرب ، وفى الأدب ، واللغة .. ليدللوا على أنهم سبقوا عرب الشمال فى أمجادهم أو انهم لا يقلون عنهم فى ذلك .

كما وصلتنا اخبار عرب الشمال مما هو محفوظ فى نقوش وكتب كنائس وأديرة الحيرة ، بالاضافة الى الروايات الشفوية عن غزواتهم ومعاركهم (الأيام) وحول انسابهم .

ويلاحظ أن الروايات القبلية حول غزوات العرب ومعاركهم والتى أطلقوا عليها لفظ (الأيام) كانت فى البداية شفهية البصورة نثرية ، لكن تخللها الشعر وأعطاها أهميته ، وكانت تسليهم فى المجالس القبلية المسائية ، وبقيت كذلك بعد ظهور الاسلام وحتى القرن الثانى الهجرى (الثامن الميلادى) حين جمعت الروايات وصنفت ، وهكذا صارت (الأيام) جزءا من الأخبار التاريخية ، كما أن ورود الشعر فيها جعلها موضع اهتمام اللغويين ، والمؤرخين .

ويذكر حاجى خليفة « ان علم ايام العرب هو علم يبحث فيه عن الوقائع العظيمة ، والأهوال الشديدة بين القبائل .. وينبغى لذلك أن يجعل فرعا من فروع التواريخ » (١) .

وكانت للعرب قبل الاسلام صلاتهم ببعض الشعوب المجاورة لهم كالروم والفرس ، سواء بسبب الاحتكاك التجارى أو الحربى ـ لذلك كان طبيعيا أن تتناول قصصهم ورواياتهم شيئا من تاريخ هذه الشعوب وأخبار ملوكهم .

فلما جاء الاسلام ، وقامت الدولة العربية ـ أصبحت الحاجة ماسة

---

(١) خليفة . حاجى : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون جـ ١ ص ٢٠٤ .

لتدوين التاريخ ، واتسع هذا العلم وتطور حتى أصبح من أهم العلوم عند العرب — وذلك لأسباب :

١ — السيرة والمغازى :

عنى المسلمون بجمع الأحاديث النبوية ليفسروا بها القرآن ، وليسترشدوا بها فى معرفة أحكام الدين ، وكانت هذه الأحاديث يتعلق بعضها بحياة النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة والغزوات ، وما حدث خلالها ، ولذلك وجد المتخصصون فى رواية الحديث (المحدثون) ، وكانت لهم منزلة كبيرة عند الناس ، فهم الذين يحدثون الناس عن أقوال الرسول وأفعاله ، وهذه لها أهميتها عند عامة الناس ، وعند الحكام للاعتماد عليها فى **التشريع** ، وفى تنظيم الادارة ، وفى شؤون الحياة عامة ، فهى أصل من أصول التشريع فى الاسلام •

• كذلك جعلت الفتوحات الكبرى ومغازى الرسول ، وغزوات أصحابه — العرب يحسون بأن لهم دورا تاريخيا خطيرا يستحق التسجيل والتمجيد ، كما كانت مواضيع محببة فى مجالس السمر •

٢ — رغبة المسلمين فى فهم ما جاء فى القرآن والسنة — من اشارات الى الأمم الغابرة . وعلى ذلك كان الاهتمام بالرواية التاريخية التى تتناول أخبار الأمم القديمة . وتاريخ الأنبياء السابقين ، وأصول الجاهلية . وحوادث الاسلام •

وقد اشتمل القرآن والسنة على كثير من أخبار اليهود والنصارى الصابئيين والمجوس ، وكان تعرضه لها مختصرا ، فأراد المفسرون أن يتوسعوا فى تفسير ذلك . فكان مجالهم أخبار اليهود والنصارى وغيرهما مما ورد فى التوراة والانجيل وشروحها وحواشيها والطبرى فى تاريخه « تاريخ الأمم والملوك » يتعرض لذلك ويهتم بالتعريف برواة الأخبار لكل أمة من الأمم التى عرفها العرب •

وهذه الروايات الشعبية هى مزيج من القصص الشعبى والاسرائيليات

وممن اشتهر من الرواة وهب بن منبه (ت ١١٤ هـ ـ ٧٣٢ م) وسنفصل ذلك عند الحديث عن مدارس التاريخ العربي (١) ٠

٣ ـ رغبة الخلفاء في الاطلاع على سياسات الملوك ليعرفوا كيف يسوسون شعوبهم ، خاصة بعد أن تعددت الشكلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها في الدول العربية وتشعبت المشكلات شئونها ٠

وقد ذكر المسعودي ان معاوية كان بعد أن يفرغ من عمله « يستمر الى ثلث الليل يستمع الى أخبار العرب وأيامها ، والعجم وملوكها ، وسياستها لرعيتها ، وغير ذلك من أخبار الأمم السابقة ٠٠ ثم يدخل فينام ثلث الليل ، ثم يقوم فيقعد فيحضر الدفاتر فيها سير الملوك وأخبارهم ، والحروب والمكايد فيقرأ ذلك عليه غلمان له مرتبون ٠٠ فتمر بسمعه كل ليلة جملة من الأخبار والسير والآثار وأنواع السياسات » (٢) ٠

٤ ـ تقدير الجزية والخراج : رغبة الولاة في معرفة ما فتح من الأقطار صلحا ، وما فتح عنوة ، أو بعهد ٠ فقد كان النظام المالي مع هذه الأقطار من جزية وخراج يختلف تبعا لذلك ، وقد دعا هذا مؤرخي البلدان أن يعقدوا الفصول الطويلة يبينون فيها حال البلد في الفتح ٠٠ مثال ذلك « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي ، و « فتوح البلدان » للبلاذري (٣) ٠

٥ ـ نظام العطاء والجند : كان مرتبا حسب الأنساب ، وحسب الأسبقية الى الاسلام ٠

---

(١) الاسرائيليات ـ يقصد بها الاحاديث الاسرائيلية المتعلقة بأحداث جاء ذكرها في القرآن الكريم ويشير اليها ابن كثير . ويذكر انها تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد . ويقسمها الى ثلاثة أقسام :

أحدها ـ ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح ٠

الثاني ـ ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه ٠

الثالث ـ ما هو مسكوت عنه . لا من هذا القبيل . ولا من هذا القبيل ـ فلا نؤمن به ولا نكذبه . ويجوز حكايته ، ومثال ذلك ما لا فائدة عنه تعود الى أمر ديني ـ مثل أسماء أصحاب الكهف . وعصا موسى من أي الشجر كانت ٠

اسماعيل . أبو الفداء . بن كثير القرشي الدمشقي : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٤٠ ٠

(٢) المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ج ٣ ص ٥٢ ٠

(٣) أمين ، أحمد : ضحى الاسلام ج ٢ ص ٢٣٩ ٠

وهكذا استلزم تنظيم شئون الدولة المالية الاهتمام بهذا النوع من التاريخ فظهرت كتب (الطبقات) ٠

٦ ـ احتكاك العرب بشعوب وأمم لها تاريخها ، فكان من الطبيعي أن يكون للعرب تاريخهم ٠ يظهرون للشعوب الأخرى أنهم وإن كانوا حديثي العهد بالحضارة لكنهم قادرون على أن يسايروا الحضارات الأخرى ، وأن يستوعبوا منها ما يلائمهم بل وأن يتفوقوا عليها ٠

٧ ـ ازدهار حركة الترجمة والتأليف عامة باتساع الدولة العربية وتطورها وتشجيع الخلفاء لهذه الحركة العلمية ، فكان طبيعيا أن يكون للتاريخ حظه من هذا التطور والتقدم ٠

٨ ـ حوادث الخلاف بين المسلمين ، كالذى كان بين المهاجرين والأنصار عقب وفاة النبى (ص) ، والخلاف بين الأمويين والشيعة ، وبينهم وبين الخوارج ٠ كل هذا أدى للكتابة لتكون مجالا يدعم به كل فريق عقائده فى هذه المسائل السياسية ٠

على أن الكتابة التاريخية عند العرب بعد الاسلام مرت فى أطوار مختلفة نجملها فيما يلى :

أولا ـ القصص والأساطير الشعبية :

هذه المرحلة امتداد لما كان سائدا قبل الاسلام ، وقد أشرنا لذلك من قبل ٠ وكان طبيعيا أن يستمر هذا اللون من الرواية التاريخية عن أيام العرب وحروبهم وعلاقاتهم بالشعوب التى اتصلوا بها فقد ظل القصاص و (الإخباريون) يرددون هذا النوع من القصص المبالغ فيها ، وهى لا تعتمد كثيرا على توقيت تاريخى لما ترويه من أحداث لكنها تتناول الحروب الهامة والأحداث الفاصلة دون اهتمام بالربط التاريخى ٠

وقد وفرت هذه القصص مادة للشعراء ـ لكن لم يكن معقولا أن يستمر الحال على هذا المنوال بعد أن تعددت أحداث الجزيرة العربية فأصبح الأمر

يستلزم دقة أكثر وربطا للأحداث وتركيزا على الهام منها المرتبط بمصير العرب وبالدين الجديد ٠

ثانيا ـ مؤرخو السيرة والمغازى :

اشتهر عدد من الكتاب بالتأريخ للسيرة النبوية ومغازى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وغزوات أصحابه ٠ ولعل أول ما ظهر فى هذا الشـــأن هو كتاب موسى بن عقبة المتوفى سنة ١٤١ هـ ، ثم كتاب محمد بن اسحق المتوفى سنة ١٥٠ هـ الذى اختصره عبد الملك بن هشام ، ومن بعد ذلك مغازى الواقدى المتوفى سنة ٢٠٧ هـ ثم طبقات بن سعد المتوفى ٢٣٠ هـ (١) ٠

وسنشير لعدد آخر من كتاب السيرة والمغازى فيما بعد ٠

لكن لم تقتصر كتابات هؤلاء على السيرة النبوية ، أو ذكر الغزوات فقد كان الكاتب عادة حتى القرن الثانى الهجرى يبدأ بالحديث عن أخبار الماضى ، ثم يتعرض لأحوال السيرة النبوية ، ثم يختم بالحديث عن أخبـــار الدولة الاسلامية ٠

وظلت كتابات هؤلاء المؤرخين متـــأثرة بالتيار القصصى السالف الذكر ٠

ولعل الرسول صلى الله عليه وسلم كان يمثل فى هذه السير ـ فى نظرهم ـ دور البطل فى قصص الجاهلية ٠

وهكذا نرى أن الكتابة التاريخية فى هذه المرحلة ـ استمرار لما كان يوجد فى الجاهلية ٠ ويمكن أن نقول أن هذه الكتابة حتى هذه المرحلة لم تكن قد تأثرت بعد بمؤثرات خارجية بل كانت عربية خالصة ٠

ولذا تظهر فيها الخصائص التى لمسناها فى الجاهلية من الاهتمـــام (بالأيام) و (الأنساب) ٠ ولعل ذلك يتمثل خير تمثيل فى كتابات محمد بن السائب الكلبى المتوفى عام ١٤٦ هـ (٢) ٠

---

(١) الكلاعى . الاكتفاء فى مغازى رسول الله والثلاثة الخلفاء جـ ١ المقدمة ص ١ ٠

(٢) نصار ، حسين : مرجع سابق ، ص ٧٣ ، ٧٤ ٠

ثالثا : منذ أوائل القرن الثالث الهجرى توفرت المصادر الأصلية للمادة التاريخية لخدمة المؤرخين العرب ــ فقد استقرت دواوين الدولة العباسـية (ديوان الانشاء ، وديوان الجند ، والخوارج ، والبريد ...)

وتيسر للمشتغلين بالتـاريخ أن ينتفعوا مما فى هذه الدواوين من المراسلات الرسمية أو العهود ، أو الاحصاءات ٠

كما أن الأحداث نفسـها من ولاية كبار رجال الدولة ، أو الوقائع والغزوات أو أعمال القضاة ، أو غير ذلك ــ وفرت مادة علمية دسمة للكتابة التاريخية ٠

وقامت فى هذا العصر حركة النقل عن اللغات الأجنبية كالفارسـية ، والسريانية ، واليونانية ، واللاتينية ٠

بدأ هذه الحركة ــ حركة الترجمة ــ ابن المقفع بترجمة كتابى (خبر نيامه) ، و (آيينامه) فى تاريخ الفرس . وكذلك البلاذرى المتوفى عام ٢٧٩هـ الذى ترجم الى العربية عهد (اردشير) (١) ٠

على أن سهولة التنقل التى توفرت بين أنحاء الدولة الاسلامية فى تلك العهد ــ أتاحت فرصة للمؤرخين ، وطلاب العلم للرحلة لمشاهدة عجائب البلاد وآثارها ، والأخذ عن الشيوخ والمشهود لهم بالدقة والصدق ٠

وعلى هذا يمكن أن نجمل مصادر التاريخ التى أخذ منها مؤرخو هذه الحقبة فى أربعة :

(أ) كتب السيرة والأخبار ٠
(ب) السجلات الرسمية ٠
(جـ) الكتب المترجمة عن اللغات الأجنبية
(د) المشاهدة والمشافهة ٠

---

(١) العبادى . عبد الحميد : مرجع سابق ص ٤٩ ٠
(عن الفهرست ص ٠ ص ٦٤ ، ١٧٢) ٠

رابعا : لما تعرضت الدولة العباسية للحركات الانفصـــالية ، وتداعت الوحدة السياسية للدولة وانفصلت عنها فى الشرق والغـــرب ـ دويلات متعددة تأثرت الكتابة التاريخية بهذا التفرق السياسى الذى أصاب الدولة ٠

فبعد أن كانت حاضرة الخلافة هى مركز الحركة الثقافية ومحورها ـ تعددت المراكز ، وتنافست بغداد ، وأصفهان ، وحلب ، والحواضر المصرية ، والقيروان ، وقرطبة وغيرها ٠

وكثر العلماء فى الأمصار المختلفـــة ، وترتب على ذلك التركيز على (التواريخ المحلية) ٠ فكتب ابن عبد الحكم (ت ٢٥٧ هـ) كتاب فتوح مصر والمغرب ، والكندى (ت ٣٥٠ هـ) كتاب ولاة مصر وقضاتها ، وابن عـــسكر (ت ٥٧١ هـ) تاريخ دمشق ، وابن عذارى كتاب البيان المغرب فى أخبـــار المغرب ٠

على أن ذلك لم يحل دون الاستمرار فى تدوين سلاسل التـــاريخ العـــام للأمة الاسلامية كلها (١) ٠

فكتب المسعودى (ت ٣٤٦ هـ) مروج الذهب وأخبار الزمان ٠
وابن مسكويه (ت ٤٢١ هـ) ـ تجارب الأمم ٠
وابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) ـ الكامل فى التاريخ ٠
وأبو الفداء (ت ٧٣٢ هـ) ـ المختصر فى أخبار البشر ٠
وابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر ٠

خامسا : تعرض العالم الاسلامى بعد ذلك للأطماع الأجنبية ، فأغار عليه الصليبيون فى القرنين الخامس والسادس الهجريين ، كما أغار التتـــار على عاصمة الخلافة العباسية ودمروها ، هذا بالاضافة الى ما أصاب الخلافة الأموية فى الأندلس من انقسام فقامت (ممالك الطوائف) بها ، ثم أخذت تسقط الواحدة تلو الأخرى حتى لم يبق للمسلمين فى الأندلس (فردوس العرب المفقود) الا غرناطه التى حكمها بنو الأحمر حتى سقوطهم فى يد الأســـبان فى عام ١٤٩٢ م ٠

وأثرت كل هذه الأحداث بلا شك فى الكتابة التاريخية عند العرب ـ

---

(١) العبادى ، عبد الحميد : مرجع سابق ص ٤١ ٠

فانبرى عدد من المؤرخين يتناولون بالتعليل والتحليل ـ عوامل قيام الدول وأسباب قوتها ـ وعلل انحلالها وسقوطها .

ولا شك فى أن هذا الاتجاه ساعد المؤرخين العرب على الخروج عن المألوف ـ سواء فى سرد الأحداث أو ذكرها منسوبة لمصدرها دون تعليل أو تعليق ـ الى أن يقفوا من الأحداث موقفا فلسفيا عميقا ليصلوا الى أسبابها ويحللوا النتائج التى ترتبت عليها .

سادسا : على أن التطور الهام فى التدوين التاريخى عند العرب يتمثل فى النظرة للتاريخ على أنه علم له أصوله فى البحث والكتابة .

ويعتبر ابن خلدون فى مقدمة الذين نهجوا هذا النهج ونادوا بهذا المبدأ .

فقد كتب فى مقدمته فى فضل علم التاريخ ، وتحقيق مذاهبه ، وأشار الى أخطاء المؤرخين فحذر من الوقوع تحت تأثير النقل من الأقدمين ـ دون مراعاة لأصول البحث العلمى التى شرحها وأوضحها فى مقدمته (١) .

---

(١) ولد ابن خلدون ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ـ فى تونس ، وتولى عدة مناصب فى القصور الملكية بفاس ، وغرناطة ، وبوجيه ، وتونس ـ وتوفى بالقاهرة فى ١٩ مارس ١٤٠٦ م حيث كان يعلم فى الأزهر الشريف ـ وقد قضى فى مصر مدة بلغت ٢٤ عاما وكتابه « العبر وديوان المبتدأ والخبر » قسمه الى ثلاثة أقسام :

القسم الأول (المقدمة) : عرض فيها الأصول العامة لعلم التاريخ ، والأسس الفلسفية لتاريخ الشعوب الاسلامية .

القسم الثانى : يتناول تاريخ الشعوب العربية وما جاورها من الأمم الشهيرة .

القسم الثالث : يتناول تاريخ البربر والأسر الاسلامية فى شمال افريقيا .

وقد ترجمت مقدمته لعدة لغات ، وترجمت الى التركية مرتين ـ الأولى طبعت بالقاهرة عام ١٧٣١ م ، والثانية ترجمها جودت باشا مؤرخ الدولة العثمانية ـ وطبعت بالأستانة سنة ١٢٣٧ هـ ، كما ترجمها الى الفرنسية البارون (ده سلاز) ، وتوجد نسخة من المقدمة بدار الكتب المصرية عليها تصحيحات بقلم ابن خلدون نفسه ، كما توجد فى (فاس) بالمغرب نسخة أخرى ممهورة بخطه .

ولمن يريد المزيد عن ابن خلدون ومؤلفاته ـ أنظر :

بدوى ، عبد الرحمن : مؤلفات ابن خلدون (القاهرة ١٩٦٢) .

كذلك اتجه هذا الاتجاه • فى ابراز قيمة التاريخ كعلم ـ السخاوى فى كتابه « الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » ـ وهو عبارة عن مقالة طويلة عن التاريخ وفضله كعلم ، تحدث فيها عن علم التاريخ لغة واصطلاحا ، وبين فائدته وذكر بعض المصنفات التاريخية وأربابها ومتى بدأ الاهتمام به ، وذم من ذم التاريخ (١) •

مدارس الحركة التاريخية عند المسلمين (٢) :

فى ضوء ما تقدم نجد أن هناك خمسة مدارس واضحة المعالم فى تطور الحركة التاريخية عند العرب •

اولا ـ المدرسة اليمنية :

وقد اهتمت بأخبار أهل الكتاب ، وتاريخ اليمن • والتاريخ فيها قصص وأســاطير •

فهى استمرار للتيار الجاهلى ، والمؤرخــون هنا قصاص شعبيون أو اخباريون يرددون الروايات التاريخية كما هى دون محاولة جادة لنقدها أو تخليصها من الخرافات •

ففيها تبدو بوضوح الســمات التى ذكرناها عن الروايات اليمنية فى طابعها الأسطورى القصصى فهى مزيج من القصص الشعبى ، والاسرائيليات، وفيها تمجيد لعرب اليمن ، كما أنها فى أسلوبها لا تخرج كثيرا عن أسـلوب قصص أيام العــرب •

والبعض ينظــر لرواد هذه المدرسة على أنهم قصــاص اكثر منهـم مؤرخين •

وفى مقدمة هؤلاء وهب بن منبه ، وعبيد بن شريه •

---

(١) مخطوط بدار الكتب المصرية •
وقد صدرت منه طبعة فى دمشق ١٣٤٩ هـ •
(٢) مدرسة هنا نعنى بها الحركة العلمية لا البناء الخاص بالتعليم •

وسنشير ـ لوهب بن منبه ـ بشيء من التفصيل باعتباره يمثل بحق هذه المدرسة اليمنية ··

ورغم أن البعض زج بوهب بن منبه في نطاق أهل المغازى ـ لكن وضعه الحقيقي في نطاق هذه المدرسة اليمنية بطابعها الذى اشتهرت به من اهتمام بالقصص والاسرائيليات (١) ·

ولد وهب بن منبه في اليمن ، وهناك اختلاف في تاريخ ولادته ، وفي تاريخ وفاته · لكن لعل الأرجح أنه ولد في سنة ٣٤ هـ (٦٥٤ ـ ٦٥٥ م) كما يذكر الدورى (٢) ·

ويصفه كل من ياقوت ، وابن خلكان ، والذهبى (بصاحب الأخبار والقصص) ·

وهو يستقى مواده من الروايات الشفوية ، ومن كتب الأنبياء وغيرها ، فقد اشتهر بسعة الاطلاع ·

فقد روى قطعا من العهد القديم (التوراة) ، خاصة من المزامير وسفر التكوين ، ولعله آخذ أيضا من الانجيل معلومات عن ميلاد المسيح وحياته ، وعن بداية المسيحية وانتشارها في اليمن بالذات ·

ونسبت اليه العديد من المؤلفات ، رغم أنه لم يصلنا منها الا القليل من المقتبسات التى اقتبسها بعض الكتاب عنه مثل الطبرى ، وابن قتيبة وغيرهما ·

ومما ينسب اليه انه ألف « أحاديث الأنبياء ، والعباد ، وأحاديث بنى اسرائيل » و « مبتدأ الخلق » و « الاسرائيليات » وكتاب « الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم » ·

ويبدو من هذا انه اهتم بالكتابة عن ـ خلق السموات والأرض ، وقصص الأنبياء ، وخاصة من بنى اسرائيل ·

---

(١) الدورى ، عبد العزيز : بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ص ١٠٣ ·
(٢) نفس المرجع ونفس الصفحة ·

وبالاضافة لهذا ألف وهب فى المغازى ـ لكن لم يشر لكتاباته هذه فى كتب السيرة ـ مما يجعلنا أن نضعه فى مكانه الصحيح باعتباره من كتاب الأقاصيص والأساطير اليمنيين ، وانه امتداد لفترة ما قبل الاسلام ، وان له آثاره التى امتدت لفترات تالية ، فقد ادخل (عنصر القصة) فى حقل التاريخ الاسلامى · ولا يخفى علينا أن القصص الشعبى عن السيرة وعن المسلمين الأوائل هو ـ كما قلنا ـ امتداد للقصص القديم فى أسلوبه وطريقته ·

فدور وهب بن منبه وأمثاله اذن هو أنهم كانوا أول من وضعوا هيكلا ـ وان كان قصصيا ـ لتاريخ النبوة منذ بدء الخليقة حتى ظهور الاسلام ، وقد تأثر بهم بعض المؤرخين التاليين ·

ولم يكن للاخبار والروايات فى البداية أسانيد ، بل استمرت كجزء من الثقافة العامة وهى تهم الجميع ، وكان رواة الشعر أو مشايخ القبائل هم الرواة الأساسيون لها ، وهكذا استمر هذا الوضع الى فترة فى المجتمع الاسلامى الأول كما كان الوضع قبل الاسلام ـ لكن ظهور الاسلام ، واستقرار القبائل فى الأمصار أدى الى تغيير كبير خاصة حين بدأ الاهتمام بالكتابة والقراءة وحدثت ثورة ثقافية كان للتاريخ بالطبع نصيبه فيها ·

هذا وقد ارتفع شأن القصص حتى أصبح عملا رسميا يعهد به الى رجال رسميين يعطون عليه أجرا ـ فقد ذكر الكندى فى كتابه (القضاة) أن كثيرا من القضاة كانوا يعينون أيضا (قصاصا) ، وكان القاضى يجلس فى المسجد وحوله الناس فيذكرهم بالله ويقص عليهم حكايات وقصصا عن الأمم الأخرى وهكذا (١) ·

ثانيا ـ المدرسة الحجازية (فى المدينة ومكة) :

هى مدرسة كتاب السيرة والمغازى (٢) ·

---

(١) امين ، أحمد : فجر الاسلام ص ١٩٠ وما بعدها ·

(٢) أصل المغازى ـ جمع مغزى ، ومغزاة وكلاهما معناه موضع الغزو ، أو الغزو نفسه . ثم توسعوا فى معناها فاطلقوها على مناقب الغزاة وغزواتهم ، ثم استعملوها استعمالا واسعا للدلالة على حياة النبى صلى الله عليه وسلم حتى جعلوها مرادفة للسيرة ـ أنظر :

امين ، أحمد : ضحى الاسلام جـ ٢ ص ٣١٩ ·

الذين اهتموا بعرض الظروف والأحداث التاريخية الهامة في حياة الرسول والمسلمين الأولين .

وقد اعتمدوا على شيئين :

الأول - ما كان دائرا بين العرب من أخبار الجاهلية .

الثاني - أحاديث رواها الصحابة ، والتابعون ومن بعدهم عن حياة النبي (ص) وعن ولادته ونشأته ودعوته الى الاسلام ، وجهاده مع المشركين، وغزواته . وعلى الجملة أخباره الى حين وفاته .

ويقسم الدكتور أحمد أمين مؤرخي السيرة والمغازي حسب المصادر التي استقوا منها معلوماتهم الى ثلاث طبقات (١) .

وقد سار هؤلاء الكتاب على نمط علماء (الحديث) في كتاباتهم ، من الاهتمامبالأسانيد .

ومن الطبيعي أن تكون المدينة هي أهم مصدر للمغازي فقد وقعت اكثر الأحداث تحت أعين أهلها .

وشملت كتاباتهم ما اتصل بعهد الرسول ، والخلفاء الراشدين والأمويين أيضا - وسنشير بايجاز لاثنين من أبرز المنتمين لهذه المدرسة وما تناولته كتاباتهما ، لالقاء الضوء على هذه المدرسة التاريخية واهتماماتها ، واتجاهات أتباعها - وهما عروة بن الزبير ، وتلميذه أبو بكر محمد بن مسلم بن عبد الله ابن عبد الله بن شهاب الذي اشتهر باسم الزهري (٢) .

أما عن عروة بن الزبير - فهو ينتسب من جهة الأب والأم لأسرتين من

---

(١) أمين ، أحمد : ضحى الاسلام ج ٢ ص ٣٢٠ .

(٢) لمن يريد تفصيلات اكثر عن هذين الفقيهين يرجع الى :

(أ) الدوري : مرجع سابق .

(ب) هوروفتش . يوسف : المغازي الاول ومؤلفوها (تعريب نصار . حسين- القاهرة ١٩٤٩) .

اشراف قريش ، فأبوه القائد العربى الزبير بن العوام ، وأمه أسماء بنت أبى بكر (١) ·

ولد سنة ٢٣ هـ (٦٤٣ م) وتوفى سنة ٩٤ هـ (٧١٢ م) ونشأ فى المدينة وزار مصر وأقام بها سبع سنين ، كما زار دمشق عدة مرات · كان زاهدا فى الدنيا ، محبا للعلم ، أمضى حياته بين الدرس والتدريس حتى أصبح من فقهاء المدينة ، ولم يزج بنفسه فى الأحداث السياسية فى زمنه ، ومع أنه كان ضد سياسة الأمويين فقد احترموه لعلمه فكانوا يسترشدون بعلمه ومعرفته فيما يتعلق بالأحداث الخاصة بفترة الرسالة ·

فقد أرسل الخليفة عبد الملك بن مروان يسأله عن حوادث تتعلق بالرسالة وقد ذكر الطبرى بعضها (٢) ·

وقد اهتم عروة فى كتاباته بالاسناد فى غالب الأحيان وهذا يعطى لكتاباته اهمية خاصة · لكنه لم يلتزم بهذا فى كل رواياته ·

وعلى كل لم تكن قواعد الاسناد قد تبلورت وثبتت بعد فى زمنه (٣) ·

وقد قال عنه تلميذه الزهرى فيما بعد « كان عروة بحرا لا يكدره الدلاء » (٤) ·

ولعل هذا الوصف ينطبق فعلا عليه · وقد تناول بالكتابة الأحداث المتعلقة بـ :

---

(١) أنظر نسبه كاملا فى :

البلاذرى : أنساب الاشراف جـ ٥ ص ٣٧١ ·

(٢) عن صلته بالامويين ـ انظر :

ابن خلكان : وفيات الاعيان جـ ٢ ص ٤٢٠ ·

(٣) الاسناد ـ يقصد به ذكر سلسلة الرواة أو المحدثين أى مصدر المعلومات · فقد أدخل هذا عنصر البحث والتحرى والتدقيق فى الروايات ، وبالطبع كان أساسا هاما للرواية التاريخية والبحث السليم ·

(٤) الاغانى (طبعة دار الكتب) جـ ١ ص ٨٩ ، ٩٣

١ _ بعث الرسول ، ونزول الوحى ، وبداية الدعوة وموقف قريش من المسلمين ٠

٢ _ الهجرة الى الحبشة وأسبابها ٠

٣ _ ازدياد مقاومة قريش للدعوة ، وهجرة الرسول (ص) الى المدينة٠

٤ _ ثم تحدث عن المغـازى ٠

٥ _ ورسائل البنى الى الجهات المختلفة ٠

٦ _ الفترة الأخيرة من حياة الرسول ٠

ولم يقتصر عروة على المغازى بل تعرض لفترة الخلفاء الراشدين ، فتحدث عن حروب الردة فى خلافة أبى بكر ، وعن حروب الشـــــام ، وعن مواضيع أخرى جاءت فى رسالة عبد الملك بن مروان له ٠

ويختلف تناوله لهذه الأحداث ، فأحيانا لا يعدو الأمر اشارات عابرة ، وفى بعض الأحيان يأتى بتفصيلات ٠

واتبع عروة أسلوب أهل (الحديث) فى كتابته ، ومكنته منزلته ، وصلاته الاجتماعية من أخذ الروايات والمعلومات من منابعها ٠

وقد أورد بعض كتب الرسول الى الجهات المختلفة ، وفى هذا اتجـاه الى ما عرف فيما بعد (بالتوثيق) فى الكتابة التاريخية ٠ كما استشهد بالآيات القرآنية ، وكان أحيانا يورد بعض الشعر على لسان المشتركين فى الأحداث ٠

ويتميز أسلوبه بالسلامة ، والبعد عن المبالغة ، وكان يمهد للحـــادثة بمقـــدمة ٠

وهكذا جمع عروة ما هو متداول عن الأحداث التاريخية المرتبطة بالمغازى وأسهم فى وضع بعض الأسس التى تقوم عليها الدراسة التاريخية لهذه الفترة الهامة فى تاريخ الاسلام ٠

وقد أورد كل من الطبرى (١) ، والبـــلاذرى (٢) وكذلك الذهبى (٣)

---

(١) تاريخ الامم والملوك

(٢) فتوح البلدان

(٣) تراجم رجال روى عنهم محمد ابن أسحق ٠

بعضا مما كتبه عروة عن المغازى · أما عن الزهرى ، أبى بكر محمد بن مسلم بن عبد الله بن عبد الله بن شهاب ـ فهناك أيضا اختلاف فى تاريخ ولادته · لكن يرجح أنه ولد عــــام ٥١ هـ (٦٧١ م ـ وتوفى عن ٧٢ سنة فى عام ١٢٤ هـ (٧٤٢ م) · وقد أخذ عن أعلام المحدثين الذين يقول عنهـم (أنهم بحور للعلم) ، ومنهم استاذه عروة بن الزبير ·

ويذكر انه قام ببحث واسع فى المدينة عن أحاديث الرسول والصحابة، ساعده فى ذلك مكانته الاجتماعية . وذاكرته القوية ، واستعانته بالكتابة فقد كان يكتب كل ما يسمع من احاديث ·

ويقال انه كان يغشى المجالس . ويزور الأشخاص لهذا العرض · ذكر عنه الذهبى : « انه كان يأتى المجالس من صدورها ولا يأتيها من خلفها ، ثم يأتى الدار من دور الأنصار فلا يبقى شابا ولا كهلا ولا عجوزا ولا كهلة الا ساءلهم، حتى يحاول ربات المحجال » (١) ·

واشتهر الزهرى كمحدث وفقيه بالاضافة الى كونه مؤرخا ـ قال عنـه الطبرى · « كان محمد بن مسلم الزهرى مقدما فى العلم بمغازى رسول الله (ص) ، وأخبار قريش ، والانصار ، ورواية لأخبـــار رسول الله (ص) وأصحابه » (٢) ·

وقد وصلتنا مقتطفات من مغازى الزهرى فى ابن اسحق ، والواقدى ، والطبرى والبلاذرى ·

وقد حاول الدورى أن ينظم هذه المقتطفات ، وتسلسلها تاريخيا ليصـل الى تصور تقريبى لهذه المغازى (٣) ·

ويتضح منها أنه كتب عن :
بداية الخليقة ، وأخبار الانبياء الماضين . والأحداث التى شهدها النبى

---

(١) تراجم رجال روى عنهم محمد ابن اسحق ص ٦٩
(٢) الطبرى : المنتخب من كتاب ذيل المذيل (المطبعة الحسينية) ص ٦٧
(٣) الدورى : مرجع سابق ص ٨٢ وما بعدها

قبل الاسلام ، وانتقل الى دور الرسالة فتحدث عن الفترة المكية من بدء نزول الوحى الى بيعة العقبة ، ثم الفترة المدنية من الهجرة فالمغازى والسرايا ، ثم رسائل وسفارات الرسول الى هرقل وكسرى ثم يشير الى حجة الوداع ، والمرض الأخير للرسول ووفاته وأثر ذلك ٠

وهكذا أعطى الزهرى اطارا واضحا للسيرة النبوية ٠ وقد راعى بصورة عامة التسلسل التاريخى للحوادث ، وذكر بعض التواريخ ـ مثل تاريخ الهجرة، وتواريخ بعض الغزوات ٠

وهو يهتم الى حد كبير بالاسناد ، وقد خطا خطوة هامة نحو الأخبار التاريخية المتصلة ـ حين اتخذ (الاسناد الجمعى) ، وذلك بجمع عدة روايات فى قصة متسلسلة يتقدمها رجال الأسانيد ، وهو كذلك يكثر من ذكر الآية القرآنية التى تتصل بما يورد من أخبار ٠

وأسلوبه يتصف بالصراحة والبساطة ، والتركيز . وقلما يلجأ للمبالغة، وكان يعتمد على (الأحاديث) ، بينما نظر للقصص الشعبى على أنه مادة للتسلية فحسب (١) ٠

ويورد الزهرى أحيانا بعض الأشعار المتعلقة بالأخبار التى يذكرها ٠ وبالاضافة الى المغازى ـ كتب الزهرى فى : الانساب ، وتاريخ صدور الاسلام، كما تناول فترة الخلفاء الراشدين فتحدث عن اختيار ابى بكر خليفة ، وعن فترة خلافته ، كما تحدث عن انشاء ديوان الجند فى عهد عمر بن الخطـــاب ٠

وعن بعض الأحداث فى عصره ، وعن خلافة عثمان ، ثم تحدث عن الفتنة والانقسامات فى المدينة ، فنهاية عثمان وانتخاب على ، وعن النزاع بين على ومعاوية ووقعة الجمل ، ومعركة صفين ، والتحكيم ، والأحداث التى أدت الى تنازل الحسن بن على ـ ويبدو انه لم يعالج الفترة الأموية ٠

وهكذا تظهر أهمية الزهرى ـ بالاضافة الى ما كتبه عن السيرة النبوية ـ فى القاء الضوء على الأحداث الهامة الخاصة بظهور الأحزاب السياسية ،

---

(١) الذهبى ـ مرجع سابق ص ٧٣ ، ٧٤ ٠

والجدل بينها فيما يتعلق بمسألة الخلافة ـ هل هى بالانتخاب أم الوراثة ، والنظام الادارى ، والأحداث الخاصة بالنزاع بين على ومعاوية وغير ذلك من أحداث الأمة الاسلامية فى ذلك العصر ٠

وهو بذلك يعرض لنا الأحداث الهامة ـ على الأقل ـ من وجهة نظـر رجل من البارزين من رجال المدينة ٠

ويقال ان الزهرى ذهب الى دمشق لفترة فى زمن يزيد بن عبد الملك ، وأن هشام بن عبد الملك جعله مؤدبا لولده ، وطلب اليه أن يملىء الحديث لفائدة أولاده ، « وخصص كاتبين ليصحباه ويحضرا دروسه ، وليـدونا أحاديثه ، وقد وجدت جل تأليفه فى خزانة كتب البلاط الأموى » (١) ٠

وهكذا يعتبر الزهرى أول من وضع الخطوط الرئيسية لكتابة السيرة النبوية على أساس دراسة جدية ، كما يذكر له دوره فى ضبط أحاديث المدينة ورواياتها ٠ فاذا كان عروة بن الزبير رائد علم التاريخ فان الزهرى مؤسس المدرسة التاريخية فى المدينة ٠

من هذا العرض نستنتج ما يلى :

١ ـ ان أكثر كتاب السيرة والمغازى كانوا من أهل المدينة المنورة ، لأن أكثر أحداث السيرة من تشريع مدنى ، ومغاز كان والنبى (ص) فيها ، وكان من حوله من أصحابه أعرف الناس بتلك الأخبار ، وبدأ تدوين هذه الأحـداث فى المدينة ٠

٢ ـ كانت السيرة والمغازى جزءا من الحديث يرويه الصحابة ، وكان من بعدهم يرويها عنهم ٠

٣ ـ سلك كتاب السيرة والمغازى مسلك المحدثين الأولين فمنهم من كان يعنى بالاسناد ، ومنهم من لم ينهج هذا المنهج باستمرار ٠

٤ ـ كل ما ينطبق على الحديث من ناحية تقسيمه الى أقسام باعتبار

---

(١) الذهبى : مرجع سابق ص ٧٢ ٠

صحته ، أو ضعفه ينطبق على السيرة والمغازى فيمكن تقسيم هذه الكتابات على نفس المنهج وبنفس المقاييس ٠

ثالثا - المدرسة العراقية (فى الكوفة ، والبصرة ، وبغداد) :

نشأت مدرسة التاريخ فى العراق فى الكوفة والبصرة وبغداد مستقلة ، ومن جذور تختلف عن جذور مدرسة المدينة ٠

وفى الوقت الذى كانت فيه المدينة - مهد الاسلام - المركز الأول لاتجاه أهل الحديث - كانت البصرة والكوفة مقر الحاميات القبلية ، وموطن التقاليد القبليـــة ٠

وكان التنافس فى البداية بين البصرة ، والكوفة شديدا ثم دخلت (بغداد) التى أنشأها أبو جعفر المنصور واتخذها عاصمة الخلافة - فى المنافســـة - فكانت العصبية للقطر ثم للبلد ٠

فالعراقيون يتعصبون للعراق على الحجـــاز ، والحجازيون يتعصبون للحجاز على العراق ، ثم فى القطر الواحد يتعصب الكوفيون للكوفة على البصرة ، والبصريون للبصرة على الكوفة ، والبغداديون لبغداد على البصرة والكوفة وغيرهما ونحو ذلك ٠

فنجد مثلا الخطيب البغدادى - يؤلف كتابا عن « تاريخ بغداد » - يضمنه تراجم علمائها وزهادها وأدبائها نحوا من ٧٨٣١ ترجمة (١) ٠

وفى الوقت الذى اهتم فيه الرواة بالحوادث والأمور العامة - لا بالأخبار القبلية الخاصة - اتجه الاخباريون الاتجاه القبلى ٠

وكان (الاخباريون) والمؤرخون الأوائـــل فى العراق ، وقاموا بجهود كبيرة لجمع الروايات القبلية هناك ، وعندما انتقلت الخلافة الى (بغـــداد) احتل العراق المركز الأول فى التـــاريخ الاسلامى - وصار الاهتمام بتاريخ وأحداثه فى المرتبة الأولى ٠

---

(١) أمين أحمد : ضحى الاسلام - مرجع سابق ص ٨٢ وما بعدها ٠

لكن الى جانب اهتمامهم الخاص بشؤون العراق أبدى الاخباريون عناية بشؤون الأمة ·

ولذا نلاحظ لديهم فكرة وحدة تجارب الأمة واتصالها ، كما نرى فكرة ترابط التاريخ العربى ، فقد اهتم الاخباريون بأخبار الشام ، والجزيرة العربية بالاضافة الى أخبار العراق ·

فنجد سيف بن عمر يتحدث عن الردة ، والفتوحات ، وفى الوقت الذى يعتمد فيه على (روايات كوفية) نجده يكملها ببعض الروايات المدنية ، والشامية ، فهناك اذا فكرة الدولة ، والتأكيد على حقوق الامام والولاء والطاعة له ·

وهكذا يمكن القول بأن الاخباريين لم يهبطوا فى كتاباتهم الى مستوى حزبى ، ومع ذلك فقد كان للاقليمية والقبلية أثرهما فى الكتابات التاريخية عندهم ، فبعضهم أظهر فى كتاباته ميولا علوية ، وميولا عراقية الخ ··

هذا على أن الاخباريين استخدموا فى كتاباتهم وثائق رسمية ، من رسائل ومعاهدات ، كما أن بعضهم اضطر لذكر الروايات المعارضة أو المقابلة للرواية التى أوردها ، وكان لهذا بالطبع أثره فى وضع أساس الطريقة النقدية فى التاريخ ·

وهكذا تركزت كتابات المؤرخين فى هذه المرحلة على الموضوعات التى كانت تشغل بال العرب — أو ما نطلق عليه اليوم (موضوعات الساعة) — كالردة ، والفتوحات ، والشورى ، والفتنة ، وتحتل المعارك والمواقف بين العلويين والأمويين مكانا بارزا من كتاباتهم ·

وتميز أسلوب الاخباريين بالسهولة وكانوا يوردون الشعر خلال كتاباتهم من المعارك مستشهدين به ·

على أن الصراع الثقافى الذى احتدم مع الشعوبية من جهة ، وتوسع تيار الموالى من جهة أخرى ، والانقسامات السياسية التى اجتاحت الدولة

الاسلامية ، والمنازعات القبلية ، هيأت فرصة لدراسات أكثر دقة ، فوجهت جهود لجمع الروايات التاريخية وغربلتها (١) ٠

هذا وقد أدخل اللغويون أسلوب (النقد الداخلى) للمواد التاريخية الى جانب (النقد الخارجى) للمصادر والرواة (٢) ٠

وقد حظى الشعر على وجه الخصوص بعناية خاصة واهتمام ومحاولة للتمييز بين الشعر الصحيح والموضوع ٠

كما تنوعت موضوعات الكتابة بتنوع وتعدد المشكلات السياسية والاجتماعية ، فأثيرت مسائل تتعلق بالصلة بين قريش والقبائل العربية

---

(١) بدخول الشعوب ـ غير العربية ـ فى الاسلام ومشاركتها فى الحركة العلمية وغيرها ـ أصبح هناك عنصران هما العرب ، والموالى ـ وقد ذكر ابن خلدون أن أكثر العلماء كانوا من الموالى ، وأدى هذا الى انتشار نزعة شعوبية فى القصص والتاريخ

والشعوبية من القضايا الهامة التى شغلت الكتاب والمؤلفين العرب وترجع الى الصراع الاجتماعى العنصرى ـ فهناك من يدافعون عن التفوق الفكرى العربى وحجتهم تستند الى أن الوحى الذى نزل على النبى العربى الكريم هو أساس كل معرفة حقيقية وعلم صحيح ـ بينما يرى الفريق الاخر من الشعوب التى دخلت فى الاسلام أن الحضارات الاخرى حضارات اسمى وأرقى كحضارة الفرس مثلا ـ وقد عد (ابن المقفع) مثلا شعوبيا ، وراجت بعد ذلك فى القرن الرابع الهجرى نظرية اخرى هى نظرية (الحكمة الابدية) حاول أصحابها التوفيق بين الفريقين المتصارعين فكريا وحضاريا ٠

ولعل ابن مسكوية فى كتابه الفارسى (جاويدان خوذ) أى الحكمة الابدية يمثل هذه الفكرة فهو يحاول أن يثبت أن جميع الحضارات اليونانية ، والفارسية ، والهندية، والعربية الاسلامية هى تجسيد لهذه الحكمة الابدية ٠

لدور الموالى فى العلم أنظر :

أمين ، أحمد : فجر الاسلام ـ مرجع سابق جـ ١ ص ١٨٣

وعن الشعوبية والصراع بين الحضارات انظر :

روزنتال ، فرانتز : مناهج العلماء المسلمين فى البحث العلمى (ترجمة د٠ انيس فرنجه) ص ١٨٩ ، ١٩٠ ٠

(٢) عن النقد الداخلى ، والنقد الخارجى ـ انظر :

الفصل الثامن (نقد الاصول التاريخية)

الأخرى ، وغير ذلك من المشكلات ، ومسائل تتعلق بالأدب العربى ، واللغة ، وظهر التأثير الفارسى بتناول تاريخ الفرس المتصل بتاريخ العرب ٠

وشهد القرن الثالث الهجرى مرحلة جديدة فى تطور الكتابة التاريخية عند العرب ، وتميز هذا القرن بوفرة المادة التاريخية ، من كتب ومصادر وروايات فى الأمصار المختلفة ٠

كما برزت ظاهرة أخرى تتمثل فى (الرحلة فى طلب العلم) ٠

وفى سبيل جمع وتصنيف الأحاديث ٠ وترتبت على هذا نتائج بالغة الأهمية من ناحية تبادل التأثير وتبلور فكرة الكتابة التاريخية المدعمة بالأسانيد

وظهر فى هذا العصر من ائمة المؤرخين عدد كبير نذكر منهم :

ابن قتيبة (ت ٢٧٠ هـ ـ ٨٨٢ م) : المعارف ٠

البلاذرى (ت ٢٧٩ هـ ـ ٨٩٢ م) : فتوح البلدان وأنساب الاشراف ٠

اليعقوبى (ت ٢٨١ هـ ـ ٨٩٧ م) : التاريخ ٠

الدينورى (٢٨٢ هـ ـ ٨٩٨ م) : الأخبار الطوال ٠

الطبرى (ت ٣١٠ هـ ـ ٩٢٣ م) : تاريخ الأمم والملك ـ وجامع البيان فى تفسير القرآن ٠

ولو تأملنا كتابات هؤلاء المؤرخين نلاحظ ما يلى :

١ ـ ابن قتيبة ـ يسد حاجة قراء عصره الى تاريخ شامل موجز ، فهو يجمل خبرة الأمة ، كما يعبر عن النظرة العالمية للتاريخ ، ويجابه الحركة الشعوبية فى الميدان الثقافى ٠

٢ ـ أما البلاذرى فى كتابه فتوح البلدان ـ فهو يعبر عن الواجب الأول

المسلم وهو الجهـــاد ، وعن دور العرب التاريخى ، بينما فى كتابه الثانى « أنساب الأشراف » فهو يعالج موضوعا يتعلق بالارستقراطية العربية ـ مركز الثقل فى المجتمع العربى فى نظره ·

٣ ـ أما اليعقوبى ـ فيكتب تاريخا عاما ، فهو يمثل النظرة العـالمية للتاريخ ـ وان كانت تبدو فى ثنايا كتاباته ميوله العلوية الشيعية مثل كثيرين من كتاب المدرسة العراقية ·

٤ ـ وفى كتاب (الأخبار الطوال) للدينورى ـ يظهر تأثير العراق وفارس على الكتابة والادب العربى ، ويعطى تفسيرا تاريخيا لاشتراك العرب والفرس فى السلطة فى العصر العباسى ·

٥ ـ أما الطبرى ـ فبالاضافة الى الناحية الروحية الدينية التى تتمثـل فى تفسيره للقرآن ـ فانه يمثل النضج الذى وصلت اليه الأمة ، والمثقفون على على وجه الخصوص من الملمهم بالأحداث الهامة ـ فهو يعبر عن فكرة وحدة تجارب الأمة ، وكذا تكامل الرسالات ، فالتاريخ فى نظره تعبير عن مشـيئة الله ·

وعلى كل تميزت كتاباتهم جميعا بالدقة ومحاولة تحرى الحقيقة ، وقلة التحريف وعدم الانحياز ، والاهتمام بالاسناد ، ونقد المصادر ، والرجـــوع فى كثير من الاحيان الى السجلات ، والأوراق الرسمية ، أو ما نعبر عنـــه اليوم (بالوثائق الأصلية) ·

كما تتسم كتاباتهم بالتركيز ، ونلمس فيها الالتزام بخطوط واضحة فى التفكير والكتابة ·

رابعا ـ مدرسة التاريخ فى مصر والشام :

تكونت فى مصر والشام مدرسة أول أساتذتها من الصحابة الذين رحلوا الى هذه الأقطار ، ثم أخذ عنهم التابعون ، وأخذ عن التابعين تابعوهم ، وقد عد هؤلاء الصحابة مصريين أو شواما لنزولهم هذه البلاد واستيطانها ·

ومن الشخصيات البارزة فى تاريخ مصر العلمى (يزيد بن أبى حبيب الازدى) اشتهر بالناحية التاريخية ، فيروى عنه الكثير مما نذكره عن فتوح مصر وفتنها وحروبها (١) ٠

وكان مسجد عمرو بالفسطاط مركز الحركة العلمية فى مصر كما هـو مركز الحركة الدينية ٠ وقد بدأ تاريخ مصر وأخبارها فى شكل حديث فالذى بدأه هم (المحدثون) ٠

والمؤسس الأول لمدرسة مصر للتاريخ الاسلامى فى مصر هو عبد الله ابن عمرو بن العاص (ت ٦٥ هـ) ، وتبعه كثيرون نذكر منهم الامام الليث بن سعد (ت ١٧٥ هـ) ، عبد الرحمن بن عبد الحكم (ت ٢٥٧ هـ) (٢) ، وأبو عمر الكندى (ت ٣٥٠ هـ) (٣) ، والحسن بن زولاق (٤) ٠

والى جانب الفسطاط اشتهدت مدرسة (الاسكندرية) ، ولعل ذلك كان امتدادا لمدرسة الاسكندرية قبل الفتح ، والمعروف أن الحركة الاسـلامية ظلت لفترة محصورة فى الغالب فى الفسطاط والاسـكندرية جتى انتشر المسلمون فى البلاد وتغلغلوا فيها عقب سنة ٢١٦ هـ ٠

وفيما يتعلق بالشام ٠ فقد نزل بها كثير من الصحابة والعلماء وحدثوا هناك عن رسول الله ، وعلموا الناس الأخبار والأحكام ـ ويذكر عن أبى مسلم الخولانى قوله « دخلت مسجد حمص فاذا فيه نحو من ثلاثين كهلاً من أصحاب النبى (ص) (٥) ٠

ومن اشتهر من علماء ومؤرخى الشام ـ الأوزاعى (عبد الرحمن بن عمرو) نزل دمشق ثم بيروت ومات فيها سنة ١٥٧ هـ ـ قيل انه اشتهر فى

---

(١) امين ، أحمد : ضحى الاسلام ـ مرجع سابق ص ٨٧ وما بعدها ٠

(٢) صاحب كتاب فتوح مصر والمغرب والاندلس

(٣) مؤلف كتاب الولاة والقضاه ـ تناول تاريخ مصر من الفتح العربى الى وفاة محمد الاخشـيد ٠

(٤) صاحب كتاب « العيون الدعج فى حلا دولة بنى طفج » تحدث فيه عن تاريخ الدولة الاخشيدية ٠٠

(٥) ضحى الاسلام ص ٩٦ ٠

الحديث والفقه . وكان له مذهب كمذهب مالك ، وأبي حنيفة ، وقد عمل أهل الشام بعده حينا ، وانتشر مذهبه أيضا بالأندلس لرحيل عدد من التابعين له المعتنقين لمذهبه الى الأندلس ، ثم حل محل الاوزاعى مذهب الشافعى فى الشام ومذهب مالك فى الأندلس .

على كل هو علم من أعلام الشام نذكره على سبيل المثال فقط .
وقد اشتهر الكتاب والمؤرخون فى الشام بمعرفتهم للسير وبالكتابة فى فتوح الشام وتاريخه .

والأوزاعى له كتاب تناول فيه شرح النظام الحزبى للمسلمين ، وكانت هذه الكتب الأحاديث فى الفتوح وما اليها نواة كتب (تاريخ الشام) كما هو الشأن فى تاريخ مصر .

ولما جاء العهد الأموى كانت دمشق حاضرة الدولة الاسلامية ، وكان الخلفاء والأمراء الأمويون عربا خلصا فى دمهم وفى ذوقهم ، أحب شىء اليهم التسامر بأحاديث العرب وأيامهم وأخبارهم .

وهكذا اصبحت الزعامة العلمية فى العصر الأموى للشاميين أصلا ، أو موطنا ، أو وفادة ، وظل الأمر كذلك حتى جاء العصر العباسى فتحول الأمر الى بغداد مع تحول الحاضرة من دمشق الى بغداد (١) .

ولابد من الاشارة لما كان بالشام من مدارس فقهية وغيرها لتعليم القانون

---

(١) فى مجال الحديث عن أنتقال مراكز العلم تبعا لتغيير المركز السياسى للدولة أشير الى مدرسة الاسكندرية وانتقالها وتطوافها الى بلدان مختلفة مع ملاحظة أن هذه المدرسة لم يكن يمثل معهدا رسميا بل مراكز للدراسات التى كان ولاة الامور يعيرونها عنايتهم ـ فقد نقلت بأمر الخليفة عمر بن عبد العزيز الى أنطاكية ، لكن بقيام الخلافة العباسية فقدت سوريا وحدتها أيضا أهميتها فنقلت المدرسة المذكورة من أنطاكية الى حيران فى عهد المتوكل واستقرت أخيرا فى بغداد ـ أنظر البحث القيم المنشور فى مجلة اكاديمية العلوم (اركيون) للكاتب ماكس مايرهوف عن نهاية مدرسة الاسكندرية تبعا لبعض المؤلفين العرب .

Meyerhof. Max : La fin de l'Ecole d'Alexandrie d'après quelques auteurs arabes (Archeion 1933). p.p. 1-16.

الرومانى ، وأشهرها مدرسة (بيروت) - على كل لم يعد للشام فى العصر العباسى منزلتها العلمية الأولى فقد خرج العلماء والكتاب من الشام الى العراق فتحولت الزعامة الى العراق ٠

خامسا - مدرسة التاريخ فى قرطبة (الأندلس) :

حكم العرب الأندلس فى الفترة من ٩٢ هـ الى ٨٩٧ هـ (٧١٠ م الى ١٤٩٢ م) - ومنذ فتح العرب الأندلس على يد موسى بن نصير ومولاه طارق ابن زياد صارت هذه البلاد ولاية اسلامية تابعة لدمشق (من ٩٢ هـ الى ١٣٨ هـ) ثم أصبحت دولة مستقلة عن خلافة المشرق يحكمها أمراء وخلفاء من بنى أمية منذ عهد عبد الرحمن بن هشام بن عبد الملك (١٣٨ - ٣٩٩ هـ) ٠ (٧٠٥ - ١٠٣١ م) ، وفى عهد الخليفة هشام المؤيد أصبح صاحب السلطان الفعلى هو (الحاجب) وذلك ما يسمى فى تاريخ الأندلس باسم (الدولة العامرية) ، ثم كانت الفتنة البربرية واقتسم الطامعون مدن الأندلس وحكمها (ملوك الطوائف) وضاعت سيادة قرطبة بذهاب الخلافة الأموية ٠ وفى عهد دولتى المرابطين والموحدين صارت بلاد الأندلس ولاية تابعة للمغرب وآخر من حكم الأندلس من المسلمين بنو الأحمر فى غرناطة (١) ٠

وانتشرت بالأندلس المكتبات فى (قرطبة) وفى غيرها من المدن الهامة ، وقيل انه كان بالخزانة الملكية بقرطبة وحدها أكثر من أربعمائة الف مجلد (٢)٠ وقد اتسمت الحياة الثقافية منذ البدء بالاعتماد على المشرق الاسلامى وتقليد أهله ، فهاجرت كتب المشارقة الى الأندلس بكثرة (٣) ٠

ومع ذاك فان أوضاع الأندلس نفسها المثلة فى الصراع المستمر الداخلى والخارجى ، أثرت فى كتابات المؤرخين وجعلتهم يشعرون بأن للاندلس تاريخا يستحق التخليد ٠ ويتمثل الصراع الخارجى فى الغزوات والمرابطة والجهاد فى

---

(١) لمن يريد التوسع فى الدور الذى لعبه المرابطون بقيادة يوسف بن تاشفين (بطل معركة الزلاقه ١٠٨٦) ثم دور الموحدين فى الاندلس - انظر :

الجمل . شوقى : المغرب العربى الكبير ٠

(٢) الروميلى : العلم عند العرب واثره فى تطور العلم العالمى (ترجمة د٠ عبد الحليم النجار ، د٠ محمد يوسف موسى) ص ٣٤٥ ٠

(٣) عباس . احسان : تاريخ الادب الاندلسى ص ٢٨ (عصر سيادة قرطبة)

الثغور ٠ وأما الصراع الداخلى فيتمثل فى الفتن وثورات الطامحين والمنشقين عن طاعة قرطبة ٠

ويكفى أن يراجع القارىء كتابا فى التاريخ الأندلسى حتى يجد فيه التاريخ مرتبا على حسب سنوات الغزو ٠

ومن أوليات صور هذا التخليد أن نظم الشعراء الأراجيز التاريخية ٠ من ذاك أن (يحيى بن حكم الغزال) نظم قصيدة طويلة فى « فتح الأندلس » ذكر فيها السبب فى غزوها ، فصل فيها الوقائع بين المسلمين وأهلها ، وعدد الأمراء عليها وأسماءهم ـ كما أن (تمام بن عامر الثقفى) له أرجوزة فى ذكر افتتاح الأندلس وولاتها من وقت دخول طارق بن زياد الى آخـــر أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم ٠

ونظم ابن عبد ربه ارجوزة فى غزوات الامام عبد الرحمن الناصر من سنة ٣٠١ الى ٣٢٢ هـ ٠

وقد اهتم مؤرخو الأندلس بوصف القلاع الحصينة والحرب البحرية والأحداث الداخلية وغير ذلك من تاريخ هذه البلاد ٠ ولعل ابن حزم (ت ٤٥٦ هـ) فى رسالته بعنوان « بيان الاندلس وذكر علمائه » التى كتبها ردا على اتهام الحسن بن محمد اليمنى القيروانى أهل الأندلس بالتقصير فى تخليد أخبار علمائهم ـ يعطى صورة عن بعض من برز من مؤرخى الأندلس (١) ٠

فيذكر العديد ممن ألفوا فى تاريخ الاندلس ٠ (٢) ٠
وقد اشتهر من مؤرخى الأندلس كثيرون نذكر منهم :
ـ أحمد بن محمد الرازى التاريخى (ت ٣٤٤ هـ) : مسالك الأندلس ومراسيها ، وأمهات مدنها وأخبارها ٠
ـ ابن الفرضى ، أبو الوليد (ت ٤٠٣ هـ) : تاريخ العلماء والرواة للعلم الأندلسى ٠

---

(١) عباس ، احسان : مرجع سابق ص ٢٩١
(نقلا عن المقرى فى نفح الطيب)
(٢) المرجع السابق ص ٣٠٣ وما بعدها ٠

ـ أبو عمر بن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ) الدرر فى اختصار المغازى والسير .

ـ ابن حيان القرطبى (٣٧٧ ـ ٤٦٩ هـ / ٩٨٧ ـ ١٠٧٦ م) وقيل انه ألف نحو خمسين كتابا أشهرها « المتين » فى ستين جزءا . « والمقتبس فى تاريخ الأندلس » .

ـ أبو عبد الله محمد بن أبى نصر الحميدى الأندلسى (ت ١٠٩٥ م) وأصله من قرطبة ايضا . ومن مؤلفاته « جذوة المقتبس » وهو عن تاريخ علماء الأندلس .

ـ ولسان الدين أبو عبد الله محمد المعروف بابن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ ـ ١٣٧٤ م) ، وكان وزيرا لأبى الحجاج يوسف سلطان (غرناطة) وله كتاب « الاحاطة فى تاريخ غرناطة » ـ الذى اخذ عنه المقرى (١) .

ـ وأبو العباس أحمد المقرى (ت ١٠٤١ هـ ـ ١٦٣١ م) أصله من المغرب وهو صاحب كتاب « نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب » ـ تحدث فيه عن تاريخ الأندلس من فتحها الى غزو الملك فرديناند غرناطة .

هذا وقد اشتهر عدد كبير من الأندلسيين بحب الرحلة والتجوال فى البلاد الاسلامية وغيرها . ولهم رحلات مشهورة أسهمت فى كشف النقاب عن تاريخ العرب وحياتهم فى العديد من الأقطار التى انتشروا فيها بالاضافة الى التعريف بأماكن لم يكن العالم المتحضر يعرف عنها شيئا . نذكر منهم على سبيل المثال الرحالة ابن جبير (٥٤ ـ ٩١٤ هـ / ١١٤٥ ـ ١٢١٧ م) صاحب الرحلة المشهورة باسمه ـ كذلك يذكر فى هذا المجال ابن بطوطة ، وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد ابراهيم اللواتى الطنجى المولود فى طنجة سنة ١٣٠٢ م والمتوفى بمراكش سنة ١٣٧٧ م . وكذلك ابن الوزان . الحسن بن محمد (ليون الافريقى) وغيرهم كثيرون يضيق المجال عن حصرهم .

---

(١) كان ابن الخطيب عالما اهتم على الاخص بالتاريخ . صنف تواريخ كثيرة لخلفاء المشرق ، والاندلس ، وافريقية مثل كتاب : الحلل المرقومة . والحكمة البدرية فى الدولة الناصرية . وله ايضا كتابات عن أخبار الرحلات وأوصاف للمدن الاندلسية يتعرض فيها للعلماء الذين لقيهم ، والاماكن التى زارها . ويقال ان كتبه تبلغ الستين لكن لم يبق لنا منها الا نحو الثلث ، طبع بعضها طبعات تختلف من حيث دقتها ومحاولة تحقيقها.

هذا بالاضافة الى شهرة الأندلسيين فى الفلسفة • ويكفى الاشارة الى الفيلسوف ابن رشد (١) ، وابن زهر ، وابن طفيل الذى ترجمت كتبه الى عدد كبير من اللغات الأوربية ، وابن باجة ، وابن البيطار ، وابن فرناس ، وابن الخطيب ، والفيلسوف العالمى ابن خلدون والعالم الصوفى ابن عربى ، وغيرهم من الاعلام (٢) •

وقد نافست (قرطبة) وغيرها من بلاد الأندلس بغداد فى مكتباتها ، واستهواء العلماء للمكث بها فقد جاء اليها كثير من العلماء من البلاد العربية ولا سيما عندما أخذ بنو أمية فى مجاراة خلفاء بنى العباس فى الافاضة على العلماء والمؤرخين ـ ويكفى أن نشير الى أن معاهد العلم فى قرطبة ، وأشبيلية، وطليطلة ، ومرسيه وغيرها من بلدان الأندلس كان لها الفضل فى نشر نور العلم فى سماء أوربا ذاتها (٣) •

وكانت المداس العليا بقرطبة ومكتبتها العظيمة قبلة طلاب العلم فى كل انحاء الشرق والغرب ـ وقد جمع الخليفة الحكم الثانى ـ وهو من أشهر علماء عصره ـ لمكتبة قرطبة نصف مليون من الكتب القيمة جمعها له عشرات من رجاله ، وعلق الخليفة بنفسه على هوامش عدد كبير منها قبل وفاته قبل نهاية القرن العاشر بأربعة وعشرين عاما (٤) •

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن رشد ـ ولد فى سنة ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م) فى أسرة عربية أصيلة ، استقرت بالاندلس واشتهرت بحب العلم ، وقد عاش فى عهد دولة الموحدين التى غلبت فى شمال افريقيا وبلاد الاندلس •

وللمزيد من التفاصيل انظر :

قاسم ، دكتور محمود : فلسفة ابن رشد وأثرها فى التفكير الغربى وهى محاضرة القيت بنادى الخريجين بالخرطوم فى ١٤ فبراير ١٩٦٧ وطبعت بعد ذلك •

(٢) هونكه ، زيغريد : مرجع سابق ص ٥٠٠ •

(٣) خفاجه ، محمد عبد المنعم : قصة الادب فى الاندلس ص ٢٨ •

ولمن يريد التوسع فى دور العرب العلمى فى الاندلس يرجع الى •

ـ بالنشيا : تاريخ الفكر الاندلسى (ترجمة حسين مؤنس) •

ـ العبادى ، أحمد مختار : الاسلام فى أرض الاندلس (عالم الفكر ـ المجلد العاشر ـ العدد الثانى) •

(٤) الحكم الثانى هو تاسع الخلفاء الامويين فى الاندلس كان عصره عصر ازدهار ونهضة ، غدت فيه جامعة قرطبة منارا للعلماء والباحثين ، وكان حجة فى الادب والتاريخ ، يقال انه قرأ الاربعمائة الف كتاب التى كانت بمكتبته ، علق عليها جميعا •

.. الطريقة التى تناول بها العرب التاريخ :

يمكن من الجولة السابقة التى تناولنا فيها المراحل والأطوار التى مرت بها كتابة التاريخ عند العرب أن نرسم الخطوط العريضة لطريقتهم فى كتابة التاريخ .

فقد كان الاهتمام قبل الاسلام بالأيام والأنساب ، ولذا كانت الروايات الشفوية ، والقصص والأخبار تعتبر ملكا مشتركا للعائلة أو القبيلة ، ولم تكن من اختصاص الأفراد .

وكان طبيعيا أن تتسم بالمبالغة ، والفخر وغير ذلك مما يلائم الأوضاع الاجتماعية السائدة لديهم حول الحسب والنسب .

واستمر هذا الوضع بعد ظهور الاسلام . لكن تركز الاهتمام بعد ذلك على دراسة سيرة الرسول وسير اتباعه ، والكتابة فى المغازى والغزوات .

وكان كتاب السيرة والمغازى يجمعون الروايات ويرتبونها حسب الأحداث، والسنين بعد التقديم لها بمقدمة فى التاريخ القديم قد يذهبون فيها الى الطوفان، أو خلق الانسان (١) .

وقد يسوقون الحوادث كقصص مرتبة حسب تاريخها ، ويدونونها مستندة الى مصدرها الأصلى .

ومن ثم برز الاسناد كعامل هام فى الكتابة التاريخية فى هذه الفترة _ فقيمة الرواية أو الحديث تتوقف على مدى سلامة الاسناد وتسلسله (٢) .

---

(١) اتجه هذا الاتجاه : الطبرى . وابن مسكويه . وابن الاثير ، وابو الفداء وغيرهم ..

(٢) يشير (روزنتال) الى أن علماء الحديث والفقه كانوا يهتمون بالدرجة الاولى (بالاسانيد) ، وكان لذلك أثره فى الكتاب والمؤرخين ، حتى ان السيوطى (ت ١٥٠٥ م) يقول «انه ليس فى جميع مؤلفاته الكثيرة خبر أو رواية او رأى لم يدعمه بالاستشهاد » انظر _ روزنتال . فرانز : مرجع سابق ص ٩١٧ .

وكان النقد أو (الجرح والتعديل) كما كان يطلق عليه منصبا على الرواة ٠

وارتبط علم التاريخ من البداية بعلم الحديث ، وتأثر به ، فقد بدا التاريخ كفرع من فروع الحديث ، واتبعوا طريقة علماء الحديث فى تدارس أمهات كتب التاريخ من حيث تلاوتها وتكرار سماعها ، واجادتها ٠

حدث ذلك مثلا فى مغازى الواقدى وأمثاله من كتب الأصول (١) ٠

وقد تعرض كتاب السيرة والمغازى فى هـذه الفترة لما تعـرض له المحدثون من رواة الحديث وكتابه من تمحيص ونقد وجرح فى ضوء النظـر الى الأسانيد ومصدرها ٠

ويضع ابن خلدون مقاييس لذلك فيذكر أن الأمر يرجع الى « كيفية اخذ الرواة بعضهم عن بعض بقراءة أو كتابة أو مناولة أو اجازة ٠٠ » ٠

ويذكر « أن أهل الحجاز اشتهروا بالدقـة فى الاسناد لاستبدادهم فى شروط النقل من العدالة ، والضبط ، وتجافيهم عن قبول المجهول » ٠

كما يتحدث عن أئمة الحديث ـ الامام مالك ، والامام محمد بن ادريس الشافعى ، والامام أحمد بن حنبل ، وأمثالهم ٠٠

وعلى هذا الأساس رتب ابن خلدون الحديث الى صحيح ، وحسن ، وضعيف ، ومرسل ، ومنقطع ، ومتصل ، وشاذ ٠ ٠ (٢) ٠

وبنفس هذا الأسلوب كانت النظرة والتقييم لكتاب السيرة والمغازى ٠
ولا شك فى أن الاهتمام بالاسناد والنظرة النقدية لما يروى ويكتب عن غزوات الرسول وغيرها من الأحداث التاريخية ، وغربلة الكتابة بهدف الوصول الى الحقيقة ـ وضع الأسس الأولى لعملية **النقد التاريخى** ٠

---

(١) العبادى ، عبد الحميد : مرجع سابق ص ٤٤ ٠

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٣٨٤ وما بعدها تحت عنوان (علم الحديث) ٠

على أن ظاهرة النقد والتحليل ، التعليل ، وربط النتائج بالمقدمات - أخذت تنتشر أكثر عندما تعرض المؤرخون العرب للأحداث التى ألمت بالدولة العربية فأضعفتها وأدت لتفككها وجعلتها مطمعا لأعدائها ٠

وكانت المبادىء التى أخذت تثار فى المجتمع الاسلامى دافعا لمزيد من التفكير والبحث والكتابة ٠

فمشاكل الشورى ، وفكرة الدولة - كما حاول الأمويون تثبيتها - والتشيع ، ووضع الموالى فى الدولة الاسلامية ، والردة ، والفتوحات ودور القبائل فيها وغير ذلك من المشكلات ، والحوادث التى اجتاحت العالم الاسلامى - أتاحت مادة للكتابة التاريخية وفرصة للتحليل والتعليل ٠

ولعل هذا يدفعنا لأن نحاول أن نجمل فيما يلى المؤثرات التى أثرت على الكتابة التاريخية عند العرب ٠

المؤثرات التى أثرت على الكتابة التاريخية عند العرب :

فى ضوء ما ذكرناه يمكن أن نجمل المؤثرات التى أثرت على الكتابة التاريخية عند العرب ، وأثرت فى تطورها فيما يلى :

١ - الظروف الاجتماعية والثقافية السائدة فى شبه الجزيرة قبل الاسلام ٠

فقد ترتب عليها اهتمام العرب (بالايام) و (الانساب) ٠

واستمر هذا الاهتمام بعد ظهور الاسلام ٠

وكانت (الرواية الشفوية) هى الوسيلة التى تناسب الوضع الثقافى السائد فى ذلك الوقت - وكانت المبالغة والاشادة بالبطولات وغير ذلك مما قد لا يساير المنطق - شيئا طبيعيا يردده الرواة وتتناقله الأجيال دون نقد أو محاولة تجريح ٠

٢ - الظروف الخاصة ببعض جهات شبه الجزيرة كاليمن فى الجنوب، والحيرة فى الشمال :

فقد وجدت بعض النقوش على المبانى القديمة فى اليمن تحكى أخبار ملوكهم وأمورهم العامة التى تدل على نوع من الاستقرار والتقدم الاقتصادى، كما أن ما عثر عليه فى كنائس وأديرة الحيرة يصور أخبار ملوك الحيرة ويعطى فكرة عن طريق هذه البلاد السياسية والاجتماعية ٠

٣ ـ وفى المدينة المنورة ـ كانت دراسة سيرة الرسول ، وسير أتباعه والمغازى والغزوات دافعا كبيرا للكتابة التاريخية ٠ وقد اتخذت الكتـــابة فى هذا المجال منار علوم الحديث من حيث الاسناد ومحاولة تحرى الحقيقـــة وتنقية الأحداث التى تروى أو تكتب مما علق بها من تفاصيل قد تبعـد بها عن واقعها ٠

٤ ـ وتأثرت الكتابات التاريخية عند العرب أيضا بالمشكلات التى أحاطت بالأمة العربية كالشورى ، ومسألة الخلافة ، وظهور الأحزاب السياسية ، والتشيع ، والشعوبية والصراع بين العرب والموالى ٠

٥ ـ وكانت فكرة (الأمة) قد تركزت من البداية فى المدينة المنورة لكن انتشار القبائل العربية فى الأمصار نقل مركز الثقل الى جهات أخرى خـارج شبه الجزيرة العربية ٠

وبالطبع أثر هذا فى الكتابة التاريخية ٠

٦ ـ ففى العراق ظهر الاهتمام من جديد بالقبيلة وأمجادها ، كما ظهرت مؤثرات جديدة فى الكتابة التاريخية نتيجة تأثر العرب فى هذه البلاد بتيارات أخرى كالفارسية ٠

٧ ـ وأدى التصادم بين المبادىء والأفكار كمبدأ القدرية أو حرية الارادة، ومبدأ الجبر الذى تبناه الأمويون ، بالاضافة الى المشكلات المتعددة التى اثيرت فى ذلك الوقت الى حركة واسعة من النقد والتحليل والتعليل ظهرت فى كتابات مؤرخى القرن الثالث الهجرى على وجه الخصوص ٠

٨ ـ على أن نشأة الدواوين وتطورها خاصة بعد أن اتسع نطاق الدولة

العربية • وتشعبت مشاكلها أوجد سجلات رسمية ، ومصادر أصلية للكتابة التاريخية استخدمها واستند اليها كثيرون من المؤرخين •

٩ — وكان اهتمام المؤرخين العرب مركزا فى البداية على شئونهم ، وما اتصل بهم من دول ، ثم اتسع هذا النطاق فشمل الدولة الاسلامية عامة ، ثم اتسمت الكتابة التاريخية بشمول أكثر يمثل وحدة التاريخ وتكامله •

فكتب أبو عبيدة معمر بن المثنى — أخبار الفرس • الموالى — كما كتب غيرد عن الشعوب الأخرى التى احتك بها العرب •

١٠ — ولا شك فى أن المؤرخين العرب • كان لهم دورهم فى ارساء بعض المبادىء الهامة فى الكتابة التاريخية كالاهتمام بذكر المصادر — فالمقريزى مثلا (ت ١٤٤٢ م) يشير الى المصادر الثلاثة التى رجع اليها عند تأليفه خطط مصر وهى :

أولا — المصنفات الأدبية •

ثانيا — المعلومات التى استطاع جمعها من أساتذته ومعـــاصريه من العلماء •

ثالثا — المعلومات المبنية على اختباره الشخصى ومشاهداته •

وقد اعتبروا عدم ذكر المصادر التى أخذ عنها المؤلف نقصا — فقد أشار مثلا فخر الدين الرازى فى كتاب « المباحث الأربعون فى أصول الدين » الى أن الشهرستانى فى كتابه « الملل والنحل » — لم يذكر المصادر التى أخذ عنهـــا ويذكر أن فى هذا ما يسيىء الى الحقائق التاريخية ويشوشها (١) •

١١ — وقد شدد العلماء المسلمون على ضرورة (**الأمانة**) و (**الدقة**) فى النقل — ففى مقدمة كتاب « معجم البلدان » يشير ياقوت الى ذلك • ويذكر أنه نقل من المصادر بكل دقة وأمانة — ويشرح قيمة الاشارة للمصدر الذى أخذ

---

(١) روزنتال : مرجع سابق ص ١٢٠ •

عنه فيقول « ان ذلك ييسر للطالب اطلاعه على أراء أهـــــل الخبرة فى ذلك العـــــلم » (١) ·

كما يشير الى أن العالم عندما يختلف مع آخر فى الرأى يجدر به أن يذكر الروايتين - روايته والرواية المعارضة (٢) ·

وعند اقتباس رواية من مصدر - مختصرة عما وردت فى المصـــــدر الأصلى - كانوا يشيرون الى ذلك فيقولون (انتهى ملخصا · ·) (٣) ·

وكان المؤرخون العرب يمارسون النقد بطريقة مرضية فكانوا يقابلون بين التواريخ المذكورة فى الخبر أو القصة التى يحققون فى صحتها - فاذا ظهـر تباين أو تعارض حكموا بأن الخبر لا يمكن أن يكون صحيحا بالشكل الـذى ورد عليه ·

مثال ذلك ما قام به الخطيب البغدادى صاحب كتاب « تاريخ بغداد » من فضح الوثيقة التى منح يهود خيبر بموجبها امتيازات خاصة - لكنه اثبت انها مزورة وغير صحيحة (٤) ·

وهكذا كان للعرب دورهم فى الكتابة التاريخية بمنهاجها السليم ·

أما أهم الموضوعات التى تناولها المؤرخون العرب فهى :

١ - حياة النبى (ص) من ولادته ونشأته ، ودعـــوته الى الاسلام ، وجهاده مع المشركين ، وغزواته ·

٢ - تاريخ الحوادث الاسلامية من حروب بين بعض المسلمين وبعض (كواقعة الجمل ، وواقعة صفين) وبينهم وبين الشعوب الأخرى ·

---

(١) ياقوت : معجم البلدان جـ ١ ص ٩ ·

(٢) ياقوت : ارشاد الاديب جـ ٥ ص ٢١٥ ·

(٣) أمين ، أحمد : ضحى الاسلام جـ ٢ ص ٣١٩ وما بعدها ·

(٤) روزنتال : مرجع سابق ص ١٣١ ·

٣ ـ الأنســـاب ٠

٤ ـ تاريخ الأمم الأخرى التى احتكوا بها من فرس وروم ونحوهما ٠

٥ ـ تاريخ الأديان الأخرى كاليهودية والنصرانية ٠

٦ ـ تراجم الرجال ٠

٧ ـ الأخبار ـ وقد أطلق على رواتها اسم (الاخباريون)مثل الهيثم بن عدى الطائى الكوفى الاخبارى ٠

وقد يكون أساس الحادثة التى يرونها صحيحا لكنهم عادة يكملوه من خيـالهم ٠

وفى ختام هذا الفصل نشير الى أنه رغم التطورات السريعة والاتجاهات الحديثة فى علم التاريخ اليوم ومناهجه فى الدول الأوربية وغيرها ـ فاننا يجب ألا ندعو لأن ننقل من هذه الدول اتجاهاتها ومناهجها فى البحث التاريخى بل ان نتفهمها ونمحصها ونبحثها ونطور مناهجها ومفاهيمها فى ضوء ذلك وعلى أساس الادراك لواقعنا وتاريخنا ودورنا نحن أيضا فى هذا المجال وما يلائمنا٠

الفصل الثالث

التـاريخ بين العـلوم الاخرى

مبـاحث هذا الفصل :

- تطور الدراسة والبحث التاريخى ·
  (العلل المباشرة لم تعد الأسباب الحقيقية للاحداث) ·
- المؤرخون يبحثون فى دور الانسان فى الأحداث التاريخية ·
- الاختلاف على وضع التاريخ : علم أم أدب أم فن ؟
- الرد على القائلين بأن التاريخ ليس علما ·
- التاريخ علم نقد وتحليل ·
- العوامل النفسية التى قد تؤثر فى تشكيل أحداث التاريخ ·
- علم التاريخ واهتمامه بحياة الشعوب ·
- مدارس علم التاريخ ·
- محاولة الزج بالتاريخ فى زمرة العلوم الطبيعية وما ترتب على ذلك من أخطـاء ·

- أهداف تدريس التـاريخ :

  - دوره فى تربية الفرد ·
  - قيمته لرجال السياسة ·
  - قيمته كفرع من فروع الدراسات الاجتماعية ·
  - التاريخ بين المنادين بقصر اهتمامه على الأحـداث السـياسية والداعين للتركيز على تتبع حضارة الشعوب ·

رأينا كيف تطورت الكتابة التاريخية فلم يقتصر الأمر على مجرد ترديد القصص أو بسط للوقائع التى كان العالم مسرحا لها ـ لكن أصبح من الضرورى دراسة العلل المباشرة للاحداث ، ثم بحث للعوامل العامة التى كانت ذات أثر فى تكوينها زمنا طويلا ، فحوادث التاريخ لا تقع فجأة لكنها فى الحقيقة نتيجة سلسلة طويلة من الوقائع ، وان كانت عللها المباشرة تبـــدو كأنها هى الأسباب الوحيدة للاحداث ٠

فاذا قصرنا بحثنا مثلا ـ عن أسباب الحرب العالمية الأولى ـ على الأسباب المباشرة ، وعلى تتبع المفاوضات الدبلمية التى انتهت بانقضاض بعض الأمم الأوربية الكبرى على بعض ـ لحكمنا على أن الأقطاب الذين انتهى بهم المطاف الى الحرب قد أصيبوا بالجنون ـ ٠ فالأسباب المباشرة لا يمكن أن تبرر قيام الحرب ـ لكن الأمر فى حقيقته غير ذلك فهو يرجـــع لسلسلة من العلل البعيدة التى كانت فى قوتها أشد من ارادة هؤلاء الساسة (١) ٠

فالمؤرخ اذا لابد أن يبحث عن هذه العلل المتعددة الخفية البعيدة فى زمنها عن زمن الأحداث ذاتها ٠

نعم لم يصبح المؤرخون يقتصرون فى تفسيرهم للأحداث على أن قدرة ربانية قاهرة كانت توجه مجرى الأمور ، وتنظم مصير المعارك فلا تقع أية حادثة خارج ارادتها ٠ فمع الايمان بهذه القوة الربانية العظمى ـ فاننا نبحث أيضا فى دور الانسان فى الحوادث التاريخية ٠ فلم يصبح مبدأ (القـدرية) وحده مقبولا فى تفسير أحداث التاريخ ـ فقد اقتضى العصر الذى كان فيـه ينظر الى الأحداث التاريخية من الوجهة اللاهوتية فحسب (٢) ٠

هذا مع أنه حتى فى علوم الفيزياء وغيرها لا يزال الكثير من مظاهرها خفى عن ادراك الانسان فلا يكاد يعطى لها سببا معقولا ٠

---

(١) لوبون ، غوستاف : فلسفة التاريخ (ترجمة عادل زعيتر) ص ١٢ ٠

(٢) ظل علم اللاهوت يطبع كل الدراسات التـــاريخية ، ويذكر بعض الكتاب والفلاسفة أن التفسير اللاهوتى هو الذى سيطر على عقول الاوربيين من القرن الخامس الى القرن الثامن عشر تقريبا ، فالروح اللاهوتية هى الدم الذى جرى فى عـــروق العالم الاوربى حتى بيكون ، وديكارت ولم تأخذ مبادىء التاريخ اللاهوتية فى الزوال الا بعد أن اثبت تقدم العلم أن جميع حوادث العالم خاضعة لعلل متعددة ومعقدة ٠

فمثلا الحرارة – ما تزال قوة مجهولة فى جوهرها • وكل ما نعـــرفه عنها انها قادرة على تمديد الأجسام فتقاس بدرجة هذا التمدد •

والثقل – قوة مجهولة أيضا فى جوهرها ، لكن نعلم انها قادرة على جذب الأجسام فتقاس بطاقة هذا الجذب •

والكهرباء – قوة مجهولة فى جوهرها لكنها قادرة على احداث بعض النتائج الضيائية الخارقة – فتقاس أيضا بشدة هذه النتائج • لكن لا تزال العلل الأصلية قاصرة (١)

فى ضوء ذلك ثار جدل طويل عن التاريخ :

هل هو عـلم ؟

واذا كان كذلك فالى اى أنواع العلوم ينتمى ؟

أم أن التاريخ فن أو أدب ؟

وبالطبع أدى هذا لسلسلة أخرى من التساؤلات مثل :

ما الذى يبحث فيه التاريخ ؟

ما هو موضـــوعه ؟

ما هى أهـــدافه ؟

ما الفائدة من دراسته وتدريسه ؟

ما الشروط اللازم توفرها فيمن يتعرض للبحث التاريخى ؟

هل يحتاج هذا الباحث للتزود بقدر من المعرفة فى علوم أخرى ؟

ما هو المنهج الذى يتعين أن يتبعه الباحث فى التاريخ ؟ •

وسنحاول فى الفصول التالية الرد على هذه التساؤلات وغيرها ممـــا يثار حول (التاريخ) •

اختلف رجال العلم والتاريخ والأدب فى وضع التاريخ وفى نسبته الى أى فرع من فروع المعرفة الانسانية ، فذهب الأستاذ وليم استانلى جيفونز (William Stanley Jevons) (١٨٣٥ – ١٨٨٢) الأستاذ بجامعة لندن فى كتابه « أصول العلم » الى أن التاريخ لا يمكن أن يكون علما ، لأنه يعجز عن

---

(١) لوبون ، غوستاف : مرجع سابق ص ٢٨ •

اخضاع الوقائع التاريخية لما يخضعها له العلم من المادية والمشاهدة والفحص والاختبار والتجربة وبذلك لا يمكن فى دراسته استخلاص قوانين علمية يقينية ثابتة على نحو ما هو موجود بالنسبة لعلم الطبيعة أو علم الكيمياء مثلا • فقيام عنصر المصادفة ، ووجود عنصر الشخصية الإنسانية • وحرية الارادة ، مما يهدم الجهود الرامية الى اقامة التاريخ على أسس علمية على نحو ما يفعل علماء الطبيعة أو الكيمياء أو اضرابهم (١) •

وهكذا لخص جيفونز الأسباب التى من أجلها استبعد التاريخ من زمرة العلوم فيما يلى :

(أ) الاختبار والتجربة أمران غير ممكنين فى الدراسة التاريخية •

(ب) كل واقعة من وقائع التاريخ قائمة بذاتها ، ولا يمكن أن تتكرر ظروف وقوعها •

(جـ) لا يمكن الوصول فى التاريخ الى شىء من قبيل (التعميمات) أو (القوانين العلمية) •

وختم هذا العالم الانجليزى تحليله هذا بقوله :

« فمن السخف اذا أن نفكر فى التاريخ على أنه علم بالمعنى الصحيح » •

وقد أيد هذا الاتجاه كارل • ر • بوبز (Kartl. R. Popper) فى كتابه « عقم المذهب التاريخى » ـ فقد أوجز أدلته على كذب المذهب التاريخى فى النقط الخمس الآتية : (٢) •

١ ـ يتأثر التاريخ الانسانى فى سيره تأثيرا قويا بنمو المعرفة الانسانية •

---

(١) عثمان ، حسن : منهج البحث التاريخى ص ١٦ •

(٢) بوبر ، كارل : عقم المذهب التاريخى (ترجمة عبد الحميد صبره) ـ التصدير

٢ ـ لا يمكن لنا بالطرق العقلية أو العلمية أن نتنبأ بكيفية نمو معارفنا العلمية ٠

٣ ـ اذن فلا يمكنا التنبؤ بمستقبل سير التاريخ الانسانى ٠

٤ ـ هذا معناه أننا يجب أن نرفض امكان قيام علم تاريخى اجتماعى ، يقابل علم الطبيعة ٠

ولا يمكن أن تقوم نظرية علمية فى التطور التاريخى تصلح لأن تكون أساسا للتنبؤ التاريخى ٠

٥ ـ اذن فقد أخطأ المذهب التاريخى فى تصوره للغاية الأساسية التى يتوسل اليها بمناهجه ٠

وببيان ذلك يتداعى المذهب التاريخى ٠

وذهب آخرون الى أن التاريخ فن ، فالمؤرخ فنان يطلق العنان لطبيعته الفنية وخياله وموهبته الخاصة ٠ فالتصوير الناطق يعبر عن ملامح العصر الذى يتحدث عنه (١) ٠

هذا ويرى آخرون أن التاريخ نوع من الأدب فهو يعنى بالتدوين القصصى لمجرى الأحداث ٠ والقصة بلا شك هى من أبواب (الانشاء الأدبى) ٠

والانشاء الأدبى فن ، والأمر يحتاج الى براعة الكاتب ليبرز لنا القصص التاريخية والأحداث فى ثوبها اللائق ٠

لكن المؤرخ الانجليزى بيورى (J. B. Bury) أستاذ التاريخ الحديث بجامعة كمبردج يذهب الى « أن التاريخ علم لا أكثر ولا أقل » ٠

وقد نحا هذا النحو عدد كبير من المفكرين القدماء والمحدثين من أمثال هيراقليطس ، وأفلاطون ، وهيجل ، وماركس ، وأوجست كونت ، وستيوارت

---

(١) كاسيرر ، أرنست : مرجع سابق ص ٥٥ ٠

مل ، وشبنجلر ، وكارل ملنهايم ، وأرنولد توينبى – فاعتبروا التاريخ علم يهتم بتتبع تطور المجتمع فى الفترات المتعاقبة .

وان كان المعارضون لذلك ينقدون أن تطور المجتمع يخضع لقوانين معينة – فلا يمكن أن يكون للتطور فى نظرهم قانون علمى (١) .

وقد ذهب كونت (Auguste Conte) الى حد القول « اننى ساقدم برهانا فعليا على وجود قوانين محددة للاحداث المرتبطة بادتقاء وتطور العنصر الانسانى . كما توجد قوانين لسقوط الحجارة ....

ان فكرة التطور تعنى ظهور عوامل جديدة وهذه العوامل تظهر نفسها فى تقدم اللغة ، والدين ، والفن ، والعقل ، وهناك منهج واحد يمكن بواسطته معرفة أصل هذه العوامل – هو المنهج التاريخى » (٢) .

وقد عارض كونت الاعتقاد القائل بوجود شىء فى عالم الانسان يمكن ارجاعه للمصادفة ، أو أن هناك شيئا يخلو من النظام الطبيعى وحتميته الصارمة .

وقد أيد هذا الرأى تين (H. Taine) فى فرنسا فى كتابه "Vie et Correspondance" وذهب فى النهاية الى أن العلل المختلفة للاحداث يمكن أن تنتهى بنا الى بعض المبادىء العامة التى تتحكم فى كل الوقائع وتقررها – واننا نستطيع العثور وراء كل تنوعات الأحداث التاريخية ، واختلافها الى درجة كبيرة – كما يقول تين – على نفس الهيكل العظمى الذى لا يتغير كثيرا أو قليلا ، فالوقائع تتغير ولكن هيكلها يبقى (٣) .

ولعل المعركة كما يذكر الأستاذ هرنشو (Hearnshaw) تنفض اذا وصلنا لتعريف سليم للفظى (علم) و (تاريخ) (٤) .

---

(١) بوبر ، كارل : مرجع سابق ص ١٣٢ .

(٢) كاسيرر . أرنست : مرجع سابق ص ٤٣ وما بعدها .

(٣) كاسيرر . أرنست : مرجع سابق ص ٤٨ .

(٤) هرنشو : مرجع سابق ص ٣

فلو عرفنا العلم بأنه « المعرفة المنظمة المبوبة المقننة » ـ وأن صفة العلم يمكن أن تطلق على « كل دراسة تهدف لتوخى الحقيقة ، والوصول الى حكم قائم على النقد ، مع البعد عن كل هوى النفس ، وكل افتراض سابق ٠٠ على أن تقوم هذه الدراسة على الأمور الثلاث : التصنيف ، والتبويب ، والتقنين » (١) ٠

أو اذا أخذنا بقول الأستاذ ت ٠ هـ ٠ هيكسيلى (T. H. Huxley) « ان العلم هو كل معرفة تقوم على الدليل والاستنباط » ٠

أو كما يقول الدكتور الكسندر هل (Aelx. Hill) « ان كل معرفة معقولة هى علم ٠٠ فالعلم معرفة روعيت فيها الأوضاع الصحيحة » ٠

كذلك توضيح الأستاذ كارل بيرسن (Karl Pearson) لوظيفة العلم بأنها تنحصر فى تقسيم الوقائع ، ومعرفة تتابعها ، وأهميتها النسبية ٠

وتعريف الأستاذ ف ٠ ج ٠ تجارت (F. J. Teggart) للعلم بأنه « مجرد البحث المنظم للتصرفات التى تبدو فى الظواهر الطبيعية » ٠

اذا أخذنا ـ بهذه التعاريف ـ فليس ثمت مسوغ لأن نتعجل اسقاط التاريخ من عداد العلوم ٠

فالميتورولوجيا علم رغم أننا لا يمكن أن نصل فيها الى تعميمات خاصة بالجو ، فلا زلنا بعيدين عن وضع قوانين ثابتة لكثير من الظاهرات ، ولا تزال

---

(١) يعرف د٠ شارل مالك ـ العلم بأنه هو الذى يؤدى الى المعرفة ـ ويقسم العلوم الى ثلاثة اقسام رئيسية :

العلوم النظرية : غايتها المعرفة من أجل المعرفة ٠

العلوم العملية : تهتم بسلوك الانسان كانسان ٠

العلوم الانتاجية : غايتها الاتيان بانتاج مادى سواء اكان جميلا فقط كالتمثال أو الرسم أو مفيدا لسد حاجة ما ٠

أنظر ـ مالك . شارك وآخرون : البحث العلمى فى العالم العربى (بيروت ١٩٥٦) ص ٥٠ وما بعدها

تنبؤات الخبراء عن أحوال الجو تخطىء ، ومع ذلك لا يوجـــد من ينكر أن الميتورولوجيا علم ٠

ويقول شارل سينوبس (Seignobos, Ch.) المؤرخ الفرنسى « التاريخ علم ما فى ذلك ريب — فهو عـلم الوقائع التى تتصل بالأحياء من الناس فى مجتمع خـــلال توالى الأزمنة فى الماضى — وهو يدخل فى عـــداد العـلوم الوصفية » (١) ٠

والتاريخ — كما يقول هرنشو — « يقوم على أصول تضارع قيمتها على أقل تقدير — ذرات الكيماوى النابضة ، والكترونات الفيزيقى الراوغــــة — ان التاريخ يبحث فى الفعل ورد الفعل الصادرين عن انسان غير متغير أصلا، وعن بيئه غير متغيرة أصلا » (٢) ٠

فاذا أخذنا التاريخ بمعنى (البحث) أو الاستقصاء بهدف الوصـــول الى الحقيقة التى من وراء الأحداث فبهذا المعنى يكون **التاريخ علما** ٠
لكن من أى أنواع العلوم يعتبر التاريخ ؟

انه ليس كالفلك — علم معاينة مباشرة ، ولا كالكيمياء علم تجربة واختبار — لكنه علم نقد وتحليل ٠

وهو كما يذكر — هرنشو — أقرب العلوم الطبيعية الى (الجيولوجيا) ٠ فكما أن الجيولوجى يدرس الأرض كما هى الآن ليعرف — اذا أمكنه ذلك — كيف صارت الى حالتها الحاضرة — فكذلك المؤرخ يدرس الآثار المتخلفة عن الماضى ويحاول أن يفسر بواسطتها وبقدر امكانه ظاهرة الحاضر ٠

وكما أن الجيولوجى يجد مادته الأساسية فيما حفظ من بقايا الطبيعـة

---

(١) من رسالة له بتاريخ ١٠/٢٩/١٩٤١ — انظر : انجلو وسينوبس : المدخل الى الدراسات التاريخية (ترجمة د٠ عبد الرحمن بدوى ضمن مجموعة بعنوان النقـد التاريخى) — المقدمة ص (١) ٠

وقد رجعنا أيضا للترجمة الانجليزية بقلم Berry والتى نشرت فى لنـدن عام ١٩١٢ وأشرنا اليها ٠

(٢) هرنشو : مرجع سابق ص ٥ وما بعدها ٠

من أدلة قليلة تثبت التطورات الجيولوجية القديمة ـ فكذلك المؤرخ يعتمد فى معرفة الوقائع الماضية على آثار مادية أو سجلات أو تقاليد ٠

يعتمد المؤرخ على ما تمده به هذه الآثار أو السجلات أو غيرها من مادة علمية ـ بعد أن يتحقق من صحتها ، ويستبعد ما يثبت عدم صحته أو ما يداخله شك فى صحته ٠ فيلقى عليه الضوء ، ويحاول بفكره أن يستخلص الأسباب والدوافع التى كانت وراء تلك الوقائع ٠

ولابد أن يضع فى الاعتبار العوامل الأخرى غير منطق العقل التى تؤثر فى الأحداث الهامة ٠

ان الكثير من الأفعال الانسانية سواء فى ميدان السياسة أو الفلسفة أو الدين أو الفن لا تمثل الا الجانب الخارجى من الانسان ـ أما الحياة الباطنية فانها لا تظهر نفسها الا بعد النفاذ وراء هذه الأفعال لاختبار طبيعتها أن ماهيته الطبيعية فى قلوب الناس ٠

وقد ترتب على هذه النظرة ـ تغير موضع بؤرة التاريخ ٠٠ فالأحداث أصبحت هامة فقط بقدر استطاعتها الكشف عن الطبيعة الانسانية وازالة الحجب عنها (١) ٠

فهناك أيضا اندفاعات الحياة العاطفية اللاشعورية ٠ وكما يقول ـ غوستاف لوبون ـ « أن العديد من المنازعات التى تزعج حياة الأمم وتسيطر على تاريخها ـ مرجعها الى الحياة الغريزية التى تولد الشهوات ، وسيبقى الأمر ، ولا ريب هكذا حتى اليوم الذى ستتخلص الانسانية فيه من الحياة اللاشاعرة الوراثية ـ فتبلغ من التطور الكافى ما يكون العقل فيه مسيطرا ، ولم تبلغ هذه المرحلة بعد ، ولذلك يشتمل التاريخ على قليل من الحوادث التى أوحى بها العقل المحض » (٢) ٠

ولعل من الأمثلة القوية لذلك الدوافع وراء الاستعمار الأوربى فى

---

(١) كاسيرر ، أرنست : مرجع سابق ص ٦ ٠

(٢) لوبون ، غوستاف : مرجع سابق ص ٤١ ٠

العصر الحديث • فلاشك فى أن الدوافع النفسية أو الغريزية من حب العظمة وحب التظاهر ، والرغبة فى التقليد والمحاكاة ، وغير ذلك من العوامل ــ كانت من العوامل التى دفعت الشعوب ثم الحكومات للعمل على بسط نفوذها على مساحات واسعة من الأرض لم تكن خاضعة لها ــ فالشعوب والدول تتكون من مجموعة أفراد تتحكم فيهم وتسيرهم الغرائز الطبيعية للانسان (١) •

واذا سلمنا بأن التاريخ علم نقد وتحليل ، وأن الأمر يصل بالمؤرخ الى حد أن يضع فى اعتباره العوامل النفسية التى قد تشترك وتؤثر فى تشكيل حوادث التاريخ ــ فاننا نستطيع أن نقول ان التاريخ علم يهتم ببحث المتبقى من أحداث الماضى ، ومحاولة الاستعانة بها على توضيح الحاضر وتفسيره ــ وتتسع أبحاث علماء التاريخ لتشمل جميع ما يتعلق بالانسان وتصرفاته من شئون سياسية واجتماعية أو ما يتعلق فيها بشئون المال والاقتصاد وغير ذلك • ولذا تعددت فروع التاريخ ، فهناك التاريخ السياسى ، والتاريخ الاقتصادى ، والتاريخ الاجتماعى ، والتاريخ الحربى (٢) •

على أن التاريخ وان كان فى بداية عهده قد قصر اهتمامه على الشئون المتعلقة بالملوك ، والطبقة العليا من المجتمع كالقواد والوزراء ــ حتى ان البعض عرفه بأنه مجموعة من السير المختارة المتعلقة بطبقة معينة من المجتمع ــ فانه كان لابد أن يطور ميدانه بعد أن رسخت أقدام الديموقراطية ــ وذاعت الاشتراكية ، وتعددت الحركات الشعبية منذ منتصف القرن التاسع عشر ــ فكان لابد من قيام تصور جديد للتاريخ •

---

(١) من يريد المزيد من التفاصيل عن هذه الدوافع النفسية ــ أنظر :

حزين ، سليمان : صفحات من تاريخ الاستعمار •

و الجمل ، شوقى : تاريخ كشف افريقيا واستعمارها الطبعة الثانية ص ١٤٦ وما بعدها •

(٢) يميز بوبر ، كارل ــ بين التاريخ بفروعه المختلفة ــ السياسى ، والاقتصادى، والاجتماعى ، والحربى ــ وبين علوم السياسة والاقتصاد والاجتماع والحرب ويرى أن الفرق يتلخص فى التمييز بين الاهتمام بالقوانين الكلية التى تهتم بها هذه العلوم وبين الوقائع الجزئية المفردة التى يهتم بها التاريخ ــ لا القوانين أو القضايا العامة •

ملاحظة : لا نقر (بوبر) على هذه النظرة لمهمة التاريخ فهو رأى عفى عليه الزمان •

أنظر بوبر ، كارل : مرجع سابق ص ١٧٢ •

لذلك اتجه عدد غير قليل من المؤرخين الى الاهتمام بحياة الشعوب فلم تصبح السياسة ، وما تقوم به الحكومات هى مجال التاريخ وأصبح القول « بأن التاريخ هو سياسة الماضى ، والسياسة هى تاريخ الحاضر » ـ لغـو لا قيمـة له ٠

لذلك نجد المؤرخ الانجليزى لورد (أكتن) فى عام ١٨٩٥ ينتقد بشـدة تركيز المؤرخين على الناحية السياسية واهمالهم ما يتصل بالجماهير وأفكارهم فيقول « ان اختصاصنا تناول ما هو أبعد مدى من شؤون الساسة ، وهو غير خاضع لتشريع الحكومات ٠ ان من واجبنا أن نحيط بحركات الافكار التى هى علة الحوادث العامة لا نتيجتها ، وأن نجعلها نصب أعيننا دائما» (١) ٠

ومن الذين أدركوا قصور الكـتابه التاريخية المقتصرة على السياسة فقط (فولتير) ٠ فقد ذكر «ان التاريخ لن يكون فقط بيانا عن المعارك والعمليات الحربية ، أو عن المؤامرات والدسائس الدبلوماسية والسياسية ٠٠ بل الى جانب الأحداث السياسية عليه أن يرسم صورة لتقدم الاتجاهات الفـكرية، والميوّل الأدبية والفنية لكل عصر ، وعليه فى النهاية أن يعرض نظرة عامة للحياة الخلقية بأسرها فى العصر » (٢) ٠

هذا وقد حاول فولتير القيام بكل هذا فى كتابه (عصر لويس الرابع عشر) كذلك فى كتابه (مقال عن العادات Essai sur Les moeurs) .

ومع هذا فحتى نهاية القرن التاسع عشر ظل كثيرون لا ينظرون للتاريخ الحضارى نظرتهم للتاريخ السياسى ، وذكر البعض أن هذا النوع من الكتـابة والدراسة التاريخية يجب ألا تكون الا مجرد اشارات عابرة أثناء دراسـة التاريخ السياسى باعتباره الأصل ٠

ومع ذلك فلا شك فى أن الذين قصروا النظر الى التاريخ على أنه (تاريخ للدول) قد أوصدوا أمام أذهانهم ادراك الظروف المتعددة المحيطة بهذه القوة السياسية والمؤثرة فيها ٠

---

(١) هرنشو : مرجع سابق ص ٩٣ ٠

(٢) كاسيرر ، أرنست : مرجع سابق ص ٦٨ ٠

ونشير الى أن علم التاريخ وان كان قد خرج من النطاق الضيق الخاص بالسياسة · ورجال السياسة ونزل الى (الشارع) حيث عامة الشعب فاهتم بافكارهم وآلامهم وآمالهم _ فقد وجدت مدارس أخرى اهتمت بتوجيه الدراسة التاريخية وجهات أخرى _ نذكر منها مثلا مدرسة الاشتراكيين من أتباع كارل ماركس (Karl Marx) (١٨١٨ _ ١٨٨٣) فقد دعت الى التصور الاقتصادى أو المادى للتاريخ · ·

كذلك ركزت مدرسة أخرى من علماء النفس الاجتماعيين بزعامة كارل لمبرخت (Karl Lamprecht) المؤرخ الألمانى (١٨٥٦ _ ١٩١٥) على ما أشرنا اليه سابقا من دوافع غريزية ونفسية وراء أحداث التاريخ ·

والحقيقة التى انتهى اليها المعتدلون من المؤرخين اليوم هى أن عاملا واحدا لا يمكن أن ينفرد بتفسير الظواهر المتعددة وأحداث المجتمع التى لا شك فى أنها محصلة العديد من العوامل ·

على أننا نشير _ ونحن فى مجال بحث وضع التاريخ بين العلوم الأخرى _ الى أن محاولة بعض المؤرخين فى القرن التاسع عشر الزج بالتاريخ فى زمرة العلوم الطبيعية _ أدت الى الوقوع فى أخطاء لا مبرر لها من حيث طريقة البحث التاريخى وتعميماته _ فلا شك فى أن التاريخ :

١ _ من حيث طرائقه علم نقد لا علم ملاحظة وتجربة ، وفى هذا يختلف عن العلوم الطبيعية ؛

٢ _ أما من حيث تعميماته _ فان التعميم فى التاريخ قد يؤدى الى نتائج خادعة بعيدة كل البعد عما يمكن أن نطلق عليه لفظ (قانون) ·

فالتعميم كمنهج تاريخى يؤدى الى أحكام متناقضة تناقضا يجعل الحقيقة أمرا يصعب تمييزه (١) ·

---

(١) عن التعميمات فى التاريخ _ ارجع الى :
_ لوبون ، غوستاف : مرجع سابق ص ٦٠ وما بعدها ·
_ كذلك بوير ، كارل · مرجع سابق ص ١٦ وما بعدها ·

على أن القول بأن التاريخ لا يمكن الزج به فى زمرة (العلوم الطبيعية) أثار تساؤلا آخر هو :

ما هى اذا فوائد التاريخ للفرد وللمجتمع ؟ أو بمعنى آخر ـ لماذا نهتم بتدريس التاريخ لأبنائنا ؟ وما الذى نهدف اليه من وراء ذلك ؟

وهل تحقق دراسة التاريخ هذه الأهداف المرجوة ؟

ذهب البعض ـ وفى مقدمتهم ـ الفيلسوف البريطانى كيرد Caird (١٨٢٥ ـ ١٩٠٨) الى القول « بأن المعرفة التى لا ترتفع عن مستوى الوقائع والجزئيات ، والتى لا يربط بين أجزائها قانون من القوانين ـ لا تعتبر « أداة صالحة للتعليم » • هذا وان كان كيرد يذهب الى أن التاريخ وان لم يمكن اعتباره علما يقينيا على نحو ما نعتبر الآليات والبصريات ، وحتى علمى النبات ووظائف الأعضاء ـ الا أنه من حيث طرائقه ونتائجه ـ آخذ على أقل تقدير بشبه قوى جدا من العلوم المذكورة يجيز لنا أن نطلق عليه اسم العلم (١) •

ويرى كيرد أن للتاريخ بعض الفوائد ، فهو يكسبنا تصورا صحيحا للاشياء العارضة الموقوتة بالقياس للاشياء الأبدية الباقية فى حياة الانسان •

لقد كان التساؤل هو : اذا كانت الحوادث لا تتكرر ، وكان من المستحيل الوصول الى تعميمات تنتظم الظواهر التاريخية ـ فما الفائدة التى يمكن أن تأتى من دراسة التاريخ ؟

لا شك فى أن دراسة التاريخ تحقق العديد من الفوائد يمكن أن نجملها فيما يلى :

أولا ـ قيمة التاريخ فى تربية الفرد :

يرى البعض أن دراسة التاريخ تنشط الفكر وتشحذ الذهن . فالتاريخ

---

(١) هرنشو : مرجع سابق ص ١٠٣ •

اداة لرياضة العقل · بينما يرى آخرون أن دراسة التاريخ ـ دون سواها ـ أصلح الدراسات لتعويد الانسان الفضائل الخاصة والعامة ·· وقليل من الناس من يعارض اليوم فى وجوب الاستفادة من دروس وعبر التاريخ لالقاء دروس فى الأخلاق خارجة عن نطاق البحث التاريخى ذاته ·

فاذا أخذنا بهذه الاتجاهات ـ فان دراسة التاريخ توسع أفق الطفل ، وترفع مستوى الأخلاق ، وتبرز العلاقة بين النتائج والمسببات ·

وقد ذهب البعض فى تفصيل ذلك الى أن هناك تماثلا تاما بين حياة الفرد ، وتاريخ الانسانية ـ فالانسان هو العالم الأصغر ، والانسانية هى العالم الأكبر ، ولذلك يستطيع الفرد عن طريق دراسة التاريخ أن يدرك عن نفسه وعن علاقته بغيره الشىء الكثير ·

ومهما يكن فان التاريخ هو وحده القادر على أن يجعل الدارس يفهم ما يحيط به من أحداث حاضرة فى ضوء الماضى ·

يقـــول بوركار (J. Burchardt) ان التاريخ سيد الحيـــاة "Historia-vitae magistra" ويعقب نيتشه على ذلك (F. Nietsche) بقوله « ان الانسان يجب أن يلم بالاحداث الخاصة بحياته خلال الأزمنة المختلفة فمعرفة الماضى مطلوبة لكى تكون فى خدمة الحاضر والمستقبل وليس لاضعاف الحاضر أو لاجتثاث جذور القوى الحيوية للحياة فى المستقبل » (١) ·

ويذهب سينوبس الى « أن التاريخ أستاذ الحياة يزودنا بنصـــائح عملية تفيد السلوك ، وبدروس تفيد الأفراد مباشرة كما تفيد الشعوب » (٢) ·

ثانيا ـ قيمة التاريخ لرجال السياسة :

تتخذ بعض الدول من التاريخ الذى يدرس فى المدارس وسيلة لنشر

---

(١) كاسيرر ، ارنست : مرجع سابق ص ٨٨ ، ٨٩ ·

(٢) انجلو وسينوبس : مرجع سابق ص ٢٥٠ ·

المبادىء التى تؤمن بها . سواء أكانت تقديسا للملكية أو الجمهورية ، أو المبادىء البلشفية أو الفاشستية أو غير ذلك ٠

فهل يا ترى يحقق تدريس التاريخ هذا الهدف الذى يرمون اليه ؟

وهل نجحت محاولة الاستعانة برجال التربية فى محاولة استخدام مدرسى التاريخ فى المدارس العامة ـ كدعاة الى السلام أو الحرب أو كناشرين لمذهب معين سياسى أو اقتصادى ؟ ٠

لقد خرج رجال التربية بنتيجة هامة هى : أن بث الدعاية فى المدارس بهذا الشكل لا يحقق بحال ما الغرض منها ، بل بالعكس ـ يجعل التلاميذ كلما تقدم بهم السن ـ أميل الى الشك فيما فرض عليهم فرضا فى طفولتهم ٠

لكن مع ذلك فان المؤرخ الانجليزى جون سيلى (John Seeley) (١٨٣٤ ـ ١٨٩٥) يذهب الى « أن التاريخ مدرسة السياسة ، وبدون مقدار يسير منه على أقل تقدير لا يمكن الانسان أن يعنى عناية معقولة بالشؤون السياسية ، وبدون حظ موفور منه لا يمكنه أن يصدر حكما معقولا فى أى شأن من شؤونها، ان التاريخ دراسة هامة لكل مدنى ، ولكن هو الدراسة الهامة الوحيدة الخليقة برجال الحكم والتشريع » (١) ٠

١ ـ هو مدرسة لتعليم طريقة البحث السياسى :

فالتاريخ والسياسة علمان اجتماعيان نفسيان ، وكــلا من السياسى والمؤرخ لا مندوحة له عن الاستنباط من وقــائع غير متيقنة وأسباب ليست معروفة تماما ٠

فالمؤرخ عند شروعه فى بحث حادثة معينة لا سبيل أمامه للوصول الى الحقيقة المطلقة الثابتة ، وكذلك الشأن فى السياسة ، فليس فيها شىء ثابت مستيقن ٠

---

(١) هرنشو : مرجع سابق ص ١٠٨ ٠

ودراسة التاريخ مفيدة جدا من حيث هى مدرسة لتعليم طريقة البحث ـ فهى تعلم السياسى الحذر ، واستقلال الرأى وتهيئه لاكتساب ملكة الاستدلال بالأمثال الظاهرة على البواعث والأفكار الغامضة ٠

٢ ـ التاريخ مستودع للأحداث السياسية السابقة :

فالانسان عندما يبلغ سن النضج تهديه تجاريه السابقة التى تعيها ذاكرته فى سلوكه الحالى ، والجنس البشرى بالمثل ، لكن التاريخ هو ذاكرة الجنس البشرى ٠

وقد عبر الفيلسوف والمؤرخ البريطانى دافيد هيوم (David Hume) (١٧١١ ـ ١٧٧٦) عن ذلك بقوله : « اذا تأملنا قصر حياة الانسان ، ومعرفتنا المحدودة حتى بما يقع فى زماننا ـ فلا شك فى أننا نشعر بأننا كنا نبقى أطفالا فى أدراكنا لو لم يقيض لنا هذا الاختراع الذى يرجع بخبرتنا الى جميـــع العصور الماضية ، والى أقدم الأمم الخالية ، ان الرجل المطلع على التاريخ يمكن أن يقال عنه من بعض الوجود « انه يعيش منذ بداية العالم ٠٠ »

واذا أدركنا أن الأحداث العالمية مترابطة بعضها بالبعض الآخر بشكل عجيب ـ يمكننا أن ندرك أهمية التاريخ الحقيقية ـ فان نهضة مصر مثـــلا لم تكن مستطاعة بغير الشرق ، واعتمد اليونان على مصر فى نهضتهم وتسلقت روما ذروة مجدها على ظهر العالم بأسره ـ وهكذا يخدمنا التاريخ فى تتبع هذه السلسلة من الأحداث المتصلة (١)

٣ ـ التاريخ أساس التقدم السياسى :

فالتاريخ يمد السياسى بأكثر من سابقة تمت تجـــربتها ، ويوقفه على الأصول الواقعية لمشاكل الوقت الحاضر ، فكل المشاكل الكبيرة القـــائمة فى وقتنا الحاضر سياسية كانت أو اجتماعية لها تاريخ بعيد ٠

---

(١) كاسيرر ، أرنست : مرجع سابق ص ٨ ٠

فلا يمكن للسياسى فهم حقيقة المشكلة التى تعترض له ان لم يفهم ويدرس أصولها القديمة ·

ثالثا ـ التاريخ كفرع من فروع الدراسات الاجتماعية :

لم يعد التاريخ ينظر اليه النظرة الضيقة التى أخذ بها بعض قدماء المؤرخين ـ فاعتبروا مجاله دراسة شؤون الحكومات ، والحروب والشؤون المتعلقة بالادارة ، والدبلوماسية فحسب ـ بل أصبحت للتاريخ مجالات أخرى أوسع ، ولعلها أهم من شؤون الحكم والادارة والسياسة ·

لقد أصبح ينظر للتاريخ على أنه فرع من عائلة كبيرة هى (الدراسات الاجتماعية) ، ولذلك فانه تربطه بأفراد هذه العائلة روابط وثيقة ·

ومن هنا كانت صلة التاريخ بعلم الاقتصاد والجغرافيا والانثروبولوجيا (علم الانسان) ، وعلم الآثار وغيرها من العلوم الاجتماعية ·

وقد ذهب البعض الى أن التاريخ يجب أن يركز على (حضارة الشعوب) ويصرف النظر عن الحروب والحوادث السياسية · بينما وجد من تمسك بالتاريخ السياسى واعتبره قمة الدراسات التاريخية ·

وكما يقول د· أسد رستم « ان الطرفين كانا محقين فى بعض ما ذهبا اليه ، وأنهما تطرفا فى القول فى آن واحد ـ ففى تاريخ الحضارة ما لا يستغنى عنه لفهم الماضى · وفى تاريخ الحروب والحوادث السياسية ما لابد من ايضاحه لفهم الأحوال والظروف التى نعيش فيها » (١) ·

أما عن علاقة التاريخ بالعلوم الاجتماعية الأخرى وبغيرها من العلوم فستتعرض له بشىء من التفصيل فى الفصل القادم ·

وفى ختام الحديث عن أهمية التاريخ والبحث التاريخى أشير الى ما ذكره الدكتور شارلمالك منأن العلوم الانسانيةفى عصرنا هذا اما أنها أهملتلحساب

---

(١) رستم ، أسد : مصطلح التاريخ ـ مرجع سابق ص ١١٢ ، ١١٣ ·

العلوم الطبيعية وللاغراءات التكنولوجية ، أو طبقت طريقة هذه العـــلوم الطبيعية على العلوم الانسانية فى تعسف وضيق نظر ـ ويتساءل :

ماذا ينفع الانسان لو فهم أسرار الطبيعة جميعها وسخر قواها كلهـا ولم يعرف مع ذلك نفسه ؟

ماذا ينفع الانسان لو ضيع عقله فى الجزئى والحسى والسطحى والعابر والحسن ، ولم يتحرق فى قلبه الى الأشد حسنا ، والأشد أصالة وعمقا والأشد شمولا وكيانا ؟ ٠

وينتهى الى التحذير من الاكتفاء الحزين بالعلوم المادية الوضعية ، ولنغرف من معين الروح العارفة ليس للمادة فحسب ، والمتأكدة ليس من الطبيعة فحسب ، بل العارفة والمتأكدة من نفسها ومن الانسان ومن الله (١) ٠

---

(١) مالك ، شارل واخرون : مرجع سابق ص ٢٠ وما بعدها ٠

الفصـل الرابع

العـلوم الاخـرى

الوثيقـة الصلة بعلم التاريخ

مباحث هذا الفصل :

- صلة التاريخ بعلم الجغرافية ·
- أهمية العلوم السياسية ، ودراسة النظم الدستورية للباحث التاريخى ·
- علم الاقتصاد وعلاقته بالتاريخ ·
- علم الانسان (الانثروبولوجيا) وصلته بالتاريخ ·
- علم الآثار (الاركيولوجيا) وصلته بالتاريخ ·
- علم المسكوكات (النميات) وأهميته للمؤرخ ·
- علم الوثائق وأهميته للباحث التاريخى ·
- اللغة ودراسة الخطوط وأهميتها ·
- معرفة الأختام ، الأحبار ، والأقلام ·
- علوم القرآن والتفسير ـ والعلوم الاجتماعية والفلسفية ·
- العديد من العلوم الأخرى ·

(يختلف حسب موضوع البحث والفترة الزمنية)

رأينا أن علم التاريخ فرع من فروع الدراسات الاجتماعية (Thosiology)

ولذا فهـو وثيق الصـلة بالعـلوم الاجتماعية الأخرى ـ كعلم الاقتصاد ، والجغرافيا ، وعلم الانسان (Anthropology) وعلم الآثار (Arceology)

وصلة التاريخ بهذه العلوم ، وبالعديد من العلوم الأخرى التى سنذكرها تجعل من واجب المؤرخ أن يلم بقدر من هذه العلوم ـ اذ بدونه لا يمكنه اداء رسالته كباحث تاريخى على أكمل وجه ·

والبعض يطلق على هذه العلوم تعبير (العلوم الخادمة) أو (العـلوم المساعدة) (Sciences ancillaires) (١) ·

فالظواهر الجغرافية كالسطح ، والمناخ ، والنبات وغيرها عظيمة الأثر فى الأحداث التاريخية (٢) ·

فاذا كانت الجغرافيا تعنى بالأرض وما يرتبط بها من الظاهرات التى أسلفنا ذكرها ـ فان التاريخ يهتم بالانسان الذى يعيش على هذه الأرض وتؤثر فيه بظاهراتها المختلفة وعواملها المتباينة ، كما يؤثر هو فيها ـ فهى المسرح والانسان هو الممثل الذى يؤدى دوره على هذا المسرح ·

ولا تحتاج الصلة بين طبيعة الأرض والعوامل المختلفة المرتبطة بها ، وبين حياة وتاريخ من يعيشون عليها للشرح والتفصيل ·

ففى السهول الخصبة والوديان كوادى النيل ، والدجلة والفرات وغيرها ·· قامت أقدم الحضارات البشرية التى عرفها التاريخ كالحضارة الفرعونية القديمة ، والحضارة الأشورية والبابلية · اذ أتاحت هذه الظروف الجغرافية للانسان ـ فرص الاستقرار وبناء المساكن واستغلال موارد البيئة المختلفـة للزراعة أو الرعى أو غيرها · وفى هذه الظروف المهيأة تقدم الانسان فى مختلف

---

(١) George, H.B. : The Relations of Geography and History (Oxford) 1924·

(٢) Semple. Ch. : Influence of Geographic Environment (N.Y., 1911)

المعارف والفنون فاستطاع أن يستفيد الى أكبر حد ممكن مما قدمته له الطبيعة من امكانيات ، واستطاع أن يتغلب على ما صادفه من عقبات ٠

هذا بينما نجد البيئة الصحراوية والبيئة الجبلية بيئات طاردة تدفع الانسان للرحيل وعدم الاستقرار بحثا عن أماكن أكثر خصبا أو موارد أخرى للرزق ٠

والعوامل الجغرافية المختلفة تؤثر فى نشاط الانسان وتشجيعه على العمل ، كما تؤثر فى طباعه وأخلاقه ومزاجه وفى شحذ ذهنه أو العكس ٠

وارتبط تاريخ العديد من الأقطار بموقعها الجغرافى بالاضافة الى المعالم الجغرافية الأخرى ، فتاريخ مصر على مر العصور تأثر بموقعها فى الركن الشمالى الشرقى من قارة أفريقيا وبسواحلها المطلة على البحرين المتوسط والأحمر ، فكان اتصالها مستمرا بالحضارات التى نشأت فى حوض البحر المتوسط وعلى سواحله من فينيقية واغريقية ورومانية ـ كما أن الصحراء الغربية الواسعة هيأت لمصر دائما حماية طبيعية فلم تتعرض لجيوش منظمة غازية من هذه الجهات فى تاريخها الطويل الا فى مرات محدودة ، ولم تنجح هذه المحاولات فى الغالب ـ فحتى فتح الفاطميين لمصر من الغرب لم ينجح الا بعد العديد من المحاولات ـ وبعد استعدادات وتدابير خاصة للتغلب على الصحراء بجفافها ٠ وفى العصر الحديث ـ رغم كل التقدم العلمى ـ واجه جيش (روميل) فى الحرب العالمية الثانية مصيره المحتوم نتيجة امتداد خطوط تموينه عبر الصحراء القاحلة الشاسعة غربى مصر ٠

وكان لموقع مصر الفريد وتحكمها فى طرق التجارة بين الشرق والغرب عبر البحرين الأحمر والمتوسط ـ حتى قبل حفر قناة السويس ـ أثره فى ثراء وقوة دولة المماليك الحاكمة فيها ـ ولما اكتشف البرتغال طريق رأس الرجاء الصالح وتحولت التجارة ـ مؤقتا ـ الى هذا الطريق الجديد تأثرت بذلك دولة المماليك ، وكان هذا العامل الجغرافى من أهم عوامل ضعفها وسقوطها ٠

وتأثر تاريخ مصر الحديث بهذا الموقع الفريد ـ خاصة بعد حفر قناة السويس ـ فأصبحت مطمعا للانجليز وهدفا من أهدافهم ـ كيف لا وهى تتحكم فى الطريق القصير المؤدى لجوهرة التاج البريطانى (الهند) ، وقد حاول

بونابرت ضربهم - ليس فى بلادهم نفسها بل باستيلائه على مصر وتحكمه فى هذا الطريق . ولذا كانت السياسة الانجليزية تجاه مصر طوال القرن التاسع عشر وأوائل العشرين مبنية على هذا الادراك لأهمية موقع مصر الجغرافى . وكان احتلالهم لمصر عام ١٨٨٢ وحرصهم - أثناء مفاوضاتهم المتتالية للجلاء - على الاحتفاظ بقواعدهم فى منطقة قناة السويس قائما على هذا الادراك لأهمية منطقة القناة لهم .

وما يقال عن موقع مصر الجغرافى يقال عن مناطق أخرى مماثلة مثل عدن التى احتلتها انجلترا عام ١٨٣٨ ، وجبل طارق التى لا تزال تحتلها الى اليوم ، واهتمامها بعدم سيطرة أية دولة أخرى على مدينة (طنجة) التى أصرت رغم اتفاقها الودى مع فرنسا فى ١٩٠٤ على أن تبقى دولية . وهناك العديد من الأمثلة يمكن أن تساق لتوضيح أهمية دراسة العوامل الجغرافية لفهم حقائق التاريخ .

وموقع الجزائر البريطانية نفسها أثر على تاريخها أبلغ الأثر - فظلت بعيدة الى حد كبير عن غزو أعدائها لها فى عقر دارها - يقال ذلك عن حروبها مع بونابرت أو حروبها مع هتلر والنازيين - كما كان لهذا الموقع أثره فى السيادة البحرية للانجليز فاكتسبت اساطيلهم شهرة واسعة وحرصوا على تحطيم كل منافس لهم فى هذا المجال فاغرقوا الأرمادا الاسبانية فى ١٥٨٨ ، كما حالوا دون دخول أية قوة بحرية أخرى منافسة مياه البحر المتوسط والمياه الدافئة الأخرى التى اعتبروا أنفسهم سادتها - فرسموا سياستهم تجاه الدولة العثمانية على أساس ابقاء الأوضاع كما هى عليه حتى لا يشاركهم الروس السيادة فى هذا البحر .

ولعبت العوامل الجغرافية الأخرى كالأنهار والجبال وغيرها دورا هاما كعوامل ربط ، أو كعوامل لتحديد الحدود بين الدول المختلفة (١) .

ومن جهة الأنهار كعوامل ربط لعل نهر النيل وربطه بين مصر والسودان وغيرهما من أقطار حوض النيل وأثر ذلك فى تاريخ هذه الأقطار على مر العصور يعطى أوضح مثل .

---

(١) للدراسة التفصيلية للانهار والجبال وغيرها كحدود سياسية أنظر
Boggs. S.W.: International Boundaries.

ولعل الدور الذى لعبه مناخ روسيا فى هزيمة الجيوش الألمانية فى الحرب العالمية الثانية أكبر دليل على الأثر الجغرافى فى مجرى التاريخ ٠ فرغم أن الروس ، كانوا فى عام ١٩٤٢ قد فقدوا خلال حربهم ضد الألمان الحقول الغنية بالحنطة فى أوكرانيا ، والجهات الصناعية الهامة فى حوض الدينبر، كما استحوذ الألمان على مناجم فحم حوض الدونتز ، وجميع أرجاء شبه جزيرة القرم - ما عدا سيباستبول - لكن حل شتاء روسيا القارس البرد على الألمان وهم يدقون على أبواب موسكو ولينينجراد فاستعصى عليهم فتحها واضطروا للتراجع وانتهى الأمر بالتسليم فى ٣١ يناير ١٩٤٣ ، وهكذا تضافرت الطبيعة على هزيمتهم كما حدث من قبل لجيوشهم فى أكتوبر ١٩٤٢ فى معركة العلمين التى كانت نقطة تحول فى مصير الحرب فى ذلك الميدان الحيوى ٠ والعجيب أن يتفق تسليم القوات الألمانية فى قطاع ستالينجراد تماما مع دخول الجيش الثامن البريطانى الذى اكتسح الجيوش الألمانية فى الصحراء الغربية - تونس (١) ٠

ويعتبر ثيودور مومسن (Theodor Mommsen) وهو من المدرسة التاريخية الألمانية الحديثة - علوم السياسة ودراسة النظم السياسية والدستورية بالاضافة الى اللغات الأصلية فى مقدمة العلوم اللازمة للباحث التاريخى ٠ فقد ذكر مخاطبا تلاميذه : « ان الذى يترك الجامعة ولديه معرفة مستفيضة باللغات اللاتينية ، واليونانية ، والالمانية والنظم السياسية لهذه الشعوب يكون صالحا لأن يصبح مؤرخا - أما الذى يفتقر الى هذه المعرفة - فانه لا يصلح ٠ فاذا أحطنا علمنا بهذه المسائل فمن المؤكد أن البحث فى المصادر وتصوير الاحداث العملية ، سوف يأتى من تلقاء نفسه ، كما تسقط السحب الكثيفة أمطارها ٠٠ ولكن اذا لم تحصلوا على هذه المعرفة فانكم ستقطفون ثمارا تعطب بمجرد امساككم بها » (٢) ٠

وعلم الاقتصاد من أشد العلوم لزوما للمؤرخ فقد وصل الامر الى أن ماركس وصديقه الالمانى انجلز Engles (١٨٢٠ - ١٨٦٥) ذهبا الى

---

(١) للمزيد من التفاصيل عن هذه المعارك ودور العوامل الجغرافية فيها - أنظر : فيشر هـ ٠ ا ٠ ل ٠ : تاريخ أوربا فى العصر الحديث (تعريب أحمد نجيب هاشم . ووديع الضبع - ١٩٦٤) ص ٦٨٠ وما بعدها ٠

(٢) كاسيرر ، أرنست : مرجع سابق ص ٦٢ ٠

تفسير التاريخ تفسيرا اقتصاديا محضا ٠ ومع اعترافنا أن هذا الاتجاه مبالغ فيه الى حد كبير ـ فلا شك فى أن العوامل الاقتصادية لعبت دورا بارزا فى تاريخ الانسان ٠ ففى العصور القديمة كان العامل الاقتصادى من أهم العوامل فى حياة الانسان الذى كان يكافح كفاحا مريرا من أجل الحصول على قوته، وأصبحنا ندرس تاريخ الانسان الحضارى على أنه تدرج من الالتقاط الى الرعى الى الزراعة الى الصناعة وهكذا ٠٠ وأصبحنا نقيس حضارة الانسان بمدى استغلاله لما تقدمه له البيئة من امكانيات ، ومدى تغلبه على العقبات التى تعترض طريقه فى سبيل تذليل حياته وسد احتياجاته ٠

ورغم التطور الذى حدث فى الحضارة البشرية فليس من شك فى أن الشؤون الاقتصادية قد عادت من جديد لتفرض نفسها كعامل قوى جبار فعال يؤثر فى علاقات الشعوب وفى تحركاتها ٠

وعوامل الانتاج التى قد تتوفر فى دولة دون غيرها ، توجه الى حد كبير النشاط الاقتصادى ، وبالتالى وضع الدولة بالنسبة للكفاية لسد احتياجات سكانها أولا ثم بالنسبة لعلاقاتها الخارجية بالدول الأخرى ، فاذا توفرت الظروف الملائمة لقيام زراعة ناجحة وأحسن استغلالها وفرت حاجات السكان ، وقد توفر فائضا للتصدير ٠ وهكذا نفس الشىء اذا توفرت عوامل قيام الصناعة الناجحة من مواد خام وقوة محركة وأيدى عاملة والآلات وأسواق لتصريف الانتاج ٠

والطريقة التى توزع بها الثروة بين أفراد الشعب ، والفروق بين الدخول المختلفة تحدد أوضاع الطبقات المختلفة فى المجتمع وتؤثر فى نظام الحكم٠ ولعل المثل الواضح لذلك التغيير الذى طرأ على المجتمعات الأوربية نتيجة الثورة الصناعية ، وظهور الرأسمالية الوطنية ثم ظهور العمال كقوة لها تأثيرها فتكونت النقابات العمالية وأحزابها وأصبح لها وزنها وتأثيرها على تسيير دفة الحكم ٠ وقد أشرنا لأثر العامل الاقتصادى فى قوة دولة المماليك، وأثر انهيار اقتصادهم فى ضعفهم العسكرى وسقوطهم ٠

وقد برز العامل الاقتصادى فى الحروب ، فاستخدم كل من نابليون وانجلترا هذا السلاح ضد الطرف الآخر ، وظهر هذا العامل أيضا فى الحربين العالميتين الأولى والثانية ٠ ولعل دخول الولايات المتحدة الأمريكية فى صف

الحلفاء ومساندتها الاقتصادية لهم كان كفيلا بترجيح كفتهم فى كل من الحربين .

ولعب العامل الاقتصادى أيضا دورا هاما فى الاستعمار الأوربى الحديث، فكان من أهم أهداف الدول الاستعمارية الاستحواذ على المواد الخام الأولية والأسواق التى تسد حاجات الدول الصناعية ، ومن ثم كان الاستعمار الاقتصادى (Economic Imperialism) هو المظهر البارز للاستعمار الحديث .

والبترول وهو من أهم مصادر الطاقة اليوم يلعب دورا حاسما فى تحديد علاقات الشعوب ، ومصادره مطمع أنظار الدول الكبرى كلها . فالبترول الايرانى ، وبترول العرب كان وما زال يؤثر فى الأوضاع السياسية الداخلية والعلاقات الخارجية للبلاد المنتجة له . وقد استخدم العرب بنجاح سلاح البترول ضد اسرائيل فى حرب عام ١٩٧٣، وما زالوا يلوحون باستخدامه ، وله بلاشك أثره وفاعليته على الدول الكبرى التى تحتاج اليه والتى يتأثر اقتصادها وحياة سكانها بما يصلها من هذا البترول بل وبأسعاره أيضا فارتفاعها أو انخفاضها يؤثر فى الأوضاع الاقتصادية فى هذه البلاد المستغلة له .

والتبادل التجارى بين الدول وعلاقاتها الاقتصادية ترتبط ارتباطا وثيقا بالعلاقات السياسية وتتأثر بها وتؤثر فيها .

وأمامنا أمثلة للدول الافريقية التى نالت استقلالها حديثا - فقد ظلت كثير منها مرتبطة فى اقتصادها بالدول المستعمرة السابقة ، وأصبحنا نجد دولا فى نطاق الاسترلينى وأخرى مرتبطة اقتصاديا بدول الفرنك الفرنسى - وأصبح من الحقائق الواضحة أن الاستقلال السياسى للدولة مرتبط الى حد كبير باستقلالها الاقتصادى وقدرتها على سد حاجات سكانها دون الاعتماد على الدول الكبرى الاستعمارية .

ومن العلوم الأخرى الوثيقة الصلة بالتاريخ علم الانسان (الانثروبولوجيا) . وعلم الآثار (الاركيولوجيا) - وقيمتهما للمؤرخ

لا جدال فيها خاصة فى القاء الضوء على حياة الانسان الأول وحضارته وعلى العلاقات والعادات والتقاليد السائدة فى المجتمعات الانسانية أو التى كانت سائدة ودلالتها على ما كان بين هذه المجتمعات وغيرها من المجتمعات الأخرى من علاقات وروابط تاريخية ٠

ومن العلوم الأخرى التى لا يستغنى عنها المؤرخ علم المسكوكات من نقود وغيرها بما تحمله من كتابات وصور للملوك والحكام ـ فسنوات ضرب النقود حددت الى حد كبير سنوات حكم بعض الحكام التى لم تكن معروفة، كما أن بعض هذه المسكوكات ضربت فى مناسبات تاريخية معينة فكانت دليلا عليها ، وتقدم علم النميات (Numismatics) تقدما كبيرا فأصبحت العملة تدرس من نواح متعددة من حيث ما هو منقوش على وجهيها ، والمادة الخام التى ضربت منها ونسبة المادة النفيسة للمادة البخسة ودلالتها ٠

وقد كانت العملة من دلالات استقلال الدولة وتمتعها بشخصيتها المميزة ٠

ومن العلوم الأساسية الوثيقة الصلة بالتاريخ علم الوثائق (Diplomatics) (١) ٠

والوثيقة ـ كما سبق أن أوضحنا مرارا ٠٠ هى المصدر الأصلى الذى يعتمد عليه الباحث التاريخى أو المادة الخام التى يصوغ منها نسيجه ، فالاستفادة منها يستلزم القدرة على قراءة الوثيقة ، ثم التحقق من صحتها وذلك يتطلب معرفة اللغة التى كتبت بها الوثيقة والخط الذى كتبت به ، والطريقة التى كانت متبعة فى ذلك العصر للكتابة الرسمية ، والأسلوب المستخدم فى الكتابة والمصطلحات ـ الى غير ذلك من الدراسات التى لابد

---

(١) وجدت بفرنسا مدرسة خاصة لدراسة أصول وأسس التوثيق ويطلق عليها اسم (مدرسة الوثائق Ecole Des Chartes) ومدة الدراسة بها ثلاث سنوات كاملة ٠ هذا وقد أشار البعض لاهمية ما أطلق عليه (علم الكشافات) أو (علم المراجع التاريخية) وقد أشار لذلك لانجلوا (Langlois) فى كتاب له عن « علم المراجع التاريخية » "Manuuel de Bibliographie Historique"

أنظر انجلو وسينوبوس : مرجع سابق ص ٢٢ ، وكذلك ص ٢٨ ٠

منها للتحقق من ان الوثيقة أصلية وسليمة ليست مزورة ، وهكذا تتضح أهمية علم الوثائق وهو علم قائم على أسس وأصول، وترتبط بذلك دراسة الأختام التى كانت تختم بها الأوراق الرسمية وغير ذلك من الدراسات كدراسة الشفرة التى تصدر بها بعض المكاتبات ومفتاحها وطريقة قراءتها · وقد تقدم هذا العلم اخيرا تقدما كبيرا وتفرع وأصبح هناك متخصصون فيه ومدارس لتدريسه ··

كذلك ـ كما أشرنا ـ فان دراسة الخطوط المختلفة المستخدمة فى عصر من العصور وتطورها ومميزاتها تفيد فى الحكم على سلامة الوثيقة من عدمه. وهذا بالطبع يهم الباحث التاريخى فى المقام الأول ·

وأذكر على سبيل المثال أننى اطلعت فى دار الوثائق بالرباط بالمغرب على العديد من الوثائق العربية بالخط المغربى القديم ـ وهى وثائق لها أهميتها لأنها تكشف عن حقائق فريدة ، وتحتاج الاستفادة منها لمعرفة هذا الخط وتفهمه ، ويقال نفس الشيء عن المخطوطات العربية الضخمة التى تخص تاريخ البلاد العربية بشمال وغرب أفريقيا وتاريخ بلاد الأندلس طوال فترة الحكم العربى ـ التى تزخر بها (مكتبة الاسكوريال) فى مدريد بأسبانيا ·

ويحتاج المؤرخ للالمام باللغة التى كانت سائدة فى العصر الذى يدرس تاريخه أو الدولة التى ارتبطت بهذا التاريخ ـ فمثلا الباحث فى تاريخ مصر فى العهد العثمانى عليه أن يلم باللغة التركية التى كانت سائدة فى ذلك العصر ليستفيد من الوثائق الأصلية الهامة التى بدار الوثائق بالقلعة وأغلبها بالتركية والقليل منها ترجم الى العربية فى أوقات معينة ولدراسات محددة (١) ·

كذلك من يتعرض لتاريخ الاستعمار الفرنسى فى غرب أفريقيا أو شمالها أو للاستعمار البريطانى فى نيجيريا مثلا أو جنوب أفريقيا ـ لابد أن يعرف اللغة الفرنسية او الانجليزية معرفة طيبة ليستفيد من الوثائق بالمكتبة الأهلية

---

(١) اللغات يطرأ عليها تطور ، والالفاظ قد يكون لها مدلولات تختلف فى العصور المختلفة · فمثلا اللغة اللاتينية واللغة الفرنسية المستعملتين فى العصور الوسطى تختلفان تماما عن اللاتينى الكلاسيكى ، والفرنسى الحديث ـ وسنشير لهذا بالتفصيل فيما بعد·

بباريس أو التى صدرت عن فرنسا أو انجلترا أو المحفوظة فى أرشيف وزارة الخارجية فى البلد المستعمر (كان يطلق على بعضها فيما قبل وزارة المستعمرات) .

ولا شك أن الاعتماد على ما نشر من مجموعات الوثائق أو المعاهدات والاتفاقات لا يغنى بحال من الأحوال ، ولابد أن يطلع الباحث بنفسه على الوثائق الأصلية ويختار منها هو ما يرى نشره أو استخدامه وما يلقى الضوء على موضوع بحثه وما يؤيد رأيه أو ينقض رأيا شائعا الى غير ذلك ، فهذه هى الاضافة الحقيقية المطلوبة من الباحث .

فاجادة اللغة التى كتبت بها الوثائق الأصلية المتصلة بالبحث امر جوهرى ، ولا يجدر بالباحث التاريخى أن يتصدى لموضوع يعلم انه يجهل لغة مصادره الأصلية الا اذا كان عازما عزما أكيدا على تعلم هذه اللغة والرجوع للوثائق الأصلية المكتوبة بها .

وقد طالب الفيلسوف الألمانى شليجل (Schlegel) دارسى التاريخ الألمانى بأساس لغوى قوى يمكن الباحثين من البحث فى السجلات ، وانتقد ظاهرة أن ما قام به الأجانب - كما ذكر - اكثر بكثير مما أنجزه الباحثون الألمان ، وكان لمقاله هذا فضل كبير فى الحث على ما عرف « بدراسة اللغويات التاريخية » (١) .

وفيما يتعلق بدراسة الوثائق الأصلية باللغة الأصلية لهذه الوثائق - أشير الى أن بعض الدول استنت سنة حميدة بأن تلتزم كل فترة بنشر بعض الوثائق التى مرت عليها فترة زمنية تبيح نشرها دون المساس بمصلحة الدولة - مثال ذلك الكتاب الأزرق البريطانى والأصفر الفرنسى .

هذا على أننا نشير أيضا الى أن بعض المعاهدات والاتفاقات الدولية التى تنشر نصوصها فى حينها ظهر فيها بعد أن مانشر عنها لايمثل الا جانبا واحدا من الحقيقة . فهناك اتفاقات سرية ملحقة بالاتفاقات المعلنة وبعضها أكثر من البنود الأصلية اهمية - كذلك أشير الى اهمية الاطلاع - ان أمكن - على محاضر جلسات المناقشات بين الأطراف المختلفة مما يستلزم اطلاع الباحث

---

(١) كاسيرر . أرنست : مرجع سابق ص١٨ .

بنفسه على ما دار فى هذه الجلسات فهو يكشف عن حقائق مذهلة لا يمكن الوصول اليها من مجرد الاطلاع على ما نشر أو ترجم من النتائج النهائية للمناقشات ـ وكل هذا يتطلب معرفة الباحث باللغات الأصلية للدول الأطراف فى الأحداث التاريخية ٠

وهناك العديد من العلوم الأخرى وأوجه المعرفة التى قد يحتاجها الباحث التاريخى ٠

على أن أهمية كل علم منها ـ الى جانب الثقافة العامة المشتركة ـ تختلف حسب الفترة الزمنية للباحث وتخصصه ٠

فالباحث فى تاريخ مصر القديم يلزمه الالمام باللغة الهيروغليفية بينما يحتاج الباحث فى فترة الحكم الرومانى لمصر الى الالمام باللغة اللاتينية أى اليونانية وهكذا ٠ وقد أشرنا الى أن من يتعرض لفترة الحكم العثمانى يلزمه معرفة اللغة التركية ـ بينما قد تكون دراسة الوثائق مثلا وطريقة الحكم عليها والاستفادة منها شيئا عاما مشتركا لا غنى عنه للغالبية من الباحثين فى مختلف عصور التاريخ باعتباره اساسا من أسس البحث العلمى السليم ٠ وهكذا يستطيع الباحث باعتباره أساسا من أسس البحث العلمى الأمر ـ ان يحدد ألوان المعرفة اللازمة له ـ وان يحدد بعد ذلك موقفه من الاقدام على البحث فى هذا الاتجاه أو الاحجام عن هذا الميدان ٠

ويعطى د٠أسد رستم مثلا لمن يتصدى لدراسة موضوع فى تاريخ العرب فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ـ يسوقه كمثل لضرورة الالمام بما أطلق عليه (العلوم الموصلة) وهى تسمية مشتقة من علم التفسير ـ فيذكر أن هذا الباحث يلزمه على الأقل أن يلم باللغات العربية، والتركية، والفرنسية، والانجليزية ، والألمانية اذ أن أصول هذه الحقبة من التاريخ ترد فى هذه اللغات (١) ٠

هكذا يحتاج الباحث فى التاريخ للالمام بألوان متعددة من المعرفة ليقوم بعمله على خير وجه ٠

هذا بالاضافة الى الحاجة الى معرفة الخطوط العربية المختلفة ٠

---

(١) رستم ، أسد : مرجع سابق ص ٦ وما بعدها ٠

الفصـــل الخامس

بعض الصفات الواجب

توفرها فى المـــؤرخ

(السلوك الخاص بالباحث)

مباحث هذا الفصل :

- التحلى بالجلد والصبر ·
- الدقة والأمانة ·
- الحيدة لازمة للمؤرخ ·
- عدم تكوين رأى مسبق (ارادة المعرفة) ، اى الرغبة الحقيقية فى فى الوصول للمعرفة ·
- ملكة الربط بين الأحداث المتناثرة ·
- الاستعداد لتقبل آراء الغير ·
- الحاسة الزمنية ·
- التأمل الهادىء ·
- الموضوعية (لا تتنافى مع قوة الشخصية والاتزان العلمى) ·
- القدرة على التعبير بأسلوب علمى ·
- التواضع ·

البحث التاريخي ليس بالأمر السهل اليسير ، فهو يتطلب أن تتوفر فى المؤرخ شروط قد لا يستلزم توفرها فى غيره ممن يتعرضون لألوان أخرى من الكتابات الأدبية مثلا أو البحوث فى مجالات أخرى ٠

فمن الصفات الأساسية التى يجب أن تتوفر فى المؤرخ - أو ما أطلق عليه المؤرخ الألمانى تيودور مومسن « بالسلوك الخاص بالباحث فى مجال التـاريخ » (١) :

الجلد والصبر

فالباحث فى ميدان التاريخ يحتاج للسعى وراء المعرفة مهما تكبد من جهد ووقت ، فهو يواصل البحث فى دور الوثائق ، ويطلع على العشرات منها وقد لا يجد فيها ما يضيف جديدا أو يخدم بحثه ، ومع ذلك فيجب الا ينتابه اليأس بل يتابع البحث طالما هو يسير فى الطريق السليم ، ونفس الشىء قد يحدث فيما يتعلق بالعديد من المراجع التى يلزمه أن يرجع اليها لتناولها العصر الذى يبحث فيه أو لصلتها بالموضوع الذى يكتب عنه ، وقد يطوى عشرات الصفحات فلا يكاد يجد جديدا يخدم موضوعه ٠

والبحث فى الوثائق الأصلية بأوضاعها الحالية ولغتها ، وطريقة كتابتها الخ ٠٠٠ يحتاج الى صبر وأناة فى محاولة لحل غموضها أو معرفة مدلولها أو ظروف صدورها ٠٠

ومن يستعجل الوصول الى المعلومات التى تخدم بحثه يخطىء فى الحقيقة لأن هذا سيكون بلا شك على حساب الدقة المطلوبة ٠

يضـــاف الى هذا أن الوثائق نفسها ليست غالبا تحت أيدى الباحثين فهى مبعثرة هنا وهناك فى دور المحفوظات ، والباحث عليه أن يسعى اليها حيث هى ، والا يهمل منها شيئا مهما كان بعيد المنال ومهما تطلب الوصول

---

(١) تيودور مومسن - مؤرخ المانى - اشرنا اليه اكثر من مرة ، ومن اشهر كتبه « القانون الدستورى الالمانى » كتبه فى السنوات ١٨٧١ / ١٨٧٥ - وله كتاب أخر عن « التاريخ الرومانى » ٠

اليه من جهد ومال ووقت - فالمطلوب من الباحث أن يلم بكل ما هو متعلق بيحثه من وثائق أو كتابات غير نشورة أو منشورة ٠

ويشير انجلو وسينوبوس الى ذلك بقولهما : « ان الفضيلة الأساسية فى المؤرخ هى الصبر ٠٠ لا تشتغل بسرعة ، واعمل وكأن فى الابطاء فائدة دائما ٠٠ هذه نصائح سهل قولها ، أما اتباعها فيحتاج الى مزاج رصين - فالناس العصبيون الشديدو الانفعال المتعجلون دائما للانتهاء - يمكنهم أن يعملوا عملا حسنا فى مهن أخرى غير البحث التاريخى » (١) ٠

« ان الباحث فى مجال التاريخ - كما يذكر يجب أن يطرد من ذهنه أن البراعة (Savoir-taire) يمكن أن تعوض عن المعرفة (Savoir) وأن العمل الردىء السهل بشىء من البراعة يمكن أن يحل محل العمل الجيد » (٢) ٠

ويذكر المؤرخ الألمانى فون رانكه (Ranke L. Von) أنه يجب أن يكون شعار المؤرخ « اعمل - ولا تتكلم » (٣) فوظيفة المؤرخ - فى رأى هذا المؤرخ « هى بذل كل جهد سعيا وراء الحقيقة ، ليس التذرع بالزخارف الخطابية ، فالمؤرخ عليه أن يدرك أنه مطالب بأن يستخرج الحقيقة من وسط الأحداث الغامضة » ٠ ويقول «يجب الا ينفر المؤرخ من غموض العالم التغيره، بل عليه أن يتعلم كيف يعتاد الظلام ، وأن يرى الواقع من خلال الأحداث الغامضة » (٤) ٠

كذلك يجب أن يتصف المؤرخ بالدقة الكاملة ، والأمانة فى عرض وجهات النظر المختلفة ، وكما سنرى فيما بعد انه مطالب بأن ينسب كل رأى لصاحبه ولمصدره دون التواء أو محاولة اخفاء شىء من الحقيقة ٠

واذا اهتزت ثقتنا فى الباحث فى التاريخ مرة واحدة اهتزت الأرض

---

(١) انجلو وسينوبوس : مرجع سابق ص ٩٧ ٠

(٢) نفس المرجع ص ١٠٥ ٠

(٣) كاسيرر ، أرنست : مرجع سابق ص ٢٩ ٠

(٤) نفس المرجع ص ١٠٥ ٠

من تحت أقدامه ، وأصبح معرضا للشك فى كل ما يقوله وما يورده من أفكار وآراء ٠

وهناك مشكلة تثار دائما ٠٠ هل يقدم المؤرخ الناحية القومية ، وما تطلبه منه من آراء معينة على الحقيقة اذا حدث تعارض بين الاثنين أم العكس ؟ ٠

والواقع اننا نتطلب من المؤرخ الحيدة الكاملة والنزاهة التامة ، فهو يورد الحقائق مستندة الى مصادرها الأصلية وحين يتعرض للتحليل أو التعليل يجب أن يلتزم بالمنطق والأسلوب العلمى الذى يبنى النتائج على علل وأسباب سليمة بحيث لا تتعارض النتائج مع المقدمات ٠

والمؤرخ يجب الا يكون رأيا مسبقا فى الأحداث ثم يحاول بعد ذلك أن يجمع الأدلة والبراهين على صحة هذا الرأى ، فلا شك فى أن هذا الاتجاه سيؤدى الى الانزلاق والخطأ ، بعكس لو جمع المعلومات عن الحادث الذى يتعرض له من مصادرها الأصلية ، واستعرض مختلف الآراء التى كتبت عن هذا الحادث محاولا تحليلها والوصول فى ضوء كل ذلك الى الرأى المرجح الذى يرتاح هو اليه ، ويعتقد انه ــ فى ضوء كل المعلومات المتاحة له ــ هو الرأى السليم ٠

ويعبر المؤرخ الألمانى فون رانكى (Rankel Von) عن ذلك بقوله « ان عدم محاولة المؤرخ السعى وراء الحقيقة المجردة خطيئة فادحة ، انه ضعف فى ارادة المعرفة » ــ وأشار الى وجوب الفصل بين الأمر الشخصى والواقعى ، ووجوب الالتزام بالموضوعية التاريخية ٠ كما عبر عن ذلك أيضا الفيلسوف الألمانى جوتيه (J. W. Von Goethe) بقوله : « ان المؤرخ يجب أن يتصف أولا وأخيرا بحب الحقيقة » (١) ٠

لكن مهما يكن الأمر فاننا فى الوقت الذى نتطلب فيه من المؤرخ الصدق الكامل فى ابداء الرأى والالتزام بالحقيقة المجردة ــ لا نستطيع أن نجرده من العوامل القومية ٠٠ أو المصالح الوطنية التى قد تؤثر عن قصد أو غير

---

(١) كاسيرر ، ارنست : مرجع سابق ص ٢٤ ، ٢٥ ٠

قصد ـ فى كتاباته وآرائه التى ينتهى اليها ٠

نضرب مثلا بكتابات وآراء بعض الكتاب عن دور بلادهم فى افريقيا وغيرها من المناطق التى كانت ميدانا لاستعمارهم ـ فمثلا سيسل جون رودس (Cecil John Rhodes) المستعمر البريطانى ـ الذى أضاف بجهوده ووسائله للامبراطورية البريطانية أجزاء هامة فى جنوب أفريقيا ووسطها ـ نجده يبرر هذا العمل ـ كما برره غيره من دعاة الاستعمار ٠ بأن الجنس الانجلو سكسونى عليه رسالة وواجب تجاه هذه الشعوب لنشر الحضارة فيها ٠ وبالغ هؤلاء فى دور دولهم الحضارى وتجاهلوا الحضارات التى كانت للشعوب الافريقية قبل مجىء الاستعمار ، وصوروا عمليات الاستغلال الهدام التى قامت بها الدول الاستعمارية لاستغلال الثروات الافريقية دون محاولة للنهوض بالأفارقة أنفسهم ـ أصحاب البلد الأصليين ـ على أنها عمليات اقتصادية حضارية بناءة ، وصوروا ما قامت به الشركات والحكومات الاستعمارية من مد خطوط السكك الحديدية مثلا من مناطق الانتاج الصناعى الى الموانى ومناطق التصدير دون مراعاة للكثافة السكانية ولمصالح السكان على انها أعمال عمرانية لا مثيل لها ، ولم يشيروا لما أصاب الأفارقة وثقافاتهم ومدنيتهم ونفسياتهم وثروات بلادهم من أضرار وتناسوا عامل الزمن وغيره فابرزوا النتائج العمرانية وما تم فى مجال الثقافة والطب والعلاج ٠٠ كأنها أعمال بطولية متناسين السنوات الطويلة التى انقضت وما كان يجب أن يتحقق فيها من تقدم حقيقى وتعمير ٠

ولذا فالباحث مطالب دائما باليقظة حين يرجع لكتابات هؤلاء الكتاب ، ويجب أن يكون ملما بحقيقة الكاتب ، الذى يرجع له ، وثقافته وميوله واتجاهاته الخ ٠٠

والاعتماد على الوثائق الأصلية ومحاولة تحليلها يجنب الباحث من الوقوع فى كثير من الأخطاء ، ولذا يجب أن تكون لدى الباحث ملكة النقد والتحليل ، أو ما يمكن أن نعبر عنه (بفن نقد وتحليل المصادر) أو كما قال الفيلسوف الفرنسى تين (Herder) « القدرة على التفسير والوصف » (١)

---

(١) كاسبرر ، أرنست : مرجع سابق ص ٥٢ ٠

ويعبر البعض عن هذا « بانه مطالب بأن يقرأ ما بين السطور » والمقصود من ذلك هو أن الباحث لا يجب أن يقرأ الوثيقة أو المادة العلمية قراءة سريعة عابرة كمن يقرأ صحيفة يومية لمجرد معرفة الأخبار العامة فلا تكاد تستوقفه سوى بعض العناوين البارزة فى الصحيفة اليومية ــ لكن كل لفظ أو عبارة يقرأها تستوقفه للتساؤل والبحث عن مدلولها ، والمقصود منها سواء ذكر صراحة أو لم يذكر والدوافع من ورائها ٠٠ هـذا على أن يضع فى الاعتبار أن للدبلوماسيين ورجال السياسة والكتابات الرسمية من العبارات ما قد لا يكون مدلولها الحقيقى واضحا فى ذهن القارىء العادى (١) ٠

ويذهب المؤرخ هردر Herder الى « أن المؤرخ هو الذى يرى فى التاريخ ليس مجرد المجرى الخارجى للاحداث ، بل يسعى بدلا من ذلك لرؤية روحه ، وهو وحده الذى يستطيع أن يكتشف الروح الـكامنة وراء احجبتها وأقنعتها » (٢) ٠

« ان المؤرخ ــ كما يقول ــ بخلاف المنطقى فمهمته لا تقتصر على المظاهر فحسب . بل انه يعلو عليها » (٣) ٠

كذلك يجب أن تكون لدى المؤرخ ملكة الربط بين الأحداث المتعددة ، وقد عبر عن ذلك الفيلسوف الألمانى فون همبولت (Von Humboldt) بقـوله « ان مهمة المؤرخ فى الواقع تحتاج الى ادراك للواقع بالاضافة الى الخيال الخلاق الذى يستطيع وحده ربط الوقائع المنعزلة والمنتشرة فى نطاق واسع بعضها ببعض فى وحدة حقيقية » (٤) ٠

ان التاريخ لا يقدم ــ كما يبدو لأول وهلة مشهدا أو مشاهد لأحداث

---

(١) مثال ذلك ما اثاره تعبير (الجلاء عن أراض عربية احتلت بالقوة) فى قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ المتعلق بوقف القتال بين الدول العربية واسرائيل فى عام ١٩٦٧ وما قيل عن أن القصد ليس (الجلاء عن الاراضى العربية كلها التى احتلت بالقوة)٠

(٢) كاسيرر ، ارنست : مرجع سابق ص ٩ ٠

ملاحظة : هردر مؤرخ ألمانى من مؤرخى القرن الثامن عشر ٠

(٣) كاسيرر أرنست : مرجع سابق ص ١٣٢ ، ١٣٣ ٠

(٤) نفس المرجع ص ٣٣ ٠

متنافرة بل انه رواية مترابطة الفصول ، ويكمن السر فى قوتها فى هـذا الترابط المتين بين فصولها ـ فكل ظاهرة لعلها انعكاس لأخرى وهكذا ٠

هذا ويجب ان يكون الباحث فى نفس الوقت مستعدا للتقبل ارادة الغير ووجهة نظرهم دون أن يضيق بها ، بل وان يكون مستعدا للاخذ بوجهـة النظر المغايرة لما كان يعتقده هو ـ اذا وجد من القرائن ما يؤيد وجهـة النظر المعارضة لرأيه وما يرجح صحتها ٠

ومنا ملكة هامة يجب أن تتوفر لدى المؤرخ وهى ترتبط (بالعـامل الزمنى) أو الحاسة الزمنيه فهو يتعرض لأحداث حدثت فى أزمنة سابقة مغايرة لزمنه من حيث الظروف الاجتماعية ، والأفكار السياسية السائدة فى المجتمع والمعتقدات والمبادىء المتعارف عليها فى هذه الأزمنة الخ ٠٠

وهو لا يجب أن يقيس الأحداث ويربطها بأفكار وعلل ومقاييس استحدثت بعد ٠ أو بمعنى أصح ان المؤرخ يجب أن يحذر تفسير الأحداث الماضية وتعليلها بالأسباب والعلل التى لم تكن موجودة فى زمنها لكنها قد تكون بارزة وواضحة اليوم ـ فهو لا يجب أن يجرى فى عقول الناس فى المـاضى ما يجرى فى عقولنا اليوم دون مراعاة لفارق الزمن ٠

مثال ذلك ما يردده العديد من الكتاب من أن من الدوافع التى دفعت محمد على للتفكير فى مد ادارته للسودان وارسال حملاته لبسط سلطانه على هذه البلاد ـ رغبته فى السيطرة على منابع النيل الاستوائية ليكون النهر من منابعه حتى مصباته تحت سيطرته ٠

وقد تكون فكرة التحكم فى هذه المنابع واقامة المشاريع عليها ممـا بحثت فيما بعد ـ لكن لا يقبل هذا الأمر فى عهد محمد على لسبب بسيط هو أن منابع النيل الاستوائية لم تكن قد كشفت بعد ولم يتم كشفها الا فى عصر الخـديو اسماعيل ٠

وان كان الرحالة وادنجتون (Weddington) مثلا قد أشار الى طموح

محمد على وأطماعه فى أن يكون سيدا على سكان وادى النيل ومن يشربون من مائه من الحبشة حتى البحر المتوسط (١) ٠

الا أن مسالة التحكم فى مشروعات الرى على النيل التى رددتها المراجع المتعددة لم تخطر أبدا على عقل محمد على أو عقول معاصريه (٢) ٠ ومثال ذلك أيضا ما تردده الكتب عن « المثل الأعلى للفضيلة والحرية الذى ينسب للرومان» فالحقيقة انه كما ذكر فستل دى كولانج (Fustel de Coulanges) فى كتابه « المدنية القديمة » الذى درس فيه العبادات والقوانين والنظم عند اليونان والرومان « ان القدماء لم يعرفوا الحرية فى حياتهم الخاصة ، كما أنهم لم يعرفوا الحرية فى التعليم ، أو الخدمة الدينية ، وكانت شخصية الفرد ذات قيمة ضئيلة اذا قورنت بالسلطة الصارمة التى تكاد تكون مقدسة والتى تمتعت بها ما نسميه (بالدولة) أو الوطن ٠٠ وكان المعتقد هو أن الواجب يقضى بأنه على كل من الأخلاق والعدالة . والحقوق أن تفسح الطريق لصالح الوطن » (٣) ٠

من هذا يتضح أن من أغرب الأخطاء الظن بأن الانسان قد تمتع بحرية فى المجتمعات القديمة ـ كما نفهمها نحن اليوم ـ فهو لم يحصل حتى على فكرتها ٠

اذا على المؤرخ أن يحاول بعقله وفكره أن يعيش العصر الذى يتصدى للكتابة عنه ، ويحاول أن يعايش الناس فى هذا العصر أفكارهم وتقاليدهم وعاداتهم ، وهذا أمر ليس باليسير فهو يتطلب دراسة عميقة للاحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها للعصر موضوع الاهتمام ٠

لكن مع ذلك فكما يذكر رانكى (L. Ranke) يجب أن يرى الأشياء من وجهة نظر أعلى من تلك التى يراها بها أولئك الذين عاشوا وسط الأحداث فالمؤرخ ـ كما يقول ـ يسعى الى تحويل التاريخ العاصف كله الى هدوء

---

(١) Weddington: Journal of a visit to Some Parts of Ethiopia p. 91

(٢) لن يريد تفاصيل هذه النقطة يرجع الى :

الجمل . شوقى : تاريخ سودان وادى النيل جـ ٢ ص ٢٣ ٠

(١) كاسيرر ، أرنست : مرجع سابق ص ٦٤ ٠

التأمل الخالص - فصفة التأمل الهادىء هى من أهم صفات المؤرخ (١) .

وقد عبر عن نفس الفكرة الفيلسوف الألمانى بوركار (J. Burchardt) فى كتابه « تأملات فى تاريخ العالم » فذكر « ان التأمل سمة من أهم سمات المؤرخ » (٢) .

كذلك رغم الموضوعية التامة اللازم توفرها فى المؤرخ - فان هذا لايعنى بحال ما محو ذاتيته ، فالشخصية التاريخية لا يمكن أن تفهم الا عن طريق الشخصية الذاتية ، ويستحيل هذا بغير تعاطف وثيق . ان الباحث الناجح هو الذى يتصف بالاتزان فلا تطغى كفة العاطفة عنده على كفـة الموضوعية والحيدة ، ولا تلغى تلك شخصية الباحث وآدميته بما فيهـا من عواطف وأحاسيس ومشاعر .

ومن ميزات الباحث فى التاريخ التواضع ، فلا يحرص أبدا على أن يفضح علنا أقل هيئات تصدر من الغير ، وهو لا يستخدم ألفاظاولهجة فظة غليظة ، فى الوقت الذى يمجد فيه القليل الذى يقوم به هو - وقد ذكر انجلو وسينوبس « أن العالم دى كانج كان يقول عن أعماله بكل تواضع - تكفى العيون والأصابع لعمل مثلها وأكثر .. واننى اذا كنت أدرس وأبحث فما ذلك لايلام الآخرين » (٣) .

والمؤرخ كغيره من المتصدين للبحث العلمى يجب أن يتصف بالقدرة على تنظيم المعلومات وتصنيفها والاستفادة منها فى موضعها المناسب . وقد يكتسب هذا بالمران والتدريب لكن يحتاج الأمر أيضا الى عقل راجح وذكاء وقدرة على ادراك التسلسل بين الأحداث ، وعلى المقارنة بينها والربط بحيث تكون سلسلة متصلة تؤدى الحادثة الى أخرى .

ويعاب على كثير من الكتابات التاريخية أنها تفتقر لهذا التسلسل الزمنى فيشوبها الاضطراب بحيث لا يستطيع القارىء أن يتتبع تسلسل وتتـابع

---

(١) كاسبرر ، أرنست : مرجع سابق ص ٦٤ .

(٢) نفس المرجع ص ٨٨ .

(٣) انجلو وسينوبس : مرجع سابق ص ١٠٤ .

الأحداث تاريخيا ، وأن يدرك مدى ارتباطها بعضها بالبعض الآخر ٠

كذلك فان المؤرخ يجب أن يتميز فى كتابته وطـريقة عرضه للافـكار بأسلوب علمى سهل ، وبعبارات واضحة ـ فيجمع بين سلامة اللغة ، وسلاسة الأسلوب ، ووضوح الفكرة ـ وسنتعرض لهذه النقطة بالتفصيل فيما بعد عند الحديث عن كتابة البحث وما يراعى فى ذلك ٠

هذه بعض الصفات التى يلزم أن يتصف بها المؤرخ ـ نذكرها على سبيل المثال لا الحصر ٠

وأشير فى ختام هذا الفصل الى الصفات التى ذكر فرنسيس بيكون (F. Bacon) أحد مؤسسى العلم الحديث أنه يجب توفرها فى الباحث فقال « عقل له من سرعة البادرة والقدرة على الشمول والاحاطة ما يكفيه للقبض على وجود الشبه بين الأشياء ، فى الوقت ذاته له من الرسوخ ما يكفيه لتعيين وجود الاختلاف الدقيقة والتمييز بينها ٠٠ عقل وهبته الطبيعة الرغبة فى البحث ، والصبر على الشك ، والتوق الى التأمل ، والتبصر قبل التأكيد، والاستعداد لاعادة النظر ، والحذر الشديد فى التصنيف والترتيب ٠٠ عقـل لا يأخذ بما هو جديد ولا يعشق ما هو قديم ، ويمقت كل أنواع النفاق » (١)

---

(١) مالك ، شارل واخرون : مرجع سابق ص ٠ ص ٦ ، ٧ نقلا عن :

Mc Clure. Mathew Thompson: Bacon Selections (London, 1928), pp. 9-10.

الجــزء الثـــانى

منهج البحث التاريخى

مباحث هذا الجـــزء :

الفصل السادس :

اختيار موضوع البحث

الفصـل السابع :

المراجع والمصادر

الفصـل الثامن :

نقد الأصول التاريخية .

الفصل التاســـع :

ترتيب المادة التاريخية المجموعة .

الفصل العاشر :

كتابة البحث التاريخى (العرض)

الفصـــل السـادس

اختيــار موضوع البحث

مباحث هذا الفصـل :

- أهمية حسن الاختيـــار ٠

- مهمة الباحث وليست مهمة المشرف ٠

- الفرق بين الباحث فى المرحلة الجامعية الأولى والباحث فى مرحلة الدراسات العليا .
(الهدف من البحث فى كل مرحلة منهما)

- المقصود بالجديد المطلوب من الباحث فى الدراســـات العليا ـ اضـافته ٠

- البيان الأولى (مشروع البحث) الذى يقدمه الباحث ومناقشته فى جلسات السمينار وقيمة ذلك (قبل تقديمه للجهات الرسمية)

يمر البحث التاريخى فى مراحل سنتتبعها مع الباحث بالتفصيل فى الفصول التالية (١) ٠

ويعتبر اختيار موضوع البحث من أهم الأمور وأصعبها ، والتوفيق فى هذه المرحلة يعتبر المفتاح الأول الذى يفتح الطريق ويمهده أمام الباحث ٠

ويجب أن يدرك الباحث أن اختيار الموضوع الذى سيقضى فترة طويلة فى محاولة تقصى حقائقه ـ مهمته هو فى المقام الأول ، وأن مهمة المشرف فى هذه المرحلة لا تتعدى الارشاد بالرأى بحكم خبرته وسعة علمه ، لكن لا يجب أن يعتمد الباحث كلية على المشرف فى هذا الأمر ٠

ويختلف الأمر فى حالة الطلاب المبتدئين فى الكليات الجامعية عنه فى حالة الباحث فى الدراسات العليا ، والذى يهدف للحصول على درجة (الماجستير) أو (الدكتوراه) فى مادة تخصصه ٠

فالهدف من البحث عند الطالب فى المرحلة الجامعية الأولى هو التدريب على الطريقة الصحيحة للبحث التاريخى ، وعلى المنهج السليم فى البحث، فهو غير مطالب بأن يضيف جديدا لمعلوماتنا المتصلة بموضوع البحث ـ لكنه مطالب بأن يقدم بحثا يراعى فيه شروط البحث التاريخى بما يطمئن على أنه ألم بهذه الشروط وأنه قادر فى المستقبل على أن يسير فى الاتجاه السليم للبحث ، كما أن هذه المرحلة فرصة لتعرف الباحث على المكتبات العلمية الموجودة على الأقل فى دائرة الكلية أو الجامعة التى يدرس فيها ، وعلى بعض دور الكتب فى بلده ، وعلى الطريقة المثلى للاستفادة من هذه المكتبات وما بها من كتب ومراجع ٠

ويرجع الطالب عادة فى هذه المرحلة بارشاد أستاذه الى عدد محدود من الكتب التى تتناول موضوع بحثه ٠

---

(١) يعرف د٠ عبد الرحمن بدوى « منهج البحث » بانه ـ طائفة من القواعد العامة الموضوعة من أجل الوصول الى الحقيقة فى العلم ـ أنظر :

بدوى ، عبد الرحمن : منهج البحث العلمى ص ٣

ومن أهداف هذه المرحلة أيضا أن يتدرب الطالب على الطريقة المثلى في كتابه موضوع ما ، من حيث التبويب أو التقسيم . ومن حيث الالمام بجوانب الموضوع المختلفة ٠

وقد يحاول الطالب أيضا في هذه المرحلة أن يعرض رأيين أو أكثر من الآراء التى أثيرت في كتاب أو كتابين معا قرأ ويحاول أن يقارن بينهما، وان أمكن أن يرجح رأيا على الآخر ٠

وان كان الوصول الى هذه المرحلة غالبا لا يكون الا بعد فترة من الدراسة الجامعية الأولى حين يكون الطالب قد قطع مرحلة طيبة في هـذه الدراسة ٠

فالطالب قد يبدأ بمجرد محاولة لتلخيص فصل من كتاب ، ويتـدرج الى محاولة أن يكتب بنفسه موضوعا عاما مستندا الى كتابين أو ثلاثة ، وهكذا حتى يصل أن تكون عنده ملكة النقد والتحليل والتمييز بين الصحيح وغير الصحيح فيما يقرأه مستندا على أسس سليمة للنقد ٠

وبالطبع يحتاج الطالب قبل أن يبدأ في بحثه لتوجيهات – عن البحث العلمي ، والهدف منه ومنهجه ٠٠ الخ ٠ وعادة يدرس الطالب هذه المواضيع في دروس (منهج البحث التاريخي) ، وان كانت بعض الكليات لا تخصص ساعات محددة لهذه الدراسة في هذه المرحلة وتكتفي بتوجيهات وارشادات الأساتذة ، ثم يكلف الطلبة بأبحاث بسيطة قد تناقش وتتخذ أساسا لتوضيح نقاط الضعف ، ومواضع القوة في البحث العلمي ٠

ويمكن أن نجمل الأهداف التي نتوخاها من البحث التاريخي في المرحلة الجامعية الأولى فيما يلي :

١ – تدريب الدارسين على كيفية الالمام بالعناصر الرئيسية لموضوع تاريخي ٠

٢ – تدريبهم على كيفية التركيز على الهام من المعلومات بحيث يستطيع الدارس أن يعطي تصورا كاملا لموضوع ما في صفحات قليلة ٠

٣ ـ استخدام المكتبة ومعرفة ـ كيفية التعامل معها ، ومع القائمين بأمرها ، فيعرف الطالب أنواع الفهارس بالمكتبة ، وطريقة تقسيمها ، ونظام الاستعارة الداخلية والخارجية بها ، كما يقضى أوقاتا للقراءة فيها ، وهو يكتسب فى كل ذلك خبرة ومعرفة ٠

٤ ـ تكوين عادة القراءة الجادة عند الدارسين بحيث لا يكتفى الطالب بما يأخذ من محاضرات ، بل يتعدد على أن يحاول الحصول على المزيد من المعلومات من الكتب والمراجع الأخرى ، ويجد فى ذلك اشباعا لرغبة عنده للقراءة والاطلاع والحصول على المعرفة بنفسه ٠

٥ ـ معرفة المنهج السليم للبحث التاريخى ، وطريقة تقسيم البحث ، والكتابة السليمة والعرض ٠

٦ ـ الطريقة الصحيحة لكتابة (هوامش) البحث والاستعمالات المختلفة للهوامش ٠

٧ ـ ملاحق البحث من خرائط ووثائق وموضعها من البحث وقيمتها ٠

٨ ـ طريقة تنظيم مكتبة البحث (المراجع والمصادر) فى نهاية البحث ٠

وهكذا يرجى أن يكتسب الطالب كل هذه الخبرة فى مرحلته الجامعية الأولى ٠

والحقيقة التى يجب ان نشير اليها هنا هى ان إحجام الغالبية العظمى من الدارسين بجامعاتنا عن متابعة القراءة والدرس بعد الانتهاء من المرحلة الجامعية الأولى ـ يرجع أولا وقبل كل شىء الى عدم التدريب على القراءة، وعدم ممارسة هذه العادة اثناء الدراسة الجامعية والاكتفاء بجهد الأستاذ ممثلا فى المحاضرات التى تملى أو تطبع ٠

وهذا هو السبب فيما نشكو منه من أن الدراسة الجامعية أصبحت لا تختلف كثيرا عن المرحلة السابقة لها من مراحل التعليم العام ؛ فالأمر

لا يخرج عن كون الطالب قد حصل على قدر أكبر من المعلومات فى نطاق تخصصه ، بينما الهدف الأساسى من التعليم الجامعى وهو تكوين طالب قادر على الحصول بنفسه على المزيد من المعلومات والمعارف عن أى موضوع - يجذب نظره - لم يتحقق بعد ٠

ومهما قيل عن أسباب هذا القصور من كثرة عدد الطلاب أو غير ذلك - فان الهدف يجب الا يغيب عن أنظارنا ، ويمكن تحقيقه بوسائل متعددة بتوجيه الطلاب بمختلف الطرق والوسائل للبحث والتنقيب وراء المعرفة ، والاهتمام بالمكتبات الجامعية ، وارشاد طلابنا لطريقة الاستفادة منها ٠

واذا كان الطالب فى هذه المرحلة الجامعية الأولى ليس مطالبا - كما ذكرنا - بالقاء أضواء جديدة على موضوع ما ، وأن هذه المرحلة تعتبر مرحلة تدريب وتعويد على البحث والقراءة والكتابة السليمة فحسب - فان المرحلة الجامعية التالية ٠ والتى يطلق عليها فى بعض الجامعات مرحلة (الدراسات العليا) تتطلب تعمقا أكثر واضافة جديدة فى موضوع البحث٠

ولذا فاختيار موضوع البحث فى هذه المرحلة ، والمراحل التى يمر بها يختلف تماما عن المرحلة السابقة ٠

وفى أغلب جامعاتنا يمر الطالب - قبل أن يسمح له باختيار موضوع بحثه والتفرغ له ٠٠ بمرحلة مدتها فى العادة عام دراسى كامل يطلق عليها (السنة التمهيدية) ٠ فيها يدرس بعض الموضوعات فى مجال تخصصه بالاضافة الى أنه يكلف باعداد بحوث خاصة فى هذا المجال ٠

وقد تختلف الدراسة والنشاط المصاحب لها فى هذه السنة حسب التخصص الدقيق للطالب ٠ فالطالب الذى اتجه للتخصص فى التاريخ الفرعونى القديم يدرس موضوعات تختلف عن الطالب الذى يتجه لدراسة التاريخ اليونانى أو الرومانى وبالمثل الذى يتجه لدراسة التاريخ الوسيط أو الاسلامى أو من يريد التخصص فى التاريخ الحديث ٠

وبالطبع هناك شروط تشترط الكليات الجامعية توفرها فى الطالب -

بالاضافة الى رغبته الشخصية - لتحديد التخصص الذى يسمح له بالبحث فيه ، كالاسترشاد مثلا بتقديراته فى فرع التخصص الراغب فيه طـــوال سنى دراسته الجامعية الأولى •

وان كان الأمر يختلف فى الجامعات الأوربية حيث أن رأى الأستاذ المشرف هو الحكم - غالبا - فى ذلك فهو القادر على الحكم على مــدى قدرة الطالب على متابعة الدراسة والبحث فى المجال الذى اختاره •

ولعل جامعاتنا؛ لجأت الى هذا الاجراء بتخصيص عام للدراســـة التمهيدية لمرحلة الماجستير فالدكتوراه بعد أن ثبت أن ما يكتسبه الطالب خلال فترة الدراسة الجامعية الأولى من تدريب على البحث غير كاف ، كما انه يمكن فى هــذا العام التمهيدى التعمق فى دراسات تخصصية يحتاجها الباحث فى المجال الذى اختاره لتخصصه كدراسته لغة جديدة أو التعمـق فى لغة بذاتها كاللاتينية واليونانية للباحثين فى تاريخ اليونان القـديم أو تاريخ الرومان ، واللغة المصرية القديمة لمن سيتخصص فى التاريخ الفرعونى واللغة التركية العثمانية للباحثين فى تاريخ مصر الحديث •

هذا بالاضافة الى أن بعض الكليات تعتبر هذا العام التمهيدى فرصة للحكم على مدى قدرة الطالب على الاستمرار فى البحث والدراسة للمرحلة القادمة • وذلك بعد أن زاد عدد المتقدمين للدراسات العليا عن امكانيـات الأساتذة على الاشراف والتوجيه السليم - فهى مرحلة من مراحل التصفية، ووسيلة من وسائل الاختيار أو التوجيه الصحيح •

وقد يوجه الطالب فى هذه المرحلة فى أبحاثه الى اختيـار موضـوع معين يتعمق فى القراءة فيه ويقدم بحثا أو أبحاثا كتمهيد لأن يسجل الطـالب هذا الموضوع ويستمر فيه كموضوع مختار لبحثه المقبل •

وعادة تعقد فى أثناء هذه السنة التمهيدية حلقات للبحث (سيمينار) (١)

---

(١) لفظ سيمينار (Seminar) يعنى حلقة دراسية ، أو مجموعة من طلاب الجامعة منصرفة الى موضوع من موضوعات الدراسات العليا والبحث العلمي باشراف أحد الاساتذة •

يحضرها الأساتذة وطلاب الدراسات العليا ـ وهذه الحلقات عظيمة الفائدة لطلبة الدراسات العليا ، مما يقدمه الدارسون من أبحاث وأوجه نشاط أخرى وما يدور فيها من مناقشات وتبادل أراء ونقد بناء يفيد الباحثين الجادين فائدة كبيرة ، ويسهم فى تقدمهم وتثبيت اقدامهم فى مجال البحث وما يتطلبه من شروط ، ويكتسبون ـ فى هذه الحلقات الكثير من خبرات العديد من الأساتذة المحنكين الذين يشتركون فى هذه الحلقات الدراسية ٠

وبالطبع يتوقف مدى الاستفادة من هذه الحلقات على الدقة فى الاعداد لها ، والحرص على أن تؤخذ مأخذ الجد ، وعلى أن تحقق الأهداف المرجوة منهـا ٠

ويخضع اختيار موضوع البحث فى مرحلة الماجستير أو الدكتوراه لعوامل كثيرة :

والباحث لا يمكنه أن يستقر على موضوع للبحث الا بعد قراءات متعددة فى دائرة التخصص التى اختارها ٠ ويجب أن يضع فى اعتباره أن البحث ليس موضوعا صحفيا ولا أدبيا يحاول الكتابة فيه ـ لكنه مطالب بأن يتعمق ويحيط بكل جوانب الموضوع ، ويأتى هو بعد ذلك باضافات علمية جديدة تتعلق بهذا الموضـوع ٠

وبالطبع لا يعنى هذا أن المطلوب أن يصطنع الباحث أحداثا جديدة متعلقة بموضوع البحث ٠ فالاضافة المطلوبة لابد أن تكون شيئا سليما صحيحا من الناحية العلمية والمنهجية ، وقد تكون أضواء كاشفة جديدة نتيجة استخدام وثائق لم تكن معروفة ، أو كانت معروفة لكنها لم تستخدم الاستخدام السليم فى معالجة الموضوع ٠

أو تكون الاضافة فى مناقشة الآراء المتباينة التى قيلت حول الحوادث موضوع البحث والوصول لرأى مرجح قائم على أساس سليم ، أو تكون عن طريق تصنيف جديد للحقائق له ما يبرره ويعطى صورة مغايرة للاحداث ٠ وقد تكون الاضافة ربطا للاحداث وتعليلا لظواهر لم يتعرض الباحثون لهـا بالتعليل والمناقشة من قبل ٠

ان أمر اختيار موضوع البحث ـ لا يجب ان يترك تحت رحمة الصدف « فمن الموضوعات ـ كما يقول انجلو وسينوبس ـ ما لا يمكن فى الحالة الراهنة التى عليها أدوات البحث · أن تعالج الا بفضل جهود يستنفذ فيها العقل والعمر بلا فائدة، وليست هذه الموضوعات أفيد بالضرورة من غيرها، ولعل يوما يمكن أن يكون غدا ، يأتى فتصبح فيه ميسرة سهلة ··· فلا بد أن نختار عن قصد وروية بعضا من موضوعات الدراسات التاريخية بدلا من بعضها الآخر ، وفقا لكون بعض كشافات الوثائق ، وبعض كشافات المراجع توجد أو لا توجد ، ووفقا لكون الدارس لديه أو ليس لديه الوسائل للتردد بسهولة على بعض الخزائن » (١) ·

والباحث على كل حال يجب قبل أن يستقر على رأى نهائى بخصوص موضوع بحثه أن يسأل نفسه الأسئلة التالية ويجيب عليها بصدق وأمانة :

١ ـ لماذا اختار بالذات هذا الموضوع للبحث ؟

٢ ـ هل لم يسبق بحثه ؟

٣ ـ هل الآراء المتعددة والكتابات التى كتبت عنه غير كافية أو غير صحيحة ؟

٤ ـ هل لديه من المصادر الأصلية كالوثائق أو الكتابات الرسمية الأخرى ما يكشف عن حقائق جديدة أو يصحح آراء متداولة ؟

٥ ـ هل لديه هو كافة الامكانيات للاطلاع على ما يتصل بموضوع بحثه من مصادر أصلية ؟

كأن يكون ملما مثلا بلغة هذه المصادر ، وأن يكون متيسرا له الحصول عليها من أماكنها الأصلية · فاذا شعر فى ضوء اجاباته على هذه التساؤلات كلها بالاطمئنان الى أنه يستطيع أن يضيف فعلا جديدا للمعلومات المعروفة عن موضوع البحث ـ يمكنه أن يستمر فى بحثه ـ والا كان عليه أن يغير أو يعدل من موضوع البحث ·

---

(١) أنجلو وسينوبوس : مرجع سابق ص ٢٤ ، ٢٥ ·

ان اختيار موضوع للدراسة دون تقدير لطبيعة الأبحاث التى يقتضيها، ودون تقدير لمداها ـ كما يحدث غالبا ـ لهو أمر ينطوى على خطر ، وكم من باحثين غرقوا طوال سـ ـوات فى أمثال هذه البحوث ، وكانوا أقدر على الافادة لو أنهم اشتغلوا بأعمال من نوع آخر ٠

ومن المبادىء الأساسية التى يجب أن تراعى عند اختيار موضـــوع البحث أن يكون الموضوع محددا **بفترة زمنية معقولة** ـ وكلما كانت الفترة محدودة أمكن للباحث أن يتعمق فى بحثه وأن يلم بكافة المعلومات والكتابات والمصادر المتعلقة بها ، وبالعكس اذا كانت الفترة طويلة أصبح من العسير على الباحث أن يلم بكل ما كتب عن الموضوع فلا يتعدى الأمر جمع معلومات عامة عادية معروفة ٠

هذا على أن تحديد تاريخ البداية ، والنهاية أى (**الفترة الزمنية للبحث**) لا تتم اعتباطا ، فعلى الباحث أن يكون مستعدا للاجابة عن سبب التزامه بالفترة الزمنية التى حددها لبحثه ٠

فموضوع البحث مفروض فيه أن يمثل موضوعا متكاملا ٠ حقيقة قــد يفتح البحث آفاقا لبحث آخر ، وكثيرون كانوا موفقين فى اختيار موضـــوع بحثهم لدرجة الماجستير ، ثم تابعوا البحث لفترة زمنية أخرى للدكتوراة ٠

لكن لا يعنى هذا أن الفترة الزمنية الأولى لم تكن متكاملة ، وأن النهاية لم تكن طبيعية ٠

وبالطبع يحسن بالباحث منذ البداية أن يلم بموضوع البحث وأن يقرأ كل ما كتب عن هذا الموضوع ٠ ولا يتسرع في اختيار موضوعه وتحديد الفترة الزمنية حتى لا يضطر أثناء البحث أن يغير الموضوع أو الفترة بالحذف أو لاضافة ، وان كان هذا جائزا طالما وجد بالاتفاق مع الأستاذ المشرف ان الفائدة العلمية تقتضى ذلك ٠

واذا كان الطالب ـ فى مقدمة بحثه يوضح الأسباب التى دعتـــه لاختيار موضوع البحث ، والتي دعته لتحديد الفترة الزمنية للبحث ـ فانه عادة يناقش ذلك مع أستاذه المشرف على بحثه فاذا اقتنعا بأن الموضوع

جدير بالبحث يستمر الباحث - مطمئنا - فى جمع المادة التاريخية للموضوع الذى وقع عليه الاختيار من المراجع العامة والخاصة ومن المصادر الأصلية ٠

ويطلب من الطالب أن يتقدم لمجلس القسم ببيان يوضح فيه :

١ - موضوع البحث ٠

٢ - الأسباب التى دفعت لاختيار الموضوع المذكور والمبررات العلمية لذلك ٠ وهى كما شرحنا سابقا قد تتعلق بأهمية الموضوع ذاته ، ورغم ذلك قلة ما كتب فيه ، أو عدم تحرى الكتاب الدقة فيما كتبوا ، أو عثور الباحث على وثائق أو مصادر أخرى أصلية لم تستخدم من قبل لاجلاء الحقيقة عن موضوعات تتعلق بالبحث ٠٠٠ الخ ٠

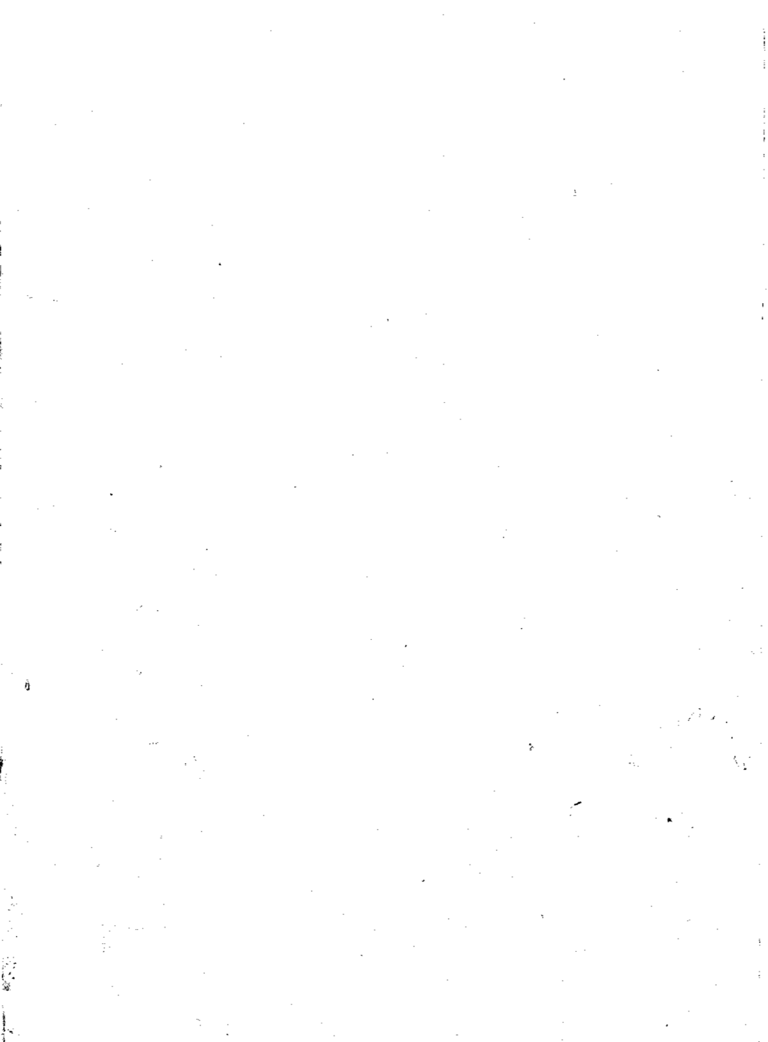
٣ - مشروعا تمهيديا للبحث (التبويب) يحدد الفصول الأساسية ، وما سيتناوله كل بالبحث ٠

وهذا التبويب بالطبع قابل للتعديل والتغيير حسبما يتضح للباحث أثناء بحثه ، لكنه يحدد المعالم الرئيسية لخطة البحث ٠

٤ - بعض المصادر والمراجع التى سيعتمد عليها الباحث فى بحثه ٠

ولا شك ايضا فى أن الباحث لا يمكنه فى هذه المرحلة أن يلم بكل المصادر او المراجع التى يحتاج اليها - فهذا يستلزم وقتا طويلا ولن يتم الا أثناء مرحلة البحث الطويلة ، وأثناء جمع المادة حين يصطدم الباحث بالنقاط الغامضة التى تحتاج لتأكيد أو نفى فى بحثه - فيرجع للمصادر أو المراجع ليجلو الغموض الذى يحيط بنقطة ما ، كما أن المرجع عادة يؤدى بالباحث للعديد من المراجع الأخرى ، وفى طريق البحث الطويل وفى دروبه المتعددة يضع الباحث يده على العديد من المصادر والمراجع التى لم تكن تحت يده أو فى ذهنه فى المراحل الأولى من البحث ٠

والقيمة الحقيقية لكل هذه البيانات الأولية هى أن تطمئن الجهات



الفصــــل السابع

المصــادر والمراجــع

مباحث هذا الفصل :

- **الأماكن التى** يحصل منها الباحث على مصادره ومراجعه ٠
- المكتبات العامة ودور الكتب وأهمية معرفة نظامها العام وطريقة تصنيف الكتب والمصادر بها ٠
- كتب المراجع (الببليوجرافى) وأهميتها ٠
- قوائم المؤلفين ، وقوائم الموضوع ٠
- الدوريات وأهميتها ٠
- دور المحفوظات والوثائق وأرشيف وزارات الخارجية الوطنية والأجنبية٠
- أمثلة لدور الوثائق : وثائق القلعة وبعض مجموعاتها ـ دار الوثائق بالخرطوم ـ وثائق مكتبة جامعة الخرطوم ـ وثائق مدرسة الدراسات الشرقية فى درهام (بانجلترا) ـ دار الوثائق العــــامة بلنـــدن (Public Record Office-London)ـ المكتبة الوطنية ببــاريس (Bibliothèque Nationale de Paris)
- الشخصيات العلمية التى لها اهتمام بجوانب تتعلق بموضوع البحث ٠
- أشخاص لهم اتصال بالأحداث ذاتها ٠

بعد أن يستقر الباحث على موضوع بحثه يشغل نفسه فترة غير قصيرة بجمع المراجع والمصادر الأصلية التى تخدم موضوع البحث ٠

وهذه مرحلة من أهم مراحل البحث لأن عليها يتوقف نجاح البـــاحث فى المراحل التالية :

والباحث فى هذه المرحلة عليه أن يلجأ الى :

١ ـ المكتبات ودور الكتب :
سواء مكتبات الكليات أو الجامعات أو المكتبات العـــامة ، أو مكتبات الهيئات الوطنية والدولية أو غيرها ٠
٢ ـ دور المحفوظات الوطنية ٠
٣ ـ دور المحفوظات فى البلاد الأخرى التي ارتبطت فى تاريخهـــا بالدولة موضوع البحث ٠
٤ ـ أرشيف وزارات الخارجية ٠
٥ ـ الوثائق الموجودة فى أماكن أخرى كالأديرة والكنائس أو طرفا الأفراد ٠
٦ ـ الشخصيات العلمية التى يعتقد أن لها اهتماما خاصا بموضوع البحث ولها دراسات فيه ٠
٧ ـ الأشخاص الذين قد تكون لهم أو لأسرهم صلة بالأحداث موضوع البحث ٠

وسنحاول أن نوضح كيف يستفيد الباحث من كل منها ٠

١ ـ المكتبات ودور الكتب

لا بد للباحث من أن يكون ملما بكل المكتبات الجامعية وغير الجامعية التى فى وطنه أولا ثم المكتبات الهامة الخارجية ٠

ففى القاهرة مثلا هناك مكتبات الكليات والجامعات المصرية المختلفة (جامعة القاهرة ـ جامعة عين شمس ـ الجامعة الأزهرية ٠٠٠) وهنـــاك مكتبة الجامعة الأمريكية ، ومكتبات مجلس الوزراء ، والبرلمان ، وبعض مكتبات السفارات الأجنبية أو الهيئات ، وكان لبعضها فى وقت من الأوقات

أهمية خاصة لاحتوائها على العديد من الكتب النادرة · وهناك مكتبة تابعة لهيئة الأمم المتحدة (بجاردن سيتى) تحتوى على العديد من الكتب الخاصة بنشاط الهيئة الدولية ، كالكتاب السنوى الذى تصدره الأمم المتحدة عن القضايا التى نوقشت طوال العام ، وما يصدر من احصاءات وبيانات رسمية خاصة بالشئون الاقتصادية وغيرها · وما يصدر من اليونسكو ، والهيئات المتخصصة التابعة للأمم المتحدة وغير ذلك ·

ولبعض الهيئات مكتبات خاصة تحتوى العديد من الكتب والمطبوعات الفريدة · نذكر على سبيل المثال (مكتبة جريدة الأهرام ، والجرائد الأخرى، والأرشيف المرتبط بها) — فهى تحتوى العديد من الكتب والمراجع التى قد لا توجد فى مكتبة أخرى بالاضافة الى الصحف العالمية ، أو تطبيقاتهـــا وكتاباتها عن موضوع معين · كما أن لديها قسما خاصا بالميكروفيلم ·

وفى مقدمة المكتبات العامة — دار الكتب القومية وهى فى القـــاهرة تابعة للهيئة العامة للكتاب (مقرها الحالى كورنيش النيل) (١) ·

يضاف الى هذا مكتبات الجمعيات العلمية كالجمعية التـــاريخية ، والجمعية الجغرافية (بالتحرير) ومكتبتها تحتوى العديد من الكتب الفريدة التى قد لا نجدها فى أى مكتبة أخرى ، وهناك جمعيات وهيئـــات أخرى كالجمعية الأفريقية ، وجمعية الاقتصاد السياسى ، بالاضافة الى مكتبات بعض الهيئات كنقابة المحامين ·

ولا نستطيع أن نسجل هنا على سبيل الحصر كل المكتبات الهامة التى

---

(١) من المكتبات الشهيرة — على سبيل المثال — : مكتبة بودلين باكسفورد ، المكتبة الاهلية بباريس ، ومكتبة المتحف البريطانى ، ومكتبة جامعة توبيجن بالمانيا ومكتبة الملة فى استانبول · ومكتبة الاسكوريال للمخطوطات العربية بأسبانيا ·

ملاحظة : الاسكوريال · هو الفناء الذى أقامه فيليب الثانى ملك أسبانيا فى النصف الاخير من القرن السادس عشر على قمة ترتفع عن البحر الف متر وتبعد عن مدريد بواحد وخمسين كيلو مترا ·

وتشتمل مكتبة الاسكوريال اليوم على العديد من المخطوطات العربية خاصـــة ما يتعلق بتاريخ المغرب العربى ، وعرب الاندلس ·

أنظر هونكه ، زيغريد : مرجع سابق ص ٣٤٥ ·

يجب أن يكون الباحث ملما بها والتى يجب الا يهمل أو يقصر فى ارتيادها بحثا عما يخص موضوع بحثه ٠

وليس المهم معرفة أماكن هذه المكتبات الهامة وارتيادها ـ لكن المهم أن يعرف الباحث كيف يستفيد من محتوياتها من مراجع ومصادر وغيرها ٠

وعلى الباحث أن يتعرف أولا وقبل كل شىء ـ على نظام المكتبة من حيث مواعيدها ، ونظام الاستعارة ، أو الاطلاع الداخلى بها ، والنظام المتبع فى فهرسة الكتب بها ، وهل هناك فهارس مطبوعة بأسماء الكتب حسب أسماء المؤلفين أو حسب الموضوعات ، وهل هناك بطـــاقات ٠٠ وبعض المكتبات كمكتبة الجامعة الأمريكية بالقاهرة بها ميكروفيلم للرسائل الجامعية التى نوقشت فى الجامعات الأمريكية ـ ولا تكاد مكتبة من المكتبات الهامة الكبيرة تخلو حاليا من هذا القسم (قسم الميكروفيلم) ٠ وتعتبر أقسام الميكروفيلم بما تحتويه من ذخيرة علمية من أهم الأقسام التى يجب أن يحرص الباحثون على الاستفادة منها ـ ولها بالطبع فهارسها الخاصة بها ونظامها الخاص فى استخدام محتوياتها وأغلبها مزود بما تحتاجه من أجهزة لعرض وقراءة الأفلام ٠

ويجب أن يعقد الباحث صداقات مع القائمين بالعمل فى هذه المكتبات ، ويكتسب ثقتهم ٠ فعلى ذلك يتوقف جزء كبير من المساعدات التى تقدم له ٠ وفى بعض المكتبات يوجد متخصصون فى مختلف العلوم ، ويستطيع الباحث بعلاقاته الانسانية أن يســـتفيد من خبرة هؤلاء ودرايتهم بمختلف المراجع والمصادر المتعلقة بموضوع بحثه فى المكتبة ٠

وعادة يبدأ الباحث بكتب المراجع (الببليوغرافى) Bibliothèque التى ترشده الى المراجع والمصادر المتعلقة ببحثه ٠

وهى تمد الباحث ببيانات عن المراجع والمصادر وعدد صفحاتها وأماكن طبعها ، وسنوات الطبع ، بل أن البعض يعطى بيـــانات توضيحية عن محتويات المراجع والمصادر المذكورة ٠

وقد عنيت بعض الجمعيات العلمية باصدار هذه المجموعات ، بعضها عام ، وبعضها يتصل ببلد معين أو بشخصية معينة أو بعصر معين ٠

وتمد هذه المجموعات الباحث بالعديد من المراجع التى قد تقوده بدورها لعدد آخر من المراجع والمصادر ·

ومع ذلك لا تغنى هذه المجموعات عن جهد الباحث نفسه الذى يجب أن يبذله فى البحث فى قوائم المؤلفين أو قوائم الموضوع فى المكتبات ·

كذلك لا بد أن يلم الباحث ببيان **بالدوريات** (Periodicals) التاريخية الهامة التى تصدرها الجمعيات والهيئات العلمية والجامعات فى الداخل والخارج · فالمقالات بهذه الدوريات لها من القيمة العلمية ما للمراجع بل تفوقها أهمية لأنها تصدر بصفة دورية منتظمة وفى فترات متقاربة ، ولذا فهى تحرص على نشر الأبحاث والآراء الجديدة التى لا تتضمنها الكتب بحركتها البطيئة ·

ويجب أن يسجل الباحث منذ البداية وبكل دقة بيانات وافية عن المراجع والمصادر والكتب التى تقع تحت يديه مثل : المكتبة الموجودة بها هذه المراجع، وأرقامها ورموزها بدقة ، واسم المؤلف ، وسنة الطبع ومكانه ، ومحتوياتها أو الموضوعات التى بحثتها ، وأية بياناه أخرى يرى أنها ستكون ضرورية له ، كبيانات مثلا عن الخرائط أو الرسومات المتضمنة فيها أو المؤلف وقيمته العلمية واتجاهاته ·

وأفضل طريقة لتدوين هذه البيانات هى استخدام البطاقات (الجذاذات ـ الفيش Fiches) التى يسهل تنظيمها وتبويبها ، والاستفادة منها فيما بعد عندما يأخذ الباحث فى جمع مادته وترتيبها وكتابة بحثه ·

ويمكن للباحث أن يعد البطاقات بالحجم والشكل الذى يرتاح هو له ، كما أنها تتوفر فى بعض المكتبات ·.

وبعض الباحثين لا يلتزم بطريقة البطاقات مع أنها أدق وأيسر طرق البحث العلمى ـ ولعل ذلك يرجع لعدم التعود أو التدريب عليها ·

وبالطبع يتزايد عدد هذه البطاقات بالتدريج كلما تقدم الباحث فى بحثه ، ويتيح نظام البطاقات للباحث حرية التغيير والتعديل وإعادة التنظيم ·

٢ - دور المحفوظات (الوثائق) وارشيف وزارات الخارجية :

لا يمكن أن يقوم التاريخ الا على أساس من الوثائق ٠ والوثائق قد تكون آثاراً أو مخلفات خطية أو نقوش ٠٠ الخ ٠

والمعرفة فى التاريخ تبدأ عادة من الوثيقة «فالتاريخ يصنع من وثائق» - ولهذا فالعثور على الوثائق الخاصة بالوضع الذى ندرسه عملية هامة جدا - بل ان الغالب الا يقدم الباحث على معالجة موضوع معين الا بعد أن يعرف انه توجد وثائق تسمح بدراسته ٠

والبحث عن الوثائق فى مظانها هى الخطوة الأولى فى المنهج التاريخى ويطلق عليه الألمان اسم الهورسطيقا (Heuristik) (١) ٠

وتحرص أغلب الدول على أن تكون لها دور خاصة لحفظ وثائقها القومية التى تتعلق بتاريخها ٠

وتختلف هذه الدور من حيث الاهتمام بوضع الفهارس والكشافات لوثائقها (ابجدية حسب أسماء الأشخاص أو للموضوعات ٠٠ الخ) ٠ وبعضها يكتفى فى هذه الفهارس بوضع أرقام للمجلدات وبيان تاريخ الوثائق المحفوظة بها ، بينما يعطى البعض وصفا ملخصا لمضمون الوثائق - وهكذا تختلف البيانات المتاحة (٢) ٠

وفى كثير من دور المحفوظات العديد من الوثائق غير المفهرسة أو المنظمة ولم يوضع لها ثبت فيصعب الاستفادة بها بوضعها هذا - على أن الدول والجمعيات العلمية - شعورا منها بأهمية هذه الوثائق - أخذت تهتم بتخصيص الفنيين الذين يقومون بتنظيم الوثائق وعمل فهارس لها ٠

---

(١) انجلو وسينوبوس : مرجع سابق ص ٥ ٠

(٢) كثير من المحفوظات والمكتبات والمتاحف والوثائق التى كانت فى حوزة الاديرة ، والنقابات أو التى كان يمتلكها الافراد أو الحكام - وضعت فى يد الدول فى دور المحفوظات العامة - حدث هذا فى فرنسا بعد الثورة الفرنسية (فى المكتبة الاهلية بباريس) وفى المانيا . وأسبانيا . وايطاليا وغيرها من الدول ٠

هذا بالاضافة الى أن العديد من الوثائق أصابها التلف بسبب الاهمال، وتبذل الجهود لترميمها ·

وقد تقدمت طرق الترميم حتى يتم هذا العمل دون أن يصيب الوثيقة أى تلف · وبدور الوثائق عادة أجهزة خاصة لتصوير ما يطلب منها تصويره من الوثائق ·

وعلى الباحث أن يتعرف على ما فى دور الوثائق - سواء الوطنية أو الأجنبية - من وثائق تخص موضوع بحثه ، ومهما تكلف من جهد أو مال فى السفر والارتحال للاطلاع على ما يخصه منها ، فان ذلك كله يهون ازاء الفائدة التى تأتى من عثوره على الوثائق الأصلية وحسن استخدامها ·

فالبحث الذى لا يقوم على المصادر الأصلية بحث ضعيف لا يرقى للمستوى المطلوب ، والعثور على الوثائق الأصلية المتعلقة بموضوع البحث كالعثور على كنز ، لأن ذلك يفتح الباب أمام اثبات أو نفى بعض الأمور المتصلة بالبحث · والبحث يقيم عادة بمدى استفادة على الأصول التاريخية· فقيمة البحث تتوقف على (الاصالة) أى المعلومات الجديدة الأصلية التى نضيفها الى معرفتنا ·

وكما يقول المؤرخ الألمانى رانكى (Ranke L. Von) « ان فحص تقارير السفراء ، والأوراق الدبلوماسية ومضاهاتها بعضها ببعض ، ثم غربلتها واستخدامها بعد ذلك كوسيلة لفهم القضايا التاريخية - هى العمل الأساسى للمؤرخ الحقيقى » (١) ·

والمؤرخ الذى يهمل وثائق كان من شأنها أن توضح تلك التى فى متناول يده واقتصر عليها - تكملها أو تنقضها - يكون بلا شك فى موقف أضعف من الذى وصل الى كل الأصول المتاحة المرتبطة بموضوعه ·

وسنتعرض فيما بعد لكيفية الاستفادة من هذه الوثائق أو الأصول والمراحل التى تمر بها ·

---

(١) كاسيرر ، أرنست : مرجع سابق ص ٣٠ ·

وقد أشرنا من قبل أكثر من مرة الى أن بعض الوثائق منشورة فى كتب خاصة أو كملاحق لبحوث منشورة وبعضها غير منشور · وواجب الباحث مهما يكن الأمر أن تكون تحت يديه كافة الوثائق المتعلقة ببحثه مهما كلفه ذلك من جهد ·· ومن لا يستطيع بذل هذا الجهـــد يجب أن يتنحى عن الاستمرار فى بحث الموضوع الذى يتعذر عليه الحصول على الأصـــول الأساسية المرتبطة به ·

ولا يمكننا هنا حصر دور الوثائق أو المحفوظات لكن لا تكاد دولة اليوم تخلو من دار للوثائق القومية ، والباحث الذكى يستطيع بفطنته وارشاد أستاذه أن يحدد دور الوثائق التى تشتمل على مجموعات تتعلق بموضوع بحثه · ولا غضاضة فى أن يبدأ بالكتابة لهذه الدور مستوضحا الأمر ، وان كان هذا لا يغنى بحال ما عن السفر بنفسه للبحث والتنقيب والاطـلاع ومعرفة ما يخدم موضوعه من الوثائق وتصويره أو نقله ليكون تحت تصرفه عندما يأخذ فى تنظيم مادته وكتابة بحثه ·

هذا ونشير الى أن بعض الوثائق قد توجد فى الأديرة (مثل دير سانت كاترين) ، والكنائس الأثرية ، وقد تكون طرف افراد ارتبطت أسرهم بالأحداث موضوع الدراسة أو حصلوا عليها عن طريق أو آخر ·

وقد لجأت وزارة الثقافة فى المملكة المغربية الى طريقة حميدة للحصول على صور من الوثائق العديدة التى طرف الأسر والأفراد ـ فهى تعلن كل عام عن جوائز ترصد لمن يتقـــدم بما فى حوزته من وثائق للوزارة تثبت أهميتها بعد أن تفحصها لجنة خاصة من المختصين فتصور وتعاد الوثيقة الأصلية لصاحبها ·

وبهذه الطريقة يوضع تحت أنظار الباحثين كل عام عشرات الوثائق الجديدة بعضها على جلد حيوانات أو رقائق أو أوراق ·· الخ · وهذه خدمة جليلة بلا شك للبحث التاريخى · فالتاريخ قائم على الأصول ، واذا ضاعت الأصول ضاع التاريخ (١) ·

ولنضرب مثلا بالوثائق المحفوظة بدار المحفوظات المصرية بالقلعة ،

---

(١) رستم ، أسد : مرجع سابق ص ٢ ·

وقد كانت هذه الوثائق موجودة بقسم الوثائق بقصر عابدين ، وأتيحت لمؤلف هذا الكتاب فرصة قضاء سنوات متعددة للبحث فيها وأسهم بمجهود متواضع فى تنظيم وترتيب بعض ما يخص تاريخ السودان الحديث منها • وكانت تشتمل على أقسام ، منها قسم خاص بالوثائق التركية وبه مترجمون لترجمة ما يطلب منهم ترجمته الى العربية ، وقسم خاص بالوثائق الأجنبية التى كان لها صلة بمصر وأحداثها فى العهد التركى العثمانى ، ويطلق على هذا اسم القسم (Foreign Office) ويرمز له بالرمز F.O.

ونشير هنا على سبيل المثال الى بعض مجموعات الوثائق الموجودة بمحفوظات القلعة ـ فهى تعطى صورة واضحة لما فى دور الوثائق المختلفة من كنوز علمية تخدم البحث التاريخى :

١ ـ مجموعة الفرمانات الشاهانية : تحتوى على الفرمانات التركية الصادرة لولاة مصر •

٢ ـ دفاتر وسجلات المعية (تركى) : تحتوى على المكاتبات التركية بين المعية والأقاليم والدواوين •

٣ ـ دفاتر وسجلات المعية (عربى) : تحتوى على المكاتبات العربية بين المعية والأقاليم والدواوين •

٤ ـ محافظ المعية (تركى) : تحتوى على المكاتبات التركية بين الدواوين والأقاليم وبين المعية •

٥ ـ محافظ المعية (عربى) : تحتوى على بعض المكاتبات العربية بين الدواوين والأقاليم وبين المعية •

٦ ـ دفاتر وسجلات عابدين (تركى) : تحتوى على المكاتبات والمراسلات التركية الهامة بين الولاة وكبار الموظفين بالخارج كالقبوكتخدا مثلا ، والولاة وبين الأقاليم ، وهى مرتبة بأرقام مسلسلة وأخرى فرعية •

٧ ـ دفاتر وسجلات عابدين (عربى) : تحتوى على المكاتبات والمراسلات العربية الهامة بين الولاة وكبار الشخصيات •

٨ ـ محافظ عابدين : تحتوى على بعض المراسلات الأصلية بين الولاة وكبار الشخصيات ، وبعضها مقيد فى الدفاتر السابقة وبعضها غير مقيد ٠

٩ ـ الملقات الخاصة : عدة ملفات خاصة بشخصيات بذاتهـا أو بجهات خاصة مثل :

ملف الصدارة ـ خاص بمراسلات الصدر الأعظم ٠

وملف نظارة الخارجية خاص بمراسلات هذه النظارة ٠

ملف القبوكتخدا ـ ملف نوبار باشا ـ ملف المتفرقات ٠

١٠ ـ دفاتر الأوامر : تحتوى على الأوامر الصادرة الى الجهات ، وبعضها بالتركى ، والبعض الآخر بالعربى ٠

١١ ـ دفاتر عابدية (وارد تلغرافات) : بها صور التلغرافات الواردة للمعية السنية ٠

١٢ ـ دفاتر عابدين (صادر تلغرافات) : بها صور التلغرافات المرسلة من المعية ٠

١٣ ـ دفاتر عابدين ـ وارد تلغرافات شفرة : بها صور التلغرافات الشفرة الواردة للمعية ٠

١٤ ـ دفاتر عابدين ـ صادر تلغرافات شفرة : بها صور التلغرافاه الشفرة المرسلة من المعية ٠

١٥ ـ سجلات الجهادية : تحتوى على الافادات من المعية والجهادية ٠

١٦ ـ دفاتر المجلس المخصـوص ـ تحتـوى على قرارات المجلس المخصوص ٠

١٧ـ محافظ سايرة : جمعت فيها أشياء مختلفة من الأقاليم ٠

١٨ ـ محافظ بحريرا تركي : تحتوي على وثائق واردة من جهات مختلفة ـ غير القطر المصري ـ للمعية ٠

١٩ ـ محافظ السودان جمع فيها ما أمكن جمعه عن السودان منذ شملته الادارة المصرية في عهـــــد محمد علي ـ وهي ماخوذة من الدفاتر والسجلات المختلفة ٠

٢٠ ـ دفاتر وارد المحافظات : عدة دفاتر لكل محافظة من المحافظات سجل فيها الوارد من المكاتبات من كل محافظة ٠

٢١ ـ دفاتر صادر المحافظات : عدة دفاتر لكل محافظة ، سجل فيهـا الصادر من المكاتبات من المحـــــافظة وذلك بخط الكتاب المعينين بنفس المحافظة ٠

٢٢ ـ محافظ الـ F.O. تحتوي على مراسلات بالانجليزية ، والفرنسية وغيرهما من اللغات ٠ بعضها مراسلات أصلية ، وبعضها غير موجود الأصل ، لكن توجد نسخة بالآلة الكاتبة أو منقولة ، وعدد كبير منها منقول من أرشيف فينا ٠

هذا وأشير الى أن المؤرخ المشهور مســـيو دوان G. Douin قد استعان ـ استعانة كاملة بوثائق عابدين لاخراج كتابه المكون من عدة مجلدات عن فترة حكم الخديو اسماعيل ٠

"Histoire du Règne de Khedive Ismail"

وقد وضعت تحت أمره خبرة كثيرين ممن كانوا يعملون في الأقســام التركية والعربية والافرنجية في محفوظات عابدين ٠

وبالطبع لا بد لمن يريد البحث في موضوع يتعلق بتاريخ الســـودان الحديث ان يطلع بالاضافة الى وثائق دار المحفوظات المصرية بالقلعة الخاصة بهذه الفترة ـ على الوثائق الموجودة بدار الوثائق بالخرطوم ٠

وقد نظمت دار **الوثائق المركزية بالخرطوم** ، خاصة ما يتعلق منهـــا

بفترة حكم المهدية ، باشراف الأستاذ الدكتور محمد ابراهيم أبو سليم مدير الدار (١) ٠

وأذكر كأمثلة لما فى هذه الدار من وثائق عن فترة حكم المهدية :

١ ـ المراسلات المتبادلة بين الخليفة وعماله على الأقاليم ٠

٢ ـ دفاتر الصادر : وتشتمل على خطابات المهدى والخليفة الى مختلف الأقاليم التى خضعت للمهدية ٠

٣ ـ تقارير المخابرات السودانية المصرية ٠

-- Sudan Intelligence Reports (S.I.R.)
— Egyptian Intelligence Reports (E.I.R.)

٤ ـ الوثائق الخاصة بالفترة التى قضاها غوردون أخيرا فى الخرطوم
The Life of Gordon Pasha in Khartoum.

٥ ـ التقارير عن حصار الخرطوم وسنار وسقوطهما ٠

٦ ـ تقارير المخابرات المصرية المتعلقة بالفترة من عام ١٨٩٦ الى عام ١٨٩٨ (مطبوعة) ٠

٨ ـ أوامر وتعليمات السكرتير الادارى للمديريين ـ مثلا :
تحت عنوان The battle of Omdurman

٨ ـ أوامر وتعليمات السكرتير الادارى للمديريين مثلا :
From Robertson, civil secretary to all governers.

كذلك من أمثلة الوثائق الموجودة بمكتبة جامعة الخرطوم :

---

(١) نشر الدكتور أبو سليم عدة كتب عن فترة المهدية مستندا لوثائق دار الوثائق بالخرطوم نذكر منها :

ـ مفهوم ولاية العهد فى المهدية (الخرطوم ١٩٦٣) ٠
ـ المهدى عليه السلام (الخرطوم ١٩٦٨) ٠
ـ منشورات المهدية (بيروت ١٩٧٠) ٠
ـ الارض فى المهدية (الخرطوم ١٩٧٠) ٠
ـ الحركة الفكرية فى المهدية (الخرطوم ١٩٧٠) ٠

ــ دفاتر وقائع عثمان دقنه

ــ مجموعة تقارير عن حصار الخرطوم وسقوطها (٢٠ أغسطس ١٨٨٧) ٠

اما مكتبة مدرسة الدراسات الشرقية بدرهام بانجلترا : فقد أودع بها السير ونجت Wingate الذى كان سردارا للجيش المصرى ورئيسا للمخابرات ، ثم حاكما عاما للسودان ــ ما وقع تحت يديه من وثائق ٠

وهذه الوثائق مفهرسة ومنظمة ، وفى صناديق مرقمة ويمكن طلب الفهرس الخاص بها من الدار المذكورة ٠

ومن أمثلة هذه الوثائق الموجودة بهذه الدار :

Colonel Wingate Military, Reports on the final Campaign of Um Debiekrat (25/11/99— Box 18)

ــ نصيحة العوام للخاص والعام ٠

ويحتاج الباحث أيضا للبحث فى دار الوثائق بلندن (Public Record Office-London) فقد كان لانجلترا دور رئيسى فى الأحداث ــ ومما تحتويه هذه الدار على سبيل المثال :

Lord Kitchener's Report on the battle of Omdurman to the War Office (W.O. 32/6143).

هذا خلاف المئات من التقارير المشابهة والخطابات التى تبودلت بين الحكومة البريطانية وممثليها فى مصر وغيرهم ٠

واذا كانت فرنسا قد تدخلت بشكل ما فى الأحداث كما فى حادثة فاشودة مثلا ــ أو لدراسة موقفها من الاحتلال البريطانى لمصر وتدخل بريطانيا فى شئون السودان ٠٠ الخ ٠٠ فاعتقد انه لا غنى للباحث عن اللجوء ايضا لوثائق المكتبة الوطنية فى باريس (Bibliothèque Nationale de Paris)

وهكذا يتضح أن الباحث التاريخى الدقيق يستلزم أن يطلع على

كافة الوثائق المتعلقة بموضوع بحثه ليتعرف على وجهات النظر المختلفة للاطراف المتعددة المتصلة بالحادث الواحد ·

ان التاريخ الصحيح هو ما بنى على الأصول - ولذا فكل جهد للوصول الى هذه الأصول لنبنى عليها أحكامنا التاريخية - مهما بلغ فهو جهد مثمر ومفيد ولا بد منه ·

ارشيف وزارات الخارجية :

كثير من الوثائق المتعلقة بوزارات المستعمرات السابقة موجودة بوزارات الخارجية فى الدول المستعمرة ، فأرشيف وزارة الخارجية الفرنسية موجود فى الكيه دورسيه ، كذلك هناك المراسلات بين وزارات الخارجية وممثلى الدول سواء فى العواصم الأوربية أو العواصم الافريقية مثلا أو غيرها ·

وعادة يسمح للباحث بالاطلاع على ما فى هذه الأماكن من وثائق طالما قد مضى عليها فترة زمنية بحيث أصبحت لا تمس سلامة الدولة - وذلك بعد اجراءات بسيطة حتى يستوثق المسئولون من أن الهدف من وراء هذا العمل هو هدف - علمى فحسب - بالطبع هذا باستثناء بعض الوثائق التى قد تعتبر من الأسرار التى لا يسمح بالاطلاع عليها (Top Secret).

وعادة تسمح الدول بالاطلاع على الوثائق التى مر عليها أكثر من خمسين سنة - باعتبار أنه فى خلال هذه الفترة انتهت الدواعى الوطنية التى كانت تدعو لحجبها · وقد بدأت بعض الدول ترفع الحظر عن الوثائق التى مضى عليها ثلاثون عاما طالما لا تمس أحداثا جارية تدعو لبقائها فى طى الكتمان ·

الشخصيات العلمية التى لها اهتمام بحوادث تتعلق بالبحث :

العلم ليس احتكارا لأحد ، بل ان العالم الحقيقى هو الذى يسعده أن ينتفع غيره بعلمه ·

وقد تكون هناك شخصيات علمية لها اهتمام بجوانب معينة من بحثك ، وهذه الشخصيات قد يكون من اليسير ان يتصل بها الباحث شخصيا ، وقد يتطلب الأمر ان يكتب لها أو يتصل بها بطريقة او أخرى وذلك للاسترشاد

برأيها أو الاستفادة بخبرتها أو لتوجيه الباحث الى مرجع خاص أو مصدر من مصادر المعلومات لم يتنبه له ٠

ومهما يكن من أمر فلا يجب أبدا أن يتجه الباحث هذا الاتجاه الا بموافقة الأستاذ المشرف وبتوجيه منه ، ولعله من الأفضل أن يكون ذلك بخطاب أو توصية من المشرف - والا فقد يدخل الباحث نفسه فى مشكلات هو فى غنى عنها ٠

الأشخاص الذين لهم اتصال بالأحداث :

قد يستطيع الباحث أن يتصل ببعض الأشخاص الذين لهم اتصال بالأحداث ، وقد تكون لديهم مذكرات مكتوبة ، وليست منشورة عن بعض ما يتعلق ببحثه ٠

ولا شك فى أن الاتصال - اذا تيسر - بالأشخاص المشتركين فى الأحداث لمعرفة رأيهم الشخصى أو الاستفسار عن أمر غامض مفيد ٠

فمن يتعرض - مثلا - للكتابة عن الاستعمار الفرنسى للجزائر قد يجد فائدة فى الاتصال بأسرة المجاهد الجزائرى الأمير عبد القادر ، وبالمثل من يكتب عن الاستعمار الأسبانى فى المغرب - يستفيد اذا أمكنه الاتصال بأسرة الأمير عبد الكريم الخطابى وقد يعثر لديها على مذكرات خطية للأمير كتبها فى منفاه أو أثناء اقامته فى مصر كلاجىء سياسى أو غير ذلك ٠

على أن الباحث يجب أن يكون دائما على حذر ، فلا يقبل رأيا على أنه حقيقة لا شك فيها ، بل عليه أن يقلب الأمر من جميع وجوهه قصد الوصول للحقيقة المطلقة ٠

هذه هى بعض التوجيهات بخصوص المصادر والمراجع التى يلجأ اليها الباحث للحصول منها على المادة العلمية الخاصة بموضوع بحثه ٠

وسنحاول فى الفصول التالية أن نوضح واجبات الباحث للتحقق من سلامة الأصول وكذلك حدوده فى نقد آراء الآخرين وكتاباتهم سعيا وراء الوصول للحقيقة ٠

الفصـــل الثــامن

نقد الاصول التاريخية

مباحث هذا الفصل :

التأكد من أصالة النص وأنه غير مزيف ·

— النقد الظاهرى :

المقصود به ، أمثلة على ما أصاب بعض الوثائق من تزييف أو تغيير ·

- تقسيم الأصول المخطوطة ·
- الأصول المطبوعة ·

— النقد الباطنى (الداخلى) :

- المقصود به :

(أ) النقد الباطنى الايجابى ·

(ب) النقد الباطنى السلبى ·

بعد أن توصل الباحث لمراجع بحثه ومصادره الأصلية لعل الأسئلة التى تفرض نفسها عليه وعلينا هى :

ـــ كيف استفيد من هذه المصادر والمراجع ؟

ـــ الى أى حد يمكن الاعتماد على مادتها العلمية ؟

ـــ هل يجب مناقشة الآراء المختلفة ، والوصول الى رأى شخصى يرجح بعض الآراء ، وينفى الأخرى ؟
وما الحدود التى يجب الا يتخطاها الباحث فى ذلك ؟

ـــ كيف يسجل الباحث بعد ذلك ما وصل اليه من نتائج ؟

ـــ ما الصورة النهائية التى يجب أن يكون عليها البحث ؟

وللاجابة على هذه الأسئلة نوضح أولا المراحل التى تمر بها المادة العملية (المادة الخام) لتصبح مادة صالحة لبناء النسيج الذى يتكون منه البحث ٠

ولنبدأ بالأصول التاريخية وكيفية الاستفادة منها :

لما كانت الحقيقة فى ذاتها هى الهدف الذى يرمى اليه الباحث ـ لذلك كان لا بد من التأكد من أن (الأصول) أو الوثائق التى يبنى عليها استنتاجاته صحيحة وأنها ليست مزيفة تزييفاً كليا أو جزئيا ٠

وقد ظهر أن كثيرا من الأصول التى استخدمت فى الماضى دون نقد أو تمحيص مزيفة ، وبالطبع فكل ما بنى عليها من استنتاجات لا قيمة له ، ومن ثم ذهب كل جهد بنى على هذه الأصول المزيفة هباء ٠

ولذا ينصح الباحث أن يتأكد أولا من اصالة النص بأن يبدأ بنقد الأصل ـ فاذا ثبتت صحته بصورة قاطعة يمكن أن يستخدمه باطمئنان ٠

والنص يتعرض لنقد ظاهرى ، ونقد باطنى ،والمؤرخون الألمان يستخدمون لفظ (فحص Examination بدلا من نقد ٠

فالنقد الظاهرى (External Criticism) :

يقصد به التأكد من شخصية كاتب النص ، ومن صحة نسبه اليه ، وذلك بطرق مختلفة ، كاختبار نوع الحبر المستخدم ، والقلم الذى كتب به النص ، ودراسة اللغة ، والأسلوب ، والمصطلحات ، والصيغ الخاصة بالفترة التى كتب فيها النص ، هذا بالاضافة الى العادات الجارية فى ديوان من الدواوين فى زمان من الأزمنة ، أو الخصائص المشتركة بين كل الوثائق التى من نوع معين والتى ثبت يقينا أنها صحيحة ٠ فالباحث عليه أن يعقد مقارنة بين عدد كبير جدا من الوثائق المتشابهة قبل أن يصدر حكما جازما على حالة معينة أمامه (١) ٠

وتتطلب عملية النقد هذه جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات عن كاتب النص ، وهذا يخدم فى الحكم على مدى تحريه الحقيقة ، ومدى علاقته بالأحداث التى كتب عنها ٠ وهل شاهدها بنفسه أو اشترك فيها أم انه يكتب عن أشياء سمع عنها فقط ، وهل مضى وقت طويل بين وقوع الحدث نفسه وبين تدوينه ٠

فقد يكون النص صحيحا غير مزيف ، وقد يكون كاتبه من الأشخاص الذين عرف عنهم تحرى الصدق فيما يكتبون ـ لكن لبعد الزمن بين وقوع الحادث وبين تدوينه يلتبس عليه الأمر فيهمل ذكر تفاصيل هامة أو يخطىء عن غير قصد فى ذكر أحداث معينة ٠ فمعرفة كاتب الأصل وتاريخ كتابته وعلاقته بالأحداث ـ كل هذه تهم وتخدم فى الاطمئنان على دقة ما جاء بالنص ٠

والنص الأصلى قد يكون بخط المؤلف أو قد يكون مملى ويكون المؤلف قد راجع الاملاء ، وفى هذه الحالة يعتبر النص فى مرتبة النسخة التى بخط المؤلف (٢) ٠

ويعطى دكتور أسد رستم أمثلة لبعض النصوص والوثائق التى احتوت

---

(١) أنجلو وسينوبوس : مرجع سابق ص ٣٤ ٠

(٢) ماس ، بول : نقد النص ـ (ترجمة عبد الرحمن بدوى) ص ٢٥٥ ٠

أمورا هامة وخطيرة ونسب صدورها لأشخاص معينين ـ لكن ثبت بعد ذلك أنها مزورة ومدسوسة على أصحابها (١) ٠

ومن هذا القبيل نوع من التزوير لم يسلم منه كثير من الأصول ٠ ذلك أن أصحاب الكتب الخطية كانوا فى بعض الأحيان يضيفون فى المخطوط الذى تحت أيديهم على الهامش أو فى أواخر الفصول والأبواب أخبارا أو آراء جديدة تتعلق بما جاء بالمخطوط ، وتمر الأيام وتضيع النسخة الأصلية للمخطوط ، وينسخ الكتاب مرة أخرى من النسخة المنقولة باضافاتها ، وتدخل الزيادة فى الأصل ، ويختلط الشرح بالمتن ، ويختلط الأمر على المتأخرين فينسب كل ما فى النسخة الخطية المتأخرة بما فيها من اضافات الى المؤلف الأصلى ٠ وهو نوع من التزييف فنحن ننسب للمؤلف ما هو فى الحقيقة من تحريف الناسخ (٢) ٠

والاضافات من هذا القبيل على نوعين :

(أ) الحشو (interpolation) : والبعض يطلق عليه لفظ (الدس) ويقصد به ادخال كلمات أو جمل (اضافات) فى النص لم تكن فيه من قبل ٠

(ب) الاكمال (Continuation) : يقصد به اضافة لأحداث أخرى للنص الأصلى بأيد أخرى دون أن يهتم المكمل بذكر أين ابتدأ اكماله وأين انتهى ٠

وفى بعض الأحيان يمكن بيسر فصل الوثيقة الأصلية عن الاضافات ـ كأننا نستعمل مقصا ، وفى أحيان أخرى يختلط الأمر فيصعب تمييز مواضع اللحام (٣) ٠

وفى هذه الحالة تصبح مهمتنا محاولة استعادة الأصل أو على الأقل عزل الوضع السقيم المشكوك فيه (٤) ٠

---

(١) رستم ، أسد : مرجع سابق ٠

(٢) انجلو وسينوبوس : مرجع سابق ص ٥٣ ، ٦٩ ٠

(٣) ماس ، بول : مرجع سابق ص ٢٦٨ ٠

(٤) نفس المرجع ص ٣٥٥ ٠

ويعطى دكتور أسد رستم أمثلة لبعض الكتب التى نشرت اعتمادا على نسخ خطية دست فيها أخبار كثيرة ثبت فيما بعد أن تاريخ حدوث بعضها لاحق لتاريخ وفاة المؤلف الأصلى نفسه (١) ٠

وهكذا يصبح من اللازم التحقق من أصالة الأصول ٠ وان كان الأمر يستلزم من الباحث - قبل الاعتماد على الأصل - بذل جهد مضن سـواء بدراسة الوثيقة من حيث زمن كاتبها أو أسلوبه أو طريقة التدوين فى ذلك الوقت أو نوع الأوراق المستخدمة - ان كانت رسمية أو غير رسمية - أو اختامها أو طريقة الكتابة نفسها سواء من حيث طريقة توجيه الخطاب أو الرسالة أو طريقة انهائها ، أو غير ذلك من الوسائل التى يتذرع بها الباحث للتأكد من أن الأصل الذى سيستخدمه صحيح ٠ وقد يصل الباحث بعد الجهد الذى بذله لاختيار النص الى تقرير حقيقة مرة وهى أن النص الذى بأيدينا لا يمكن اصلاحه والاعتماد عليه ٠

وفيما يتعلق بالأصول التاريخية المخطوطة نقسمها الى أربع حالات :

١ - أصول بخط المؤلف نفسه ،

ويمكن للباحث اذا اطمأن بكافة الوسائل الى أن الأصل بخط المؤلف - دون شك - أن يستخدم هذا الأصل ، وأن يعتمد عليه وهو مطمئن ويمكن أن نطلق على هذه الأصول « أصول من الدرجة الأولى » ٠

٢ - فى حالة فقد الأصل ووجود نسخة وحيدة منقولة من الأصل ٠ على الباحث فى هذه الحالة أن يحاول دراسة هذه النسخة دراسة تحليلية ، فيدرس حياة المؤلف ، ويحاول أن يلم بظروفه ، وأسلوبه ، الى غير ذلك فى محاولة للوصول الى حقيقة الأصل المجهول - ولا يجب أن نبـالغ فى الشك فى بعض النصوص التاريخية التى لم ينالها تغيير أو تبديل ٠

وهذه الأصول نعتبرها « أصولا من الدرجة الثانية » ٠

٣ - فى حالة ضياع الأصل ، والعثور على عدة نسخ منقولة منه فيها بعض الاختلاف ٠

---

(١) رستم ، أسد : مرجع سابق ص ٢١ ٠

وهذا يتطلب من الباحث دراسة مقارنة فى محاولة لتحديد النص الأول او أقرب ما يمكن اليه ·

وهناك منهج لتصنيف النسخ الفرعية ومقابلتها ببعضها (١) ·

ويلاحظ أن تشابه عدد من النسخ لا يعنى بحال ما أنها هى الأقرب الى الأصل فقد تكون كلها مأخوذة من نسخة واحدة بعيدة عن الأصل الضائع ·

كما يجب ملاحظة أن الأقدمية النسبية لنسخة ما ليست لها أية أهمية وميزة عن نسخة فى عصر تال (٢) ·

٤ ـ العثور على أصل لمؤرخ مجهول ·

وعلى الباحث فى هذه الحالة أن يحاول التعرف على شخصية كاتب النص ، ويتثبت من ميوله ونزعاته ودرجة علمه وذكائه واتصاله بالحوادث التى يروى أخبارها ، ولا بد من الوقوف على الزمن الذى كتب فيه هذه الأخبار والمكان الذى سطرت فيه ·

ان الأصول ـ كما يقول د · أسد رستم « هى فى غالب الأحيان صلتنا الوحيدة بحوادث الماضى ـ فان أخبرتنا الخبر على حقيقته توصلنا الى الحقيقة التى ننشدها ، وان أرجفت فخاضت فى الأخبار المخطئة أو الكاذبة أوقعتنا فى مهاوى الضلال والتضليل ·· ومهمة الباحث فى البحث عن حقيقة النص وصاحبه هى أصعب بدرجات من مهمة القضـــاة والمحامين اذ أن هؤلاء يتحدثون الى من يتقل الخبر اليها ويمتحنونه بالاستنطاق ، فهو مخبر حى ماثل أمامهم ـ أما مخبر المؤرخ فانه ميت خلا مكانه ، وطويت صحيفته (٣)·

ويعطى بول ماس ـ صورا للتحريفات التى طرأت على الأصول فى نسخ منقولة فيذكر منها أغلاطا فى النقل مرجعها الى الادراك حين يخيل للنساخ أن ثمت أغلاطا فى الأصل فيصححونها لأنهم لم يفهموها ـ وهناك أغـلاط

---

(١) انجلو وسونوبوس : مرجع سابق ص ٧٢ ·

(٢) بدوى ، عبد الرحمن : منهج البحث العلمى ص ١٩٣ ·

(٣) رستم ، أسد : مرجع سابق ص ٢٦ ·

عرضية تحدث حينما يسهون فى قراءة الأصل أو لا يعرفون أن يقرأوه ، أو حينما يسيئون السماع وهم يكتبون عن املاء ، أو حينما يرتكبون عن غير قصد سقطات قلمية أو حذف عدة أسطر مثلا (١) ٠

أما الدكتور عبد الرحمن بدوى فيعطى أمثلة لما أضافه النساخ لكتاب (الرسالة) للشافعى فقد طرأ فى الكلام تحريفا أو خطأ لجهلهم ـ فاستبدلوا صه غيره ، خاصة أن الشافعى كان يستخدم تعابير فى غاية من الرصانة والجزالة ، ومتانة النسك مما يدل على عربيته الأصيلة فى الكتابة ـ وهكذا تصبح مهمة الباحث أن يستخرج القراءة الصحيحة التى أملاها الشافعى على تلميذه (الربيع) ويستبعد الغريب (٢) ٠

واذا كان هذا يتعلق بالأصول المخطوطة ، فان نفس الشيء ينطبق على الأصول المطبوعة ٠

وقد أورد الأستاذ فلنج أمثلة لأحداث هامة ترتبط بالثورة الفرنسية وغيرها نشرت فى أكثر من مصدر بنفس الشكل ـ لكن ثبت عدم صحتها لأن النص الأول لم يتحر الدقة فيما نشره ، وأما المصادر الأخرى فقد نقلت عنه دون تحقيق (٣) ٠

وهكذا يتضح لنا أهمية التثبت من نصوص الأصول التاريخية قبل الاعتماد عليها ، وذلك عن طريق فحص (نقد) النص من الناحية الظاهرية أى دون التعرض لباطن الكلام والوقوف عند معناه ومرماه ٠

ونتيجة مثل هذا الفحص ـ كما يقول ماس ، بول ـ هى الحكم الأولى على النص هل هو محتمل أو غير محتمل (٤) ٠

---

(١) ماس ، بول : مرجع سابق ص ٥٦ ٠

(٢) بدوى ، عبد الرحمن : مرجع سابق ص ١٩٨ ، ١٩٩ ٠

(٣) Fling, F.M. : The Writing of History An Introduction to Historical Method, p.p. 90-100.

(٤) ماس ، بول : مرجع سابق ص ٢٦٤ ٠

والنص غير المحتمل ـ هو ما يثبت بالقطع عدم صحته ، أو انه حدث به تشويه لا سبيل الى علاجه ٠

وبالطبع ليس هناك معيار مطلق للحسن أو السوء ـ لكن كثيرا من الباحثين ـ نشعر لأول وهلة أنهم لم يبذلوا الجهد المطلوب للتحقيق من صحة النصوص التى يستخدمونها ، وهؤلاء يوصفون عادة بأنهم يعوزهم النقد ، لكن مع ذلك فان الافراط فى الشك والاتهام يكاد يكون له نفس النتائج الضـــارة التى للافراط فى الثقة (١) ٠

النقد الباطنى (الداخلى) (Internal criticism) :

يعتبر النقد الخارجى مجرد عملية تحضيرية ـ فهو مجرد نفض التراب عن الوثائق الأصلية لاعدادها للمرحلة التالية ـ مرحلة النقد الداخلى (٢) ٠ والنقد يبدأ عادة (بالتحليل) ـ ويتم النقد الباطنى فى مرحلتين :

١ ـ **نقد باطنى ايجابى** ٠

٢ ـ **نقد باطنى سلبى** ٠

أما النقد الباطنى الايجابى ـ فيقصد به تحليل النص التـــاريخى للوصول الى المعنى السليم للالفاظ كما قصد بها الكاتب ، أى للوصول الى مضمون الوثيقة ومعرفة الظروف التى دون فيها الكاتب النص ٠

فالمفروض أن نصل الى ما كان يدور بذهن كاتب النص نفسه ـ لا أن نخضع تفسير النص وألفاظه ومدلولاته لفكرنا نحن (٣) ٠

وكثيرون من الباحثين يحملون النصوص فوق ما تحتمل من معانى ٠ والبعض لا يجذب انتباهه فى الوثيقة الا الجمل أو الكلمات التى تتجاوب مع تصوراته هو ٠

وتحليل النص وتفسيره يمر بمرحلتين :

١ ـ تحديد المعنى الحرفى لألفاظ النص وجمله ـ وهذه عملية لغوية بحتة ٠

---

(١) نفس المرجع ص ٢٧٠ ٠

(٢) انجلو وسينوبوس : مرجع سابق ص ٨٨ ٠

(٣) نفس المرجع السابق ص ١١٠ ٠

٣ - ادراك المعنى الحقيقى أو بالأحرى غرض كاتب النص الاجمالى - فقد يكون قد قصد ببعض التعبيرات الرمز أو الفكاهة والتمويه أو التعريض أو الاعجاز أو المجاز اللغوى ٠

ولا بد من مراعاة قاعدة السـياق (Le règle du Context) أى أنه يجب فهم العبارة أو الكلمة وفقا للسـياق الذى توجد به فكثيرا ما تختلف معانى العبارات أو الكلمات وفقا لاختلاف الأماكن التى تستخدم فيها (١) ٠

ويجب مراعاة عدة حقائق نجملها فيما يلى :

١ - أن اللفظ قد يكون له فى زمن الكاتب معنى غير المعنى المستخدم اليوم ، وبالطبع كاتب النص يقصد المعنى الشائع فى وقته - فالباحث عليه أن يلم بلغة العهد الذى كتب فيه النص ، ومعانى الألفاظ ومدلولهـا فى زمنهـا ٠

٢ - تختلف بعض المفردات والالفاظ اللغوية من اقليم لآخر ، ولذا يجب أن يكون الباحث ملما بمدلول الألفاظ فى المنطقة أو الاقليم المتصل بالنص ، فى هذا العصر بالذات الذى كتب فيه النص ، ويمكن أن يستعين الباحث فى ذلك بالمعاجم اللغوية ٠

كما أن على الباحث أن يكون على علم بالأخطاء الشائعة الخاصـة بكتابة لغة من اللغات فى عصر من العصور أو بكتابة كاتب معين (٢) ٠

وكما سنشرح بعد - أن المؤرخ ملتزم عند الاستشهاد بنص ما أن يبقيه كما هو بألفاظه وأخطائه - ان وجدت - فلا يجب حتى مجرد ابدال لفظ عامى بما هو مقابل له باللغة الفصحى ، وكم من المعانى الفصيحة أو العاميـة أيضا تتغير بتقديم أو تأخير أجزاء جملها بعضها عن بعض ، والتاريخ

---

(١) بدوى ، عبد الرحمن : مرجع سابق ص ٢٠٦ ٠

(٢) نفس المرجع ص ١٩٠ ٠

كعلم يتطلب الحقيقة كما هى لا كما يجب أن تكون (١) ٠

٣ ـ أن كثيرين من الباحثين يحاولون أن يصلوا من تحليلهم للنصوص لتأكيد فكرة سابقة (Prejugé) كونوها مقدما من الوقائع ـ فالباحث فى هذه الحالة لا يخرج عن كونه ألف نصا خياليا مكان النص الحقيقى للمؤلف، وهذا أمر غاية فى الخطورة (٢) ٠

٤ ـ لكل كاتب طريقته الخاصة فى التعبير ـ وكما ذكرنا سابقا ـ فانه يجب الالمام بطريقة الكاتب فى الكتابة من حيث الأسلوب واللغة، وما شابه ذلك من وسائل التأكد من صحة نسبة النص لهذا الكاتب بالذات ٠

ويجدر بالباحث أن يطلع على كتابات أخرى للكاتب ان وجدت ٠

٥ ـ يجب أن نصل فى النهاية الى تفسير النص كوحدة والمفروض أن يصل الباحث للمعني الذي يقصده الكاتب ذاته والى نظرته الصحيحة فى تصور الأمور ٠

وليس معنى هذا أن يسرف الباحث فى التشكك فى معانى الألفـــاظ الحقيقية ـ لكنه أيضا لا يجب أن يحملها فوق ما تحتمل فنحن نثبت الأخبار كما رواها مشاهدها لا كما كان يجب عليه ـ من وجهة نظرنا ـ أن يرويها ٠

بهذه الطريقة يمكن أن يطمئن الباحث الى أن ما تحت يده يعبر تعبيرا كاملا عن وجهة نظر الكاتب ٠

ويوجب ماس ، بول على الباحث أن يوضح بالاشـــارات الواضحة ما يرى استبعاده من النص الأصلى لأنه ـ كما يعتقد ـ دخيل عليه ، أو ما يرى اجراءه من تغيرات أخرى لرد النص لأصله ، ويعطى هو بيانا بالاشارات التي يمكن استخدامها كاشارات للمحذوف من النص أو المضـــاف على الأصل ٠٠ الخ (٣) ٠

---

(١) رستم ، أسد : مرجع سابق ص ٣٥ ٠

(٢) انجلو وسينوبس : مرجع سابق ص ١١١ ٠

(٣) ماس ، بول : مرجع سابق ص ٢٧٥ ، ٢٧٦ ٠

النقد الباطنى السلبى : لا يجب أن نأخذ المعلومات الواردة فى الأصل التاريخى على أنها تعبير عن الحقيقة خالصة ـ فكثيرا ما حاد الكاتب عن ذكر الحقيقة تحت ضغط ظروف معينة أو حسب أهوائه وميوله ، بل ان الأصول الرسمية من معاهدات ، واتفاقات معلنة وغيرها ظهر أنها لا تعبر تماما عن كل الوقائع التى اتفق عليها وأن بعضها قصد به اخفاء البنود المتضمنة فى اتفاقات سرية لم يعلن عنها ، وقد لا يكتشف أمرها الا بعد مضى سنوات وبعد أن تكون قد حققت الغرض من بقائها فى طى الكتمان ـ وقد سبق أن أشرنا للاتفاق السرى بين انجلترا وفرنسا الملحق الاتفاق الودى بين الدولتين فى عام ١٩٠٤ .

وقد ذهب بعض علماء التاريخ الى أن « شك المؤرخ رائد حكمته » ـ وأن الأصل فى التاريخ الاتهام لا براءة الذمة حتى تثبت هذه البراءة بما لا يدع مجالا للشك (١) .

وكما يذكر انجلو وسينوبوس ـ ان نقطة الابتداء للباحث هى (الشك المنهجى) فى النص ـ فكل ما لم يثبت بعد ينبغى أن يظل مؤقتا موضوعا للشك ، فينبغى على المؤرخ أن يرتاب فى كل أقوال المؤلف لأنه لا يدرى لعل قوله كذب عن عمد أو خطأ عن غير قصد (٢) .

ومهما يكن سبب الخطأ فاذا كان الكاتب قد أعطى معلومات غير دقيقة فيستوى أن يكون قد نقل ذلك كذبا أو خطأ ، ولا جدوى من محاولة التمييز بين النوعين .

وعلى هذا فعلى الباحث فى التاريخ أن يجعل قدرا كبيرا من الشك كنقطة البدء فى بحثه (٣) .

وبالطبع فان الباحث اذا وجد تعارضـــا فى المعلومات الواردة فى الأصول التاريخية عن موضوع معين ، فذلك يدعوه للاعتقاد بامكان وجود

---

(١) رستم ، أسد : مرجع سابق ص ٦١ .

(٢) انجلو وسينوبوس : مرجع سابق ص ١٢٢ .

(٣) عثمان ، حسن : مرجع سابق ص ١٢٢ .

الكذب أو الخطأ ــ ومن ثم تصبح عملية (النقد الباطنى السلبى) عمليــة ضرورية لتصفية الحقائق وغربلتها واستبعاد الزائف منها ٠

وقد يضطر كاتب الأصل التاريخى أو الراوى لعدم ذكر الحقيقة تحت ضغط ظروف معينة عن قصد أو غير أصد ــ منها مثلا :

١ ــ أن تكون هناك أسباب وراء عدم ذكر الحقيقة ، وهذه الأسباب قد تكون سياسية أو حربية أو قومية ٠ وهو ما يعبر عنه (بالظروف العــامة التى عمل فيها المؤلف) فالمؤلف عضو فى عدة جماعات : الأسرة ، والاقليم، والوطن ، والفرقة الدينية ، والحزب السياسى ، والطبقة الاجتماعية ، وبالطبع قد تكون لجماعة منها أو أكثر مصلحة يتشيع لها ، وتفرض عليه اتجاها خاصا (١) ٠

٢ ــ قد يقع الكاتب أو الراوى تحت ضغط ما فينحـــــرف عن ذكر الحقيقة ٠

٣ ــ قد تكون له مصلحة معينة تدفعه لأن يتعمد الكذب أى أن هناك دوافع تنحرف به عن ذكر الحقيقة ٠

٤ ــ يجوز أن يكذب ارضاء للجمهور ٠

٥ ــ قد تكون هناك عوامل نفسية وراء عدم ذكر الحقيقة كالغـرور الشخصى ٠

٦ ــ قد يكون أسلوب الكاتب نفسه ، واستخدامه لألفاظ وتراكيب معينة بهدف التأثير فى النفس ــ من دواعى الحيدة عن الحقيقة ٠

٧ ــ وهناك عوامل شخصية تتعلق بقوة الملاحظة وسلامة الحواس ، وغير ذلك مما يتوقف على مدى دقة المشـاهد فى ملاحظة الأحداث التى يعاينها ويرويها كشاهد عيان ٠ ولذا فقد ذهب البعض الى أنه لابد من مجموعة

---

(١) بدوى ، عبد الرحمن : مرجع سابق ص ٢١٢ ٠

أسئلة عامة questionaire) نحتكم اليها للحكم على الظروف التى احاطت بالمؤلف وبكتابة الوثيقة (١) ·

ويحذر الدكتور أسد رستم من أخذ كل ما يكتبه أى كاتب مهما عرف عنه الصدق — على انه صحيح لا يقبل الشك أو لا يستدعى الشك والبحث فى صحته من عدمه — ويضرب عدة أمثلة لذلك فيذكر مثلا الطبرى الذى اشتهر بالعدل والصدق والأمانة لكن لا يمكن أخذ جميع أقواله قضايا مسلما بها ، فيجوز أن يكون صادقا دقيقا فى بعض ما يقول ويكون على عكس ذلك فى بعض أقواله الأخرى ·

كذلك ابن خلدون لم يراع فى كتابه « العبر وديوان المبتدأ والخبر » — الدقة التى دعا هو اليها ، ولم يتجنب بعض الأخطاء التى دعا الى تجنبها (٢)

ويشرح انجلو وسينوبوس هذا الوضع بتفصيل فيذكر أن بعض الباحثين يطبقون على المؤلفين الاجراءات القضائية التى تقسم الشهود الى شهود عدول ، وشهود زور ، وينتهى بهم الأمر الى القول — كما فى المحاكم — أن (عبء الدليل) يقع على عاتق المفكر لشهادة مقبولة ، وهو يحذر من أخذ مجموع مؤلفات الكاتب ككل تقبل بجملتها أو ترفض كلها (٣) ·

واذا كان النقد والشك الى أن تثبت صحة النص لازما وضروريا فى حالة الاعتماد على المصادر الأصلية — فالأمر أكثر مدعاة للتدقيق والفحص والتحليل اذا اضطر الباحث للاعتماد على مصادر ثانوية لضياع الأصول الأولى ·

ويعطى د · عبد الرحمن بدوى أمثلة للأحاديث المزيفة ، فيذكر مثلا أن (عكرمة) فى روايته عن ابن العباس قد زيف الكثير من الأحاديث مع أنه روى عن صحابى ، كما أن الكثير من الأحاديث التى نسبت الى أبى هريرة

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر :
Langlois, Ch. et Seignobos, Ch.: Introduction aux Etudes Historiques (Trans. by Berry, G.B. — London (1912) p.p. 166, 177

(٢) رستم ، أسد : مرجع سابق ص ٦٧ ·

(٣) انجلو وسينوبس : مرجع سابق ص ص ١٢٣ ، ١٢٤ ·

غير صحيحة ، وما كان هو فى الواقع غير تكأة لكل من يحاول أن يزيف حديثا ـ ويتساءل الدكتور بدوى اذا كان هذا فى الأحاديث التى نعرف روايتها . فبالأحرى يكون الأمر بالنسبة الى الرواة الذين نقل عنهم المؤرخون، وكل المؤرخين تقريبا قد اعتمدوا على رواة مجهولين (١) .

ولعل التساؤلات التى تفرض نفسها على الباحث نتيجة تحليله النصوص التى تحت يديه هى :

١ ـ ما الوضع لو أن حادثا تاريخيا لم يتعرض له الا مصدر واحد أو كاتب واحد ، أو كان لدينا مخطوط وحيد (Codex Unicas)

٢ ـ ما الوضع فى حالة تعارض الأصول والمصادر ، وتناقض الروايات بشأن حادث تاريخى معين ؟

٣ ـ وما الوضع فى حالة اذا أجمعت أصول متعددة على رأى معين ووجد مصدر يقول برأى مخالف ؟

٤ ـ ما الوضع فى حالة تعارض ما ذكرته الأصول التاريخية مع حقائق تاريخية معروفة ، أو اذا كانت الأحداث المذكورة لا ترابط ولا تآلف بينها ؟

وقد تعرض لهذه التساؤلات كل من Langlois et Seignobos (٢) كما تعرض لها Fling (٣)

وكذلك دكتور أسد رستم ـ وخلاصة ما ذهبوا اليه هو :

١ ـ يجب أن يبتعد المؤرخ كل الابتعاد عن الروايات والآراء التى ينفرد بها راو واحد .

ويذكر د . أسد رستم انه اذا كانت العلوم الطبيعية التى تستند على

---

(١) بدوى ، عبد الرحمن : مرجع سابق ص ٢١٦ .

(٢) Langlois and Seignobos: Op. Cit., p. I'9.

(٣) Fling: Op. Cit., p.p. 114-117.

المشاهدة والاستدلال القياسى ، والتحقيق بالمقابلة والتجربة تبتعد كل الابتعاد عن الاطلاق فى النتيجة عن مشاهدة واحدة ، فالتاريخ أولى بذلك منها لأنه بعيد عن المشاهدة ، ولا يمكن الاستدلال عليه بالقياس أو التجربة (١) ٠

٢ ــ فى حالة تعارض المصادر ــ ليس من عمل المؤرخ أن يوفق بين الأخبار المتعارضة باتخاذ موقف وسط بينها ــ فقد يكون أحدها صحيحا والآخر خطأ ٠

ولذا فعمل الباحث هو السعى للوصول للرأى الصحيح الذى لا يقبل الشك ٠

لكن اذا لم يستطع ذلك فليس هناك ما يضطره لاصدار حكمه « فالعالم من يعلم أنه لا يعلم » ٠

وعلى الباحث أن يذكر صراحة انه لم يستطع فى حدود المادة المتاحة له ترجيح رأى على آخر ٠

٣ ــ من الجائز أن الرأى الذى لم يجمع عليه عدد من الآراء التى كررتها أصول متعدده هو الصواب ، فلا عبرة بالعدد فى بعض المسائل التاريخية ، ومن المحتمل أن الرأى المكرر راجع للنقل من مرجع واحد لم يتحر الدقة ٠

٤ ــ والباحث ليس ملزما بالأخذ بآراء أجمعت المصادر عليها اذا كانت متعارضة مع حقائق تاريخية معروفة أو اذا كانت الأحداث المذكورة ينقصها الانسجام والتآلف اللازمين بين الحقائق التاريخية ٠

فالباحث يجب أن يلاحظ العلاقة والارتباط والتآلف بين الأحداث المختلفة فهو ملزم بذلك ــ على الأقل ــ حين يبدأ فى الكتابة والربط بين الأحداث ٠

٥ ــ النتائج التى يصل اليها الباحث يجب أن تكون مطمئنة وقائمة على أساس سليم من الاستدلال ، والمماثلة أو ما قد نطلق عليه القياس النظيرى أو الاستقراء ٠

---

(١) زستم ، أسد : مرجع سابق ص ٨٢ ٠

٦ ـ وينصح ماس ، بول الباحث عند دراسته التفصيلية للنص أن يقسمه الى فقرات ، ويلتزم بوضع علامات الترقيم وما الى ذلك، وان النص فى صيغته النهائية يجب أن يكون بشكل يوضح فيه الفصل بين الكلمات ، والفقرات ، وتوضع علامات الترقيم ، وتبدأ أول كلمة فى الجملة بحروف كبيرة (فى اللغات الأجنبية بالطبع) ··· الخ · بحيث يسهل قراءته وفهمه وتفسيره ـ ويعبر عن هذا (بالنشر النقدى) (١) ·

وهكذا يبدو لنا بوضوح أن الباحث وراء الحقيقة التاريخية عليه أن يبذل للوصول اليها كل جهد ووسيلة ، وأن عليه أن يبدأ بالشك حتى يصل الى اليقين ، وان يتحقق أن الأصل الذى سيعتمد عليه صحيح وليس مزيفا، والوصول لذلك لا بد من البحث عن الظروف التى ربما أثرت فى انتـــــاج الوثيقة ، من حيث العصر الذى كتبت فيه ، والمكان ، والظروف المحيطة بالمؤلف والمؤثرات التى قد تؤثر عليه مثل الوطن أو الحزب أو الشيعة أو الأسرة أو المصالح كذلك مواهب المؤلف ، والاستعمالات اللغوية المعتادة فى ذلك العصر، وكيفية نقل الوقائع والشكل الذى تمت به عملية النقل ·

كل هذه المعلومات يمكن أن نصل اليها عن طريق ثبت من الأسئلة · واذا تم ذلك يمكن أن نقوم بتحليل الوثيقة ومحاولة فهم المعانى التى يريد واضعها أن يعبر عنها ·

وبهذا نصل الى أن يكون عمل الباحث قائما على أساس سليم ، وتكون النتائج التى يصل اليها مطمئنة ·

ويذهب أنجلو وسينوبوس الى أن الواقعة (القول التاريخى) حتى اذا ثبت صحتها بعد كل هذه المحاولات فهى ليست الا ملاحظة تحتاج لتأييدها الى ملاحظات أخرى ـ فالوقائع العلمية هى النقاط التى تجمع عليها ملاحظات مختلفة ومتقدمة وهذا ما يطلق عليه عملية (مقارنة الأقوال) (٢) ·

وهكذا تمر الوثيقة التاريخية فى طريق شاق طويل حتى يستطيع الباحث أن يبنى عليها تصوره للأحداث التاريخية ·

---

(١) ماس ، بول : مرجع سابق ص ٢٧٨ ·

(١) انجلو وسينوبوس : مرجع سابق ص ١٥٤ ·

الفصل التاسع

ترتيب المادة التاريخية المجموعة

(كيفية الاستفادة منها)

مباحث هذا الفصل :

أولا ـ الاستفادة من المادة التى جمعها الباحث (العمليات التركيبية) :

— بناء النسيج التاريخى المتجانس من المادة الخام المجموعة (الربط بين المعلومات والآراء المتعددة) ·
— تعديل المشروع الأولى للبحث فى ضوء المادة المجموعة ·
— تنظيم الحقائق التاريخية حسب قواعد محددة ·
مراعاة التسلسل التاريخى ـ والترابط بين الأحداث والموضوعات ·
— المقارنة بين الأحداث المتشابهة ·

ثانيا ـ الاجتهاد وحدوده :

— دواعى الاجتهاد ·
— الاجتهاد السلبى ـ مثال لذلك ·
— الاجتهاد الايجابى ـ قواعده وحدوده ·

ثالثا : التعليل والتحليل والايضاح :

— أهميته ، ودلالته على شخصية الباحث وقدرته على ربط النتــــائج بمسبباتها ·
— العوامل التى تساعد على الوصول للعلل والأسباب الصحيحة :
الدراسة المقارنة ـ الالمام بالظروف المحيطة بالحادث ـ تفهم التغيرات فى المجتمع الذى ندرسه ·
— هل يعيد التاريخ نفسه ؟

بعد أن جمع الباحث مادته العلمية من كافة المصادر والمراجع - يجد نفسه وقد تجمعت لديه كميات كبيرة من المعلومات المتناثرة - يسأل نفسه :

كيف استفيد من كل هذه المعلومات ؟

وفى نفس الوقت يشعر الباحث انه رغم ما جمعه من مادة - أمامه بعض الثغرات التى لم يستطع سدها عن طريق المادة التى جمعها من المصادر والمراجع - وهنا يتساءل أيضا :

هل يسكت عن هذه الأحداث عملا بقول علماء المنطق « السكوت حجة » أم يجتهد ويحاول استنتاج الحقائق الناقصة فى ضوء المعروف - وما الذى يجب أن يراعيه فى هذه الحالة ؟

وسؤال آخر يفرض نفسه على الباحث فى هذه المرحلة هو : هل يثبت الحقائق كما وصلت اليه من مصادرها أم أن عليه أن يحاول أن يستنتج الأسباب والعلل لما خفيت ؟

وهل هناك شروط يجب مراعاتها أيضا فى هذا التعليل والايضاح ؟

ونبدأ بالرد على هذه الاستفسارات .

اولا - الاستفادة من المعلومات التى جمعها الباحث (العمليات التركيبية) :

عملية بناء النسيج التاريخى من المادة الخام (الأصلية) التى تجمعت تحت يد الباحث من أهم وأدق العمليات ، وتظهر فيها مهارة الباحث وقدرته .

فالمؤرخ - على حد تعبير رنكة (Ranke) - المؤرخ الألمانى العظيم فى القرن التاسع عشر - عليه أن يستعيد - فى ضوء المعلومات التى تجمعت لديه - الوقائع التاريخية كما كانت عليه بالفعل فى الماضى ، وكانه عاينها بنفسه ، فهو مطالب بأن يحيا فى داخل الأحداث الماضية ، كما أن عليه ان يؤلف من الملامح المتناثرة فى الوثائق صورا متكاملة ، هذا بالاضافة الى

القدرة على التعليل والايضاح ، واصدار الأحكام السليمة بالمقارنة بين الحقائق التى تجمعت حول مواضيعه المختلفة (١) ٠

ومهمة الباحث هنا تشبه مهمة المهندس الذى توفرت لديه المواد الخام، وعليه أن ينسق فيما بينها ، مراعيا الشروط القانونية والهندسية للبناء ، وفى نفس الوقت مستخدما أسلوبه الفنى ومهارته فى حسن العرض والتنسيق ٠

ورغم أن الباحث - كما ذكرنا فى البداية - قد وضع خطة أولية للبحث تتضمن أقسام البحث والمواضيع والمشكلات الهامة التى ينوى تناولها - لكن لا بد أن تتسم هذه الخطة بالمرونة المتناهية - فتعدل وتبدل حسب ما اسفرت عنه نتائج الجهد المضنى الذى بذل فى جمع المادة العلمية ونقدها وتحليلها ، فقد تستجد مشكلات جديدة ، ومواضيع جديدة بالبحث ، وقد يستغنى عن أشياء بدت لأول وهلة مهمة لكن ثبت عدم أهميتها للبحث ، وقد تعدل أقسام البحث بالتقديم أو التأخير أو الحذف أو الاضافة ٠

وللاستفادة من المعلومات والآراء المجموعة على أحسن وجه يجب على الباحث مراعاة ما يلى :

١ - **الربط والتأليف بين المعلومات المتعددة** : فالبحث التاريخى - كما أسلفنا القول - وحدة متكاملة متجانسة لا نشاذ فيها ٠ والبحث يجب أن يظهر من أوله لآخره كبناء واحد متماسك وهذا يحتاج لمهارة الباحث وقدرته على حبك خيوط هذا النسيج المكون من العديد من الخيوط التى جمعت من مصادر ومراجع متعددة ومتناثرة ، والباحث الذى يعيش الأحداث التى يعالجها ويعايشها قادر على أن يخرج من كل الدراسات التى يقوم بهـــا بموضوع متكامل :

٢ - **الانتقاء او المفاضلة بين الحقائق** : لكى يتم هذا التنـــاسق بين الأحداث ، ولكى يكون الموضوع متكاملا يجد الباحث أنه مضطر للاستغناء عن بعض الحقائق التى تجمعت لديه - لأنها لا تمس جوهر الموضوع أو لأن وجودها ضمن العرض النهائى للبحث يتعارض مع الصورة الكاملة والوحدة التى تحدثنا عنها ٠

---

(١) بدوى ، عبد الرحمن : مرجع سابق ، صص ٢١٩ ، ٢٢٠ ٠

فلا مفر أمام الباحث من الاستمساك ببعض الحقائق ، وصرف النظر عن البعض الآخر ـ وهذا الأمر يتم وفق خطة معينة فى الانتقاء وليس بطريقة عشوائية وكما يقولون « اختيار المرء رائد عقله » ٠

ومن الباحثين من يصعب عليه ترك بعض ما جمعه من مادة وشقى فى جمعه ـ وهذا هو السبب فى أننا نجد فى بعض البحوث التاريخية تفاصيل لا مبرر لها ، وقد لا تكون وثيقة الصلة بموضوع البحث ، ولا تساير الخط السليم الذى يسير عليه ـ ويعتذر أغلب الباحثين حين يواجهوا بهذا النقد بأنهم لم يريدوا اهمال هذا الجزء من المعلومات التى وصلوا اليها بشق الأنفس ٠ وهذا عذر غير مقبول ـ فالقدرة على الانتقاء والمفاضلة صفة مهمة فى الباحث التاريخى ٠

وهناك مجالات أخرى أمام الباحث لنشر أمثال هذه الحقائق والتعليق عليها ٠٠٠ الخ ٠ فى المجالات العلمية أو غيرها دون أن يحمل البحث ما لا يجب أن يتحمله ٠

وبعض الأبحاث المقدمة لجامعاتنا لنيل درجة الماجستير أو الدكتوراة يمكن إختصار صفحاتها الى النصف مثلا دون المساس بجوهر الموضـــــوع والبحث ، بل العكس يشبه هذا الاختصار ـ كما ذكر أحد أعضاء لجنة مناقشة رسالة جامعية ـ تخليص الجسم من ورم سرطانى كان عالة عليه ٠

وبعض الحقائق التاريخية التى تذكر فى غضون البحث تمثل عقبة فى سبيل التسلسل اللازم فى الأفكار والأحداث ، وقد يكون العــــلاج السليم اما حذفها نهائيا أو الاشارة للحقيقة فى هامش الصفحة ـ وقد لا يستلزم الأمر أكثر من اشارة بسيطة ونرجع القارىء للمزيد من التفاصيل فى مرجع أو مصدر معين أو مجموعة مراجع أو مصادر عالجت هذه النقطة الفرعية ـ وسنشير لهذا عند التعرض لأهمية الحاشية واستخداماتها المختلفة ٠

٣ ـ أسس تنظيم الحقائق التاريخية وتنسيقها :

يقوم الباحث بتنظيم الحقائق التاريخية وتنسيقها فى مجموعات وأقسام، وتركيزها فى صيغ Formules ابتغاء استخلاص خصائصها العـــامة

والروابط القائمة بينها ٠ ويتم ذلك بالطبع حسب أسس وقواعد معينة ٠

وكانت الحقائق التاريخية فى الماضى تنظم حسب تسلسلها الزمنى ، فكان ينظر الى كل حقيقة من حيث وقوعها فى زمن محدود وتعلقها بشخص معين٠ وجاء وقت رتبت الأحداث فيه متصلة على حسب السنوات (الحوليات) ٠

لكن لم تعد هذه وسيلة مناسبة لتنظيم الحقائق التاريخية اليوم ـ الا اذا كان الكاتب يكتب قصة كسائر القصص وأبطالها هم أنفسهم فى كل زمان ومكان٠٠ والتاريخ ـ كما ذكرنا من قبل ـ ليس مجرد ضم حقائق بعضها الى بعض ، فلا بد للمؤرخ من النظر فى الأسباب والمسببات وتوضيح العلاقات التى تربط الحقائق بما حدث قبلها بهدف استخلاص خصائصها العامة كما ذكرنا سابقا ٠

والقاعدة العامة هى اختيار الحقائق المتعلقة بنوع واحد من الأحداث وضمها مع بعضها فى قسم واحد ٠ أى تنظيم الحقائق بموجب محتوياتهـا وبالطبع لا يعنى تنظيمنـا للحقـائق حسب مضمونهـا أننا نحيـد عن اتباع التسلسل الزمنى اللازم لتوضيح تطور الحقائق موضوع الدرس ـ لكن التنسيق نراعى فيه الأساس الزمنى ، ثم الموضوعى ـ فيما يتعلق بالادارة أو السياسة أو القضاء ٠٠ الخ ٠ يضم لبعضه وفى نفس الوقت داخل القسم الواحد تنظم الوثائق والأحداث على أساس الترتيب الزمنى ٠

ويتيح هذا فرصة للباحث لمقارنة ما كتبه أحد المؤرخين بما كتبه مؤرخ آخر ٠

كما أن ذلك يمنع تكرار حقيقة من الحقائق التاريخية فى أكثر من موضع فى البحث ٠

ونظام البطاقات (الجذاذات ـ الفيش Fiches) ييسر عمليـة جمـع المادة التى تخص موضوعا معينا مع بعضها وتنظيمها وتنسيقها وترتيبهـا ونقلها من مكان لآخر فى يسر ٠

وعادة بعد جمع البطاقات (الجذاذات) المتعلقة بموضوع واحد أو حادثة معينة (فن ، دين ، حياة خاصة ، نظم سياسية) ـ يعاد ترتيبها فيما

بينها بحيث أن البطاقات التى تشمل المادة الأكثر أهمية حسب مصدرها ، والأكثر وفاء من غيرها يبدأ بها ، وتليها الأقل أهمية وهكذا ٠

وقد يفضل الباحث أن يرقم بعد ذلك بطاقات كل فصل أو المتعلقة بموضوع معين فيما بينها (بالقلم الرصاص) ليسهل تعديلها ان احتاج الأمر :

ويجب أن ندرك أن هذه التقسيمات لا تكون مستقلة بعضها عن بعض تمام الاستقلال ، بل بالعكس فان من أهم مظاهر البحث الناجح فى النهاية الترابط التام بين أجزائه بحيث يؤدى كل فى يسر ودون افتعال لما بعده ، وبحيث نصل فى النهاية الى سلسلة مترابطة من الأحداث - والا ظهر البحث مهلهلا وممزقا ولا يخرج عن كونه عدة موضوعات لا تناسق بينها ولا ترابط ٠

واشير الى أن لكل باحث حقه فى أن يخلق لنفسه العادات وانماط السلوك التى تلائمه فى البحث - لكن كما قال أرنست رينان (E. Renan) « ان هذه الترتيبات الشخصية هى نصف العمل العلمى » (١) ٠

ثانيا - الاجتهاد وحدوده : (٢)

قد لا يجد الباحث فى الأصول التاريخية ما يسد كل الثغرات فى موضوع بحثه ، فتبقى قضايا معلقة دون أن يجد من المصادر ما يجعله يبت فيها برأى مستندا لهذه المصادر ٠

وهذا شىء عادى فقد يجد الباحث فى ناحية من النواحى مادة علمية غزيرة موثقة من اكثر من مصدر بينما تسكت المصادر عن حوادث هامة لا يمكن أن يهملها الباحث - ولذا فهو يسعى لملء هذه الفجوات عن طريق الاجتهاد مستندا الى الأمور الأخرى المرتبطة بالحادث والتى تتناولها المصادر ٠

وفى هذا يقول انجلو وسينوبوس « ان الوقائع التاريخية التى تقدمها

---

(١) انجلو وسينوبوس : مرجع سابق ص ٨٠ ٠

(٢) اللفظ بل التعبير كله مأخوذ من علماء الحديث والتفسير ٠

لنا الوثائق لا تكفى ابدا لملأ الاطارات ملأ تاما ، وهى لا تقدم أجوبة مباشرة عن كثير من المسائل ، ولهذا تنقص ملامح كثيرة لتاليف لوحة كاملة لأحوال المجتمع والتطورات والأحداث ـ ونشعر بالحاجة الملحة الى ملأ هذه الفجوات » (١) •

والاجتهاد اما سلبى بأن يقرر الباحث انه قلب الأمر من جميع جوانبه، وبذل قصارى جهده ، واطلع على جميع الأصول المتاحة ـ فلم يجد اى ذكر فيها للأمر الهام الذى يريد الوصول لحقيقة حدوثه من عدمه ـ وبناء على هذا يلتزم بقول المناطقة «ان السكوت حجة» ويعبر عنها (بحجة الصمت) (٢)

ومن قبيل ذلك مثلا قضية تخلى المتوكل على الله آخر خلفاء العباسيين عن حقوقه فى الخلافة للسلطان سليم العثمانى ـ وقد اثيرت هذه القضية وما زالت مثارة •

وقد سكتت المصادر التاريخية المعاصرة عن ذكر هذه الحادثة فلم يشر اليها مثلا ابن أياس بشىء (٣) •

كما ان الأوراق الرسمية ، والخطابات المتبادلة بين السلاطين العثمانيين (السلطان سليم وابنه سليمان) ـ لم تشر اليها ، كذلك نقوش ذلك العهد والعملة التى ترجع لعهدى السلطان سليم والسلطان سليمان القانونى لم تشر الى أن السلطان العثمانى اتخذ لقب (أمير المؤمنين) •

وعلى هذا الأساس يذهب بعض المؤرخين الى أن هذه أدلة قاطعة بعدم حدوث هذا الأمر •

لكن الدكتور أسد رستم ـ رغم هذا ـ فقد انتهى اجتهاده فى هذا الأمر الى أنه رغم سكوت هذه المصادر كلها عن ذكر واقعة التنازل هذه ـ فهو لا يستطيع أن يجزم بها لسببين :

---

(١) انجلو وسينوبوس : مرجع سابق ص ١٩٩ •

(٢) انجلو وسينوبوس : مرجع سابق ص ٢٠٠ •

(٣) ابن اياس ، محمد بن أحمد : بدائع الزهور فى وقائع الدهور •

١ _ لا يستطيع الجزم _ بان المصادر التى رجع اليهـــا هى جميع المصادر الموجودة التى ترجع لهذا العصر ٠

٢ _ هناك احتمال أن هذا الحادث قد ذكره أصل أو اكثر وفقدت بعد ذلك هذه الأصول ٠

وهذا يعطينا مثلا للحذر والدقة التى يجب أن يتحلى بهما الباحث فى مثل هذه الأحوال فلا يتسرع فى الحكم ، فليس انعـــدام كل الوثائق التى تحت أيدينا يعد الفيصل (١) ٠

أما **الاجتهاد الايجابى** _ فيعنى أن الباحث يستنتج حقيقة لم ترد فى النصوص التاريخية التى تحت يديه لكنه يبنى استنتاجه على حوادث أخرى مماثلة _ أو ما يمكن أن نطلق عليه (نظرية التماثل) ٠

وهذا النوع من الاستنتاج أو الاجتهاد الايجابى بالطبع يخضع ايضـا لقواعد وحدود ٠

فاجتهاد الباحث هذا يجب أن يكون قائما على أساس مبـــادىء عامة منطقية مستمدة من حوادث التاريخ المتعددة ٠ وتكون القضية موضـــوع الاجتهاد والاستنتاج جزء من قاعدة عامة معترف بصحتها ٠

فهو يقيس امرا لم تتعرض له وثائقه ونصوصه بأمور اخرى مشابهة حدثت فى نفس الظروف والملابسة _ فى هذا الوضع لدينا قضيتان : الأولى عامة ، والثانية خاصة ٠ من أمثلة ذلك أن نجد مثلا مدينة تحمل اسمافينيقيا لكن المصادر التى تحت أيدينا لا تذكرها ضمن المدن التى انشأتها الفينيقيون وسكنوها مع أن القاعدة العامة هى أن الفينيقيين حين كان يتجمع عدد كاف منهم فى مكان وينشئون مدينة يطلقون عليها اسما فينيقيا ٠

فى ضوء هذه الحقيقية العامة الكلية الصحيحة يمكن أن أصدر حكمى

---

(١) كثيرون من العلماء العرب وغيرهم _ اذا لم يستطيعوا الوصول الى رأى قاطع فى أمر من الامور قالوا (لا ندرى) ٠ وقد ذهب بعضهم الى أن القول (لا أدرى) هو نصف المعرفة ٠

انظر الجاحظ : البيان والتبيين (القاهرة ١٣٥) جـ ١ ص ٢٠٤ ٠

بأن المدينة ذات الاسم الفينيقى ـ على الرغم من أن مصادرى لم تذكرها ضمن المدن الفينيقية ـ هى مدينة فينيقية انشاها الفينيقيون واستوطنوها (١)٠
والبعض يطلق على هذه العملية قياس النظير (analagie) (٢)

وهى تشبه ما يطلق عليه علماء المسلمين (الاستنباط بالقياس) (٣) ٠

ومع ذلك فهذا النوع من الاستنتاج يحتاج لحذر شـــديد ، ويجب الا يصدر عن الباحث الا عن روية ووعى ، وبعد أن يبحث ويبحث وتعيــه الحيل ٠ وعلى كل هذه النتائج الصادرة عن هذا النوع من الاجتهاد لا ترقى بحال ما لصف الحقائق التاريخية الثابتة بالوثائق والمصادر ، ويجب على الباحث أن يدرك هذا وأن يشير اليه فى بحثه بوضوح وجلاء ، فيبين الجهود التى بذلها للبحث فى المصادر والمراجع للوصول لهذه الحقيقة دون جدوى ٠

ويمكن أن يوضح هذا بتفصيل فى هامش الصفحة ـ فلا ينبغى أن يدع القارىء يفهم أننا وصلنا الى هذه الحقائق أو الاستنتاجات من الوثائق ، لكن ينبغى أن يتنبه الى حقيقة الوسيلة التى حصلنا بها على هذه الواقعة (٤) ٠

ثالثا ـ التعليق والتحليل والايضاح :

لا تقف مهمة الباحث التاريخى عند الوصول الى الحقائق التاريخيــة ليقدمها لنا صحيحة ودقيقة مؤيدة بالمصادر التى تثبت سلامتها ـ لكنه مطالب أيضا أن يحاول بقدر الامكان معرفة الأسباب والعلل التى أدت الى حدوث الوقائع التاريخية ٠

والحاجة الى الارتفاع فوق مجرد مشاهدة الوقائع من أجل تفسيرها وتعليل أسبابها ـ هى حاجة أساسية فى كل العلوم ٠

---

(١) نلاحظ أن القضية الخاصة بأن اسم المدينة يدل على أصلها ليست صحيحة دائما فاسم (بطرسبرج) اسم ألمانى ، و (سيراكوز) فى أمريكا اسم يونانى ـ ولهذا يلزم الاحتياط ، وضرورة توفر شروط أخرى مرجحة لاستنتاج أن الاسم مرتبط بقومية المؤسسين ٠

(٢) ماس ، بول : مرجع سابق ص ٢٤٨ ٠

(٣) ياقوت ، معجم البلدان جـ ١ ص ٤٧ ٠

(٤) انجلو وسينوبس : مرجع سابق ص ١٩٩ ٠

والتاريخ ليس علما من علوم الملاحظة بل هو « علم برهنة » أيضا ٠

ولما كان التاريخ علم يخضع لمنهج العلمى فى البحث فالأسباب والعلل التى يقدمها الباحث يجب أن تكون منطقية مقنعة متمشية مع كافة الظروف المحيطة بالأحداث ٠

والحقيقة أن هذا الدور من أدوار البحث العلمى يعطى فكرة عن شخصية الباحث وقدرته على التحليل وعلى ربط النتائج بمسبباتها ٠

وبالطبع هناك أشياء تساعد الباحث على الوصول للعلل والأسباب السليمة الصحيحة ، منها مثلا (الدراسة المقارنة) ٠

وان كانت أحداث التاريخ لا تتشابه كلها فى الظروف المحيطة بها ـ لكن مثل هذه الدراسة تساعد على الوصول الى الأسباب الحقيقية للحوادث ٠ والالمام بكافة الظروف المحيطة بالحادث يساعد على الوصول للعلل السليمة ٠ ان الباحث عليه أن يلم بكل المتغيرات فى المجتمع الذى يدرس تاريخه وأن يسأل نفسه دائما عن تاثيرها وما يترتب عليها من نتائج ٠

وعلى الباحث أن يسأل نفسه عدة أسئلة لعلها تصل به الى العلل المنطقية للأحداث منها :

لماذا حدث هذا ؟

هل هناك سوابق مماثلة ؟

لو تغير الأشخاص الذين تدور حولهم الأحداث هل كانت النتيجة تتغير ؟

اذا حدث تغير ما فى المجتمع هل تتغير النتيجة ؟

ما أكثر العوامل فاعلية ـ فى الوصول للنتيجة التى اسفرت عنها الأمور ؟

فمثلا اذا كان الأمر يتعلق بموقعة حربية نسأل أنفسنا عن دور القادة ، والجنود . وحالتهم المعنوية والعددية وأسلحتهم ومدى فاعليتها ، والخطط

العسكرية ، والمكان الذى حدثت فيه المعركة ، والأحوال المناخية ، وغير ذلك من العوامل التى يعترف رجال الحرب انها تؤثر فى نتائج المعارك ٠

ولعلنا لو سألنا انفسنا هذا السؤال : لو حدث أن ثبتت جميع العوامل وحدث تغير فى عامل واحد منها تكون نفس النتيجة ؟ وهكذا نصل عن طريق مثل هذه الأسئلة الى العلل والأسباب السليمة للأحداث ٠

لقد أثار البعض فى هذه المناسبة التساؤل القديم ـ هل يعيد التاريخ نفسه ؟

ان التاريخ لا يعيد نفسه ـ لكن الأسباب ذاتها لو تكررت فى نفس الظروف تماما لكانت النتيجة غالبا واحدة ٠ وعلى أساس هذا المنطق العلمى تبنى فلسفة التاريخ باعتباره علم يخضع الى حد كبير أو بالأصح يمكن أن تخضع حقائقه للعقل والمنطق ٠

ويمكن أن نجد لأحداثه عللا أو أسبابا منطقية طالما أننا توصلنا لكافة الظروف المحيطة بهذه الأحداث ٠

« ان الباحث يجب أن ينتهى به الأمر الى ذلك التفكير المنطقى الذى يلاحظ ويجرب ، ويحلل ويركب ، ويصفف ويعمم ، ويبرهن ويحلل ٠٠٠ » (١)

« فالمؤرخ يعنى كل العناية بالوقائع يجمعها ويفحصها ، ويناقشها ويحللها ، ويستخلص منها ما يستخلص من نتائج وأحكام ٠٠ وعندما تغزر المادة أمامه يختار منها ما يرى ، واختيار المرء رائد عقله » (٢) ٠

وهكذا بعد أن ينتهى الباحث من جمع كل مادته من المصادر ، والمراجع المختلفة ويجرى عليها ما سبق توضيحه من عمليات التحقيق والترتيب والتحليل والتنظيم والتعليل الى غير ذلك مما سبق توضيحه ٠٠ يستطيع ان يخطو الخطوة الحاسمة الأخيرة وهى مرحلة كتابة البحث ٠

---

(١) من مقدمة د ٠ مدكور ، ابراهيم بيومى ٠ لكتاب سارتون ، جورج : تاريخ العلم (ترجمة لفيف من العلماء باشراف د ٠ مدكور ، د ٠ كامل حسين ، د ٠ قسطنطين رزيق ، د٠ مصطفى زيادة ـ المعارف ١٩٥٧) ٠

(٢) المرجع السابق ص ٨ ٠

الفصـــل العــاشر

كتــابة البحث

(العــرض)

مباحث هذا الفصل :

أولا ـ أقسام البحث (فصوله) :

- البحث وحدة متكاملة ·
- المقدمة وما تتناوله ·
- الفصل التمهيدى واختلافه عن المقدمة ·
- عنوان الفصل ·
- مباحث الفصل وقيمة ذكرها فى بداية الفصل ·

ثانيا ـ الأسلوب وطريقة العرض :

- سلامة الأسلوب وسهولته ، وسلامة اللغة ·
- الأمانة العلمية ·
- الاقتباس من الأصول والمراجع ونقدها ·
- الأعلام الأجنبية ·

ثالثا ـ الهوامش :

الاستخدامات المختلفة لها ·

رابعا ـ خاتمة البحث :

اختلافها عن المقدمة والتمهيد ·

خامسا ـ ملاحق البحث :

— الوثائق غير المنشورة ، والمنشورة ٠

— الخرائط ٠

— دراسة لشخصيات واردة فى البحث ٠

— بيانات أخرى يرى الباحث الحاقها بالبحث ٠

سادسا ـ مكتبة البحث :

— أقسامها ومحتوياتها ٠

— ما يراعى فى تنظيم كل قسم منها ٠

سابعا ـ فهرس البحث :

مكانه ـ مشتملاته التفصيلية وقيمته ٠

ثامنا ـ ملخص البحث :

لغته ـ عدد صفحاته ـ مشتملاته ٠

يحتاج الباحث فى هذه المرحلة – مرحلة عرض موضوعه بالطريقة العلمية السليمة أن يلم بعدة نواح :

١ – اقسام البحث (فصوله) ·
٢ – الأسلوب السليم الذى تعرض به المادة العلمية ·
٣ – الهوامش والاستخدام السليم لها ·
٤ – خاتمة البحث وما يجب أن تشتمل عليه ·
٥ – الملاحق ·
٦ – مكتبة البحث ·
٧ – فهرس الأعلام ·
٨ – الفهرس العام ومشتملاته وقيمته ·
٩ – الملخص ·

وسنوضح فيما يلى ما يجب على الباحث مراعاته فى كل من هذه الأمور ·

أولا – اقسام البحث (فصوله) :

البحث يجب أن يكون فى صورته النهائية وحدة متكاملة متناسقة لا نشباذ فيها ·

ويبدأ البحث بمقدمة – يشرح فيها الباحث دوافع اختياره لموضوع البحث ، ولماذا شعر أن هذا الموضوع جدير بالبحث ، كما يعطى فكرة عن المصادر التى رجع اليها وأماكنها والمراجع التى جمع منها مادته العلمية والقضايا الهامة التى استطاع عن طريق المصادر او المراجع معالجتها ، والنقاط التى لم يجد فى المصادر ما يشفى الغليل عنها ، وكيف تغلب على هذه العقبة ·

كذلك قد يعطى فكرة عن الفصول التى قسم البحث اليها – وقد يختم المقدمة بشكر الذين عاونوه خاصة من لا تلزمهم وظائفهم بذلك لكنهم قاموا بهذا العمل خدمة للبحث العلمى ·

كل ذلك فى ايجاز بقدر الامكان ، وفى أسلوب علمى بعيد عن المبالغة. ولا محاولة الاسراف فى اظهار الجهد بأنه جهد فريد لم يأت بمثله الغير .

فالمفروض أن يترك الباحث للغير مهمة تقدير جهده — ولكنه يقدم عمله باتزان وبطريقة تدل على شخصية متكاملة تتحلى بكل صفات الباحث .

ويحسن أن يتخير الباحث من الألفاظ ما ينم عن صفة التواضع العلمى .. فلا يكثر من الاشارة لنفسه — ويكفى مثلا أن يقول : وقد قام الباحث بكذا .. وكذا بدلا من تكرار ضمير المتكلم . وليس أجمل من أن يشيد بفضل الآخرين عليه قبل أن يشيد بما قام به هو فهذا سيرفع من قدره فى نظر الآخرين . والمقدمة على كل حال يجب الا تتجاوز بضعة صفحات .

ولأن المقدمة هى عرض لأهمية البحث وللمشكلات التى واجهت الباحث، وكذلك لموضوعات البحث فمن الأفضل أن تعاد صياغتها بعد الانتهاء من البحث . ليجرى عليها من التعديلات ما يتناسب وما انتهى اليه البحث .

أما البحث ذاته فرغم أنه يعرض فى شكل فصول متعددة فقد يبدأ بفصل تمهيدى وينتهى بالخاتمة — لكنه يجب أن يمثل كله فى النهاية هيكلا متكاملا بحيث أن كل فصل من فصوله يؤدى بيسر وبتسلسل منطقى للفصل التالى . والبحث الناجح يستطيع القارىء أن يتابع فصوله فى انسجام تام ، فالفصول ما هى الا حلقات فى سلسلة واحدة كلها مترابطة تؤدى كل حلقة لما بعدها وهكذا ، والكل فى النهاية يتناول موضوعا واحدا هو موضوع البحث .

وأى خلل فى هذا التسلسل يدل على عدم التخطيط السليم للبحث .

وبالطبع يختلف هذا التقسيم لفصول حسب طبيعة البحث .

وكما سبق أن ذكرنا ان الباحث يضع تصميما مبدئيا لهذا التقسيم لكنه يجرى عليه من التعديل والتبديل بالحذف والاضافة أو ضم فصل الى آخر أو نقل قضية الى مكانها الطبيعى ، كل ذلك فى ضوء ما يسفر عنه الوضع من خلال المصادر والمراجع والمادة العلمية التى حصل عليها الباحث.

هذا كله يتم في حدود الوحدة الكاملة والفترة الزمنية التي حددها الباحث لبحثه ٠

وجدير بالذكر أن الفترة التي يتناولها البحث لا تحدد اعتباطا ٠ فالبحث يبدأ من نقطة محددة وينتهي عند نقطة أخرى يفرضها التسلسل التاريخي للأحداث والانتقال من مرحلة لأخرى ٠

والباحث قد يضطر أيضا في ضوء مصادره ومراجعه أن يراجع نفسه فيعدل من فترة البحث باتفاق مع استاذه المشرف ، ولا بد في هذه الحالة من أن تخطر الجهات الرسمية لاجراء التعديل في الفترة الزمنية المتعلقة بالبحث ٠

وعلى كل يجب أن يسأل الباحث نفسه لماذا حدد بحثه في هذه الفترة الزمنية ؟

ويجب أن يتوقع أن هذا السؤال ذاته سيوجه له وأن يكون مستعدا لرد مقنع عليه اذا وجه به ٠

وكل فصول البحث التاريخي يجب أن تكون في نطاق الفترة الزمنية المحددة للبحث ٠ وكما قلنا انها كلها حلقات في سلسلة واحدة تنتهي في النهاية الى موضوع البحث بمفهومه التاريخي والزمني داخل حدود الفترة التي ارتضاها الباحث وحدد نفسه بها في بحثه ٠

لكن قد يحس الباحث انه بحاجة لفصل تمهيدي يعرض فيه لأحداث سابقة لفترته الزمنية ، لكنها ضرورية للتمهيد لموضـــوعه في حدود فترته الزمنية ــ ولا بأس من ذلك ٠

وهذا الفصل التمهيدي يعتبر من فصول البحث ــ وهو بخلاف المقدمة ــ لكن يجب الا يوغل الباحث في هذا الفصل ــ في البعد عن الأحداث التي يتكلم عنها تاريخيا أو يذهب به الشطط الى معالجة أمور تسبق موضوع بحثه بقرون ــ وقد ينتهي به الأمر الى سرد معلومات عامة معـــروفة ، في حين أنه مطالب ــ كما ذكرنا من قبل ــ بأن يضيف جديدا في كل ما يكتب

اما عن طريق تنظيم جديد أو تعليل جديد أو تصحيح لأفكار متداولة أو غير ذلك على أساس وثائقه ومصادره .. الخ .

فلا يغيب عن الباحث ما ذكرناه من أن الفصل التمهيدى جزء من فصول بحثه ينطبق عليه كل الشروط الواجب توافرها فى كل فصل من فصول البحث أو فى كل ما يرد فى البحث من حيث الوحدة والتكامل والتجديد والاضافة والتهميش .. الخ .

وقد يعنى فى كثير من الأحيان أن يرجعنا الباحث فى المسائل السابقة لفترة البحث أو الخارجة عن نطاقه الى أبحاث أخرى أو مصادر أو مراجع ، ويكتفى هو بالمواضيع الهامة الوثيقة الصلة ببحثه والتى يستطيع فعلا أن يأتى فيها بجديد .

وكثيرون من الباحثين أخذ عليهم أن فصلا من الفصول سواء أكان الفصل التمهيدى أو غيره لم يأت الباحث فيه بجديد وأن الفصل كله يعتبر عبئا على البحث بحيث لو استبعد لا ينقص البحث شيئا .

هذا ولسنا بحاجة لأن نؤكد أن الباحث التاريخى فى كل ما يكتب يجب أن يلتزم بالترتيب الزمنى للأحداث . فلا يتحدث عن فترة زمنيـة ثم يعود لفترة سابقة وهكذا . فهذا تخبط غير مقبول ويدل على أن الباحث يفتقر للصفات الأساسية التى يجب أن تتوفر فى من يتعرض للكتابة التاريخية ، وبالطبع لكل فصل عنوانه الذى تدور حوله كل أبحاث الفصل .

ويحسن أن يكون العنوان قصيرا بقدر الامكان ، جامعا مانعا ـ كما نقول . ولا يجب بحال ما أن يبحث فى الفصل موضوع أو نقطة لا علاقة لها بعنوان الفصل .

ويحسن بالباحث أن يوضح فى بداية كل فصل من فصـــــول بحثه النقاط الهامة (المباحث) التى عالجها الفصل . فهذه تكون بمثابة مرآة يهتدى بها هو كما يهتدى بها القارىء لمشتملات الفصل ، وتساعد فى ادراك مدى الترابط بين النقاط التى يعالجها الفصل ، وتظهر للباحث نفســـــه

النقاط الشاذة التى لا تنسجم مع موضوع الفصل وعنوانه ، ومع باقى النقاط التى يعالجها ٠

ويحسن أن يفتتح الفصل ببضعة سطور تهيىء ذهن القارىء لما سوف يتناوله الفصل ، كما يصح أن ينتهى الفصل بفقرة تبين أهم ما وصلنا اليه من نتائج فى هذا الفصل ، وفى هذا تمهيد للفصل التالى ـ كما ذكرنا ـ سابقا ٠

والباحث الناجح تكون نهاية كل فصل من فصوله بداية طبيعية للفصل التالى دون افتعال ٠

ويحسن أن تكون فصول البحث متوازنة فى عدد صفحاتها ـ ولا يعنى هذا أن تكون عدد صفحاتها متساوية تماما فهذا غير مستطاع ـ لكن التخطيط السليم ، والتقسيم السوى للموضـــوع يؤدى عادة الى هذا التنـــاسق المرغوب فيه ٠

ثانيا ـ الأسلوب وطريقة العرض :

يجب أن يكون الباحث قادرا على عرض أفكاره والتعبير عن الآراء التى وصل اليها بأسلوب علمى سلس وسهل ، فى صيغ موجزة (Formules) وأفكار جلية مع السلامة اللغوية ٠

وقد صدق أنجلو وسينوبوس حين قالا « لا يكون المؤرخ كاملا من غير لغة جيدة » (١) ٠

وبهذا يبتعد الباحث عن استعمال الألفاظ الصعبة وعن المبالغات التى لا مبرر لها ، وعن التعقيـــد ٠ فجمله وتراكيبه تكون بسيطة غير معقدة ، ولا يحاول تقليد غيره ، فهو لا يكتب أبدا بأسلوب أدبى مثير ، وأســـوأ ما يؤخذ على الباحث أن تتعدد **الأخطاء اللغوية** بطريقة تؤثر على تقويم البحث ٠ وفى بعض الجامعات الأوربية يرفض البحث تماما اذا وضع بهذه

---

(١) انجلو وسينوبوس : مرجع سابق ص ٢٠٩ ٠

الوصمة ، فالذي لا يستطيع أن يعبر عن أفكاره بلغة سليمة وسهلة وبسيطة ودقيقة ليس جديرا بأمانة البحث العلمي ٠

وقد عبر عن ذلك الفيلسوف الفرنسي تين(H. Taine) بقوله « ان أسلوب المؤرخ يجب أن يتصف بالدقة المركزة والبساطة الأخاذة » (١) ٠

ويجب أن يتعود الباحث على التعبير السهل البسيط ، وأن يراجع ما كتبه للتأكد من سلامته من الناحية اللغوية ، وهو مسئول حتى عما شاع في أبحاثنا بما نطلق عليه تعبير (الأخطاء المطبعية) فتصحيحها مسئولية الباحث قبل تقديم بحثه ٠

والبعض يلجأ بعد تقديم البحث الى أن يلحقه بقـــــــائمة أو قوائم تصويبات ، وكثيرا ما يؤخذ هذه قرينة على كثرة ما في البحث من أخطاء، وعلى تسرع الباحث في تقديم عمله قبل أن ينتهي منه على الوجه الأمثل ٠

وبالاضافة الى الأسلوب واللغة هناك أمور هامة تراعى أثناء العرض التاريخي تعرضنا لبعضها فيما سبق لكن نجملها فيما يلي :

١ ـ الأمانة العلمية :

هي صفة مهمة من صفات الباحث ، وتتجلى في أن ينسب المعلومات التي يذكرها كلا الى مصدرها الصحيح الذي رجع اليه فعلا ، فلا يتجاهل مصدرا ، ولا ينسب لنفسه أشياء ليست من استنتاجاته أو جهده ٠

وبعض الباحثين يأخــذ مادة من مرجع من المراجع التاريخية لكنـه يشير في هامش بحثه الى المصدر الأصلي الذي أخذ منه هذا المرجع دون أن يجهد نفسه في الرجوع للأصل ٠

وهذا خطأ لذا انزلق اليه الباحث مرة وأخذ عليه اهتزت الثقة تماما في كل ما يكتب ٠ ولا يضير الباحث أن يشير في الهامش الى أنه لم يستطع الوصول للأصل لسبب أو لآخر ٠

---

(١) كاسيرر ، أرنست : مرجع سابق ص ٤٦ ٠

وسنوضح فيما بعد كيف يجب على الباحث أن يلتزم بالدقة المتناهية عند ذكر تاريخ الطبعة التى استخدمها من مرجع ما والصفحة ٠٠ الخ ٠

٢ ـ الاقتباس من الأصول والمراجع والنقد :

من المفروض أن يكتب البحث كله بلغة البـــاحث ، وأن يشير فى (الهامش) الى الأصول التاريخية التى تعرضت للواقعة موضوع البحث ـ لكن قد يجد الباحث من الضرورى أن يقتبس بضعة فقرات من هذه الأصول ، يستدل بها على حقيقة ما ويناقشها ٠ لكن ينصح الا تزيد الفقرة الواحدة المنقولة بالنص عن بضعة سطور ٠

وبالمثل فى حالة الاقتباســـات الحرفية من كتاب أو مرجع يحسن الا تتعدى الفقرة المنقولة ثلاثة أو أربعة سطور ٠ وهذه الأجزاء المنقـــولة توضع عادة بين شولات « » ٠

ويحسن عند ذكر آراء المؤرخين الآخرين سواء أكانت من المصادر الأصلية أو المراجع أن تناقش ، وتعقد مقارنات بينها وبين أقوال الآخرين ويبدى الباحث فى النهاية وجهة نظره ٠

ويحترم البـــاحث آراء الآخرين حتى اذا لم تتفق مع رأيه هو ، ولا يستخدم قط ألفاظا تنم عن الاستهانة بوجهة نظر الغير أو الاقلال من شأنهم أو عدم الاعتداد برأيهم ٠

فمن صفات الباحث ـ كما ذكرنا ـ التواضع واحترام رأى الغير وجهده وهذا لا يتعارض مع واجب الباحث فى التعليق على الأحداث ومناقشة الآراء والبحث عن العلل والأسباب وراء الأحداث ففى هذا تظهر شخصية الباحث وكفاءته وقدرته على مناقشة الآراء المختلفـــة ٠ والرجوع بالأحداث الى أسبابها وعللها الصحيحة ٠

فالقاعدة كما يقول الفيلسوف الفرنسى تين H. Taine « بعد جمع الوقائع ـ ابحث من العلة أو السبب » (١) ٠

---

(١) كاسيرر ، أرنست : مرجع سابق ص ٤٥ ٠

وفى حالة الاقتباس من مصدر اجنبى تترجم الفقرة المأخوذة الى اللغة العربية السليمة ويشار فى الهامش الى مصدرها (١) .

واذا وجد الباحث انه بحاجة لايراد الفقرة المأخوذة بلغتها الأصلية لسبب علمى - يمكن أن يوردها أيضا فى الهامش بعد ترجمتها فى المتن للغة العربية - لغة البحث .

ويجب أن يضع الباحث فى ذهنه أن القارىء لم يطلع على المصادر التى رجع هو اليها ، ولذا فعليه فى غرضه للحقائق أن يقدمها واضحة كاملة جلية مع أدلتها وبراهينها ومع الاشارة لأماكنها ليسر لمن أراد الرجوع اليها مهمتــه .

وعند كتابة الأعلام (أى اسماء الأشخاص أو الأماكن .. الخ ..) الأجنبية تكتب باللغة العربية حسب نطقها فى لغتها ثم بين قوسين باللغــة الأجنبية . وذلك لضمان سلامة نطقها ، وذلك على الأقل فى أول مرة يذكر فيها العلم فى البحث .

وعلى الباحث أن يراعى انه عند ذكر مكان أو موضع او واقعة جديدة أو علم من الأعلام أو غير ذلك مما يبدو غامضا وفى حاجة الى تفسير لأول مرة أن يشير فى الهامش اليه ، كأن يرجع القارىء الى رقم الخريطة - فى البحث - التى عين عليها الموقع أو يعطى شرحا أو تفسيرا لشىء غامض لا يريد أن يحدث بلبلة بتوضيحه فى المتن فيشرحه فى الهامش ، أو يعرف بالشخصية التى ذكرها لأول مرة .

ثالثا - الهوامش : (٢)

تكتب الهوامش فى أسفل صفحات البحث بعد أن يضع الباحث سطرا قصيرا أسفل الصفحة ، ويعمل حساب عدد سطور الهامش .

---

(١) الهوامش : جمع هامش وهى ترجمة لكلمة Foot note أما الحواشى - فهى جمع حاشية وهى ترجمة لتعبير Marginal Note وتعنى الاضافات والتفسيرات التى تظهر فى الفراغ على جانبى الصفحة .

(٢) يشرح د. روزنتال فرانتز - أهمية الهوامش بتفصيل ويميز بينهـا وبين الحواشى - انظر :

روزنتال فرانتز : مرجع سابق ص-ص ١٠٩ ، ١١١ ، ١١١ .

والبعض يجمع هوامش كل فصل على حدة فى نهاية الفصل ، والطريقة الأولى مفضلة لأنه أيسر على القارىء تتبع الهامش الموجود فى نفس الصفحة من الرجوع بين حين وآخر لنهاية الفصل ٠

والهامش لا يقل اهمية عن صلب البحث بل انه الدليل على الجهد الذى بذله الباحث ، وعلى مدى اعتماده على المصادر والمراجع وتدعيم بحثه بها ٠

وللهوامش وظائف متعددة يجب أن يعيها الباحث تماما منها :

١ ـ الاشارة الى المصادر التى استقى منها الباحث مادته فى الفصل الذى يكتبه ٠

يوضع الرقم فى المتن فى نهاية الفقرة المراد الاشارة الى مصدرها فى الحاشية ٠

ويحسن أن نبدأ بعد ذلك فى المتن فقرة جديدة من أول سطر جديد ـ وتراعى فى كتابة المصادر والمراجع فى الحاشية الأمور الآتية :

(أ) يكتب رقم الحاشية ، ثم يذكر اسم المؤلف أولا ، وبعده نقطتان افقيتان ، ثم اسم الكتاب ورقم الجزء وأرقام الصفحات ٠

(ب) ترقم الحاشية كلها بأرقام عربية من جهة اليمين حتى اذا كان المرجع أو المصدر أجنبيا حتى لا يضطرب الأمر فى الصفحة الواحدة ٠

(جـ) يلجأ البعض لترقيم حواشى الفصل الواحد كلها أرقاما مسلسلة ـ لكن الأفضل أن نبدأ برقم جديد فى كل صفحة منعا لأى خطأ قد يربك ترقيم الفصل كله ، خاصة اذا كنا سنلتزم بايراد الحاشية فى اسفل كل صفحة وليس فى نهاية الفصل كله ٠

(د) نحرص فى المراجع ـ أن نذكر اسم الشهرة (العائلة (Family Name للمؤلف أولا ، ثم اسمه الخاص ، وقد يكتفى بذكر الحروف الأولى من اسم المؤلف ٠

(هـ) وبالطبع يذكر اسم المرجع باللغة التى استخدمه بها الباحث ٠

فاذا كان قد استخدم ترجمة باللغة العربية مثلا لكتاب يكتب بيانات الحاشية باللغة العربية ويشار الى أن الكتاب مترجم ، ويذكر اسم المترجم ومكان نشر الترجمة وسنة الطبع ٠

(و) اذا كان المصدر عبارة عن مخطوط يذكر ذلك بين قوسين بعد اسم المصدر - ولنضرب بعض الأمثلة لذلك :

(١) المقريزى ، تقى الدين : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار جـ ١ ص ٢٠ ٠

(٢) العينى ، بدر الدين محمود : عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان (مخطوط) جـ ١ ص ٦٠ ٠

(٣) Baker, S., Albert Nyanza and the Great Basin of the Nile Vol. 1 p.p. 20-25

(ز) والبعض يرى أنه ليس من الضرورى أن يذكر اسم المؤلف ، واسم المصدر بالكامل ، طالما أن الاشارة تدل بوضوح ودون لبس عليهما . على أن يذكر المؤلف والمصدر كاملين فيما بعد فى مكتبة البحث ٠

ولا بأس من ذلك - فيشار للمراجع السابقة الذكر فى الحاشية هكذا :

(١) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢٠

(٢) العينى : عقد الجمان (مخطوط) جـ ١ ص ٦

(٣) Baker: Albert Nyanza, Vol. p.p. 20-25.

---

(١) Ibid اختصار لكلمة Ibiden وتعنى نفس الكتاب أو المرجع ٠

(ح) اذا تكرر ذكر نفس المرجع فى الهامش مباشرة يكتفى بالاشارة الى المؤلف ويكتب هكذا :

المقريزى : نفس المرجع والجزء ص ٢٠

- وفى حالة المرجع الأفرنجى يشار اليه هكذا : (١) Ibid. P.

لكن اذا تكرر ذكر المرجع فى نفس الصفحة بعد مراجع أخرى أو حين يتكرر ذكره فى صفحات تالية يشار اليه هكذا :

المقريزى : مرجع سابق ص ٢٠ .

- وفى حالة المرجع الافرنجى نذكر اسم المؤلف وبعـــد وبعد الرمز (٢) Op. Cit.

ثم رقم الصفحة - مثلا :

Baker : Op. Cit. p. 30.

(ط) واذا كان للمؤلف الواحد اكثر من كتاب مستخدم فى البحث فلابد من الاشارة فى كل مرة الى اسم الكتاب المستخدم تميزا له

٢ - أما الاستخدام الثانى للهوامش فيكون للاشارة لحوادث ممـــاثلة لما فى المتن - ويخشى اذا وضع فى صلب البحث - أن يفسد الترتيب الزمنى للاحداث .

٣ - كذلك تستخدم الحاشية للاشارة الى رقم الخريطة بملحق البحث. لتوضيح بعض البلدان أو للاشارة لجدول أو صورة أو غير ذلك فيقـــال مثلا : (١) انظر الخريطة رقم ٢ بملحق البحث .

٤ - كذلك يستخدم الهامش لشرح أو توضيح معنى اصطلاح أو تعبير وجـد الباحث أنه لا يصح وضعه فى المتن .

---

(٢) p. cit. تعبير لاتينى Opere Citato ويعنى المرجع المذكور سابقا .

٥ ـ كذلك يستخدم الهامش للاشارة الى أن قضية عولجت فى مكان آخر فى البحث ـ وذلك لكى يتجنب الباحث التكرار ٠

٦ ـ وقد يستخدم الهامش لتصويب لفظ ورد فى الأصـــل وحرص الباحث أن يذكره فى المتن بنصه لكن يشير لصحته فى الحاشية ٠

وهكذا يستخدم الهامش لذكر تفاصيل واشارات وتوضيحات ، وللاحالة على مصادر أو مراجع أخرى فى البحث ٠

وتظهر فى الهوامش مهارة الباحث ودقته من حيث الحرص على الاشارة لمصادر معلوماته ومراجعه ، كذلك قدرته على توضيح وشرح كل جديد فى بحثه أو ربطه بالأحداث السابقة أو المماثلة دون أن يفسد الترتيب الزمنى لأحداث البحث أو يضع فى صلب البحث ما ليس متصلا به اتصالا كاملا ومباشرا ودون أن يحدث اضطرابا فى تسلسل الأفكار التى تناولها ٠

رابعا ـ خاتمة البحث :

تختلف الخاتمة عن المقدمة ، كما تختلف عن التمهيد ٠

ففى الخاتمة يجمل الباحث النتائج المتعددة التى وصل اليها بعد كل هذا الجهد ٠

يجملها فى ايجاز دون الدخول فى تفاصيل ٠ ولا يجب بحال ما أن يناقش الباحث فى الخاتمة قضية جديدة ـ فمجال مثل هذه القضـــايا والمشاكل البحث نفسه بفصوله المتعددة وليس الخاتمة ٠

ولذا تقتصر مهمة الخاتمة على ابراز النتائج التى توصل اليها الباحث، والاضافات الجديدة التى أضافها لمعلوماتنا السابقة وما صححه من أراء متداولة ٠

ولذا لا تتعدى الخاتمة عادة بضعة صفحات ٠

لكن لها أهميتها بلا شك فهى تمثل خلاصة النتائج التى توصل اليهـــا البـــاحث

وقد يشير فيها - الباحث - فى النهاية الى القضايا الأخرى التى لم يصل فيها لنتيجة حاسمة أو الى المرحلة التالية التى ستكون موضع بحث آخر له فى المستقبل .

خامسا - ملاحق البحث :

أ - قد يكون لدى الباحث من الوثائق الأصلية غير المنشورة ما يريد أن يلحقه ببحثه ، أو قد تكون بعض الوثائق قد نشرت لكن فى كتاب يصعب حصول الباحث عليه .

واذا كانت الوثائق التى سينشرها الباحث كثيرة بحيث يصبح حجم الرسالة غير معقول - يحسن أن يكون الملحق مستقلا بذاته - الا اذا اقتصر الباحث على نشر مختارات فقط من الأصول التاريخية التى رجع اليها .

والوثيقة تنشر عادة بلغتها بل وبأخطائها اللغوية - ان وجدت .

لكن يحسن أن يكون هناك بيان (فهرس) بالوثائق مع شرح وتعليق على كل منها باللغة العربية المنشورة بها الرسالة - وكذلك تفسير لما غمض من كلمات أو عبارات الوثائق فى الهامش - حتى لا يقتصر مجهود الباحث فى هذه الوثائق على مجرد النقل دون اضافة جديدة تدل على فهمه للوثيقة ومحتوياتها ، وانه استخدمها فعلا لخدمة البحث ولذا يجب أن يعطى فى سطور قليلة فكرة عن مضمون الوثيقة . وذلك اما فى فهرس الوثائق أو فى مقدمة كل وثيقة .

وقد يشير الباحث للوثائق الأخرى المنشورة فى كتب أخرى معروفة اذا كان قد استخدمها فى بحثه ولا يريد تكرار نشرها - على أن يشير الى اسم مؤلف الكتاب وسنة الطبع ورقم الصفحة الواردة فيها الوثيقة - ولا بأس أيضا من أن يورد شرحا لهذه الوثائق كما فعل فى الوثائق غير المنشورة .

٢ - وقد تشتمل ملاحق البحث على الخرائط التى تخدم البحث وتوضح الأماكن أو المواقع الهامة .

والبعض يفضل أن تكون كل خريطة فى مكانها مع الفصل الذى تخدمه

بينما يرى البعض أن تكون الخرائط كلها فى ملحق البحث خاصة اذا كانت الخريطة الواحدة تخدم أكثر من فصل واحد ، وانه لذلك مضطر للاشارة اليها فى الحاشية باستمرار ٠

وفيما يتعلق بالخرائط فهى ضرورية وهامة فى كثير من البحوث حيث تتعدد المدن والمواقع وغير ذلك فلا يجب ان يشير الباحث للمدينة أو الموقع ويترك للقارىء أن يبحث هو عنها فى الأطالس وغيرها ، فهذا جزء من عمله هـو ٠

والخرائط يحسن أن تكون بحجم مناسب يسهل الاستفادة منها ، ويذكر مصدرها والصفحة ، وضعها فى ذلك كوضع الحاشية بالضبط ويشار ان كان الباحث قد نقلها كما هى أم أجرى عليها تعديلا ٠

ويحسن أن ترسم الخرائط كلها بحجم واحد وان تكتب بياناتها بخط واضح وأن يقوم بذلك مختصون ، وتكون مهمة الباحث توضيح البيانات التى يريدها على الخريطة ٠

ولكل خريطة عنوان يوضح مدلولها ودليل يشرح بياناتها ٠

والخريطة لابد أن تخدم البحث ، فيجب الا يكون الأمر مجرد اضافات لا مبرر لها للبحث ٠

٣ ـ قد يرى الباحث أن يلحق ببحثه دراسة لشخصية أو لشخصيات وردت فى البحث ولعبت دورا هاما فى الأحداث ٠

٤ ـ وقد يجد الباحث أن يلحق ببحثه بعض البيانات الأخرى التى يرى أنها تخدم البحث ، وأنه يهمه أن يضعها فى متناول القارىء مما لا يجب أن يحتويه المتن نفسه ٠

سادسا ـ مكتبة البحث (المصادر والمراجع) :

تشتمل على قائمة تفصيلية بالأصول والمصادر والمراجع والدوريات التى رجع اليهـا الباحث ٠

وقد يقدم الباحث لمكتبة البحث بشرح يوضح فيه قيمة الأصول والمراجع بالنسبة لبحثه ـ وكيف استفاد من كل ـ هذا اذا لم يكن قد قام بذلك فى مقدمة البحث ذاته • فقد ذكرنا أنه مطالب بأن يوضح لماذا اختار الكتابة فى هذا الموضوع بالذات وقد يؤدى هذا لأن يتعرض للمصادر التى وضع يده عليها ولبعض المراجع التى عالجت الموضوع وقد يشير الى بعض وجهات النظر المختلفة فى هذه المراجع •

وعادة لا يستطيع الباحث أن يحلل كل المراجع المستخدمة لكنه يكتفى بتحليل وتقييم اكثرها اهمية واستخداما بالنسبة للبحث •

ويراعى أن مكتبة البحث تنقسم الى أقسام وتنظم محتويات كل قسم فيما بينها •

وعادة يتبع التقسيم الآتى :

١ ـ وثائق غير منشورة :

نذكر بياناتها التفصيلية مشتملة على :

أ ـ مكان الوثيقة •

ب ـ أرقامها •

جـ ـ تاريخها •

وتنظم فيما بينها ـ اما فى مجموعات ، أو تاريخيا ، أو حسب أماكنها والباحث يستطيع بفطنته أن يجد النظام الأمثل لترتيبها •

ولعل بعض هذه الوثائق وردت كاملة فى ملحق البحث ، لكن هذا لايعنى أن نهمل ذكرها فى مكتبة البحث •

فلابد أن تشتمل مكتبة البحث على بيان تفصيلى بكل ما استخدم فى البحث ـ مع ما يرشد للوصول الى هذا المصدر لمن شاء الاطلاع عليه •

٢ ـ وثائق منشورة :

تذكر المراجع التى نشرت فيها الوثيقة ، وسنة الطبع ، والصفحة وعدد المجلدات وغير ذلك من البيانات التوضيحية ٠

وترتب فيما بينها ترتيبا زمنيا أو حسب أماكن نشرها أو فى مجموعات حسبما يرى الباحث مناسبا ٠

٣ ـ المراجع العربية والمصرية :

يذكر اسم المؤلف أولا (اسم الشهرة ـ أو العائلة (Family Name) . ثم بقية الاسم وبعده نقطتان أفقيتان ، ثم اسم الكتاب كاملا ، وبيان الأجزاء المستخدمة ٠

واذا كان المرجع المستخدم مترجما يشار للمترجم ، أمثلة لذلك :

ـ الدورى ، عبد العزيز : بحث في نشأة علم التاريخ عند العـــــرب (بيروت ١٩٦٠)

ـ انجلز . فردريك : التفسير الاشتراكى للتاريخ ٠
(ترجمة راشد البراوى ـ القاهرة ١٩٤٧) ٠

وترتب المراجع أبجديا بحسب أسماء المؤلفين ، وتستبعد عند الترتيب أداة التعريف (ال) ٠

ونحرص هنا فى مكتبة البحث على أن نكتب أسماء المؤلفين ، والكتب والبيانات عنها كاملة ٠

وبالطبع السنة التى يشار اليها هى سنة الطبعة المستخدمة فعلا فى البحث ٠

٤ — مراجع أوروبية :

يراعى فيها نفس الملاحظات السالفة الذكر من حيث كتابة اسم المؤلف (اسم الشهرة أو العائلة) ثم بقية الاسم كاملا أو مجرد رموز . فاسم الكتاب والأجزاء المستخدمة منه ·

وترتب فيما بينها أبجديا حسب أسماء الشهرة للمؤلفين مثل :

Collingwood, R.G.: The Idea of History (Oxford, 1946)

٥ — الدوريات :

يقصد بها المجلات التى تصدرها الجمعيات ، والهيئات العلمية المتخصصة والجامعات بمختلف اللغات ، والتى تنشر فيها آخر الأبحاث وأحدثها ، وهى — كما أشرنا من قبل — لها أهمية خاصة لانتظام صدورها مما ييسر نشر أحدث الأبحاث بها (١) ·

ويمكن أن تقسم الدوريات الى :

(أ) دوريات تصدر باللغة العربية ·
(ب) دوريات تصدر باللغات الأوروبية ·

ويذكر اسم كاتب المقال بنفس الطريقة السالفة ، ثم عنوان المقال ، واسم الدورية ، والعدد ، وتاريخ صدوره — مثال ذلك :

— صفوت ، محمد مصطفى : التاريخ أهميته وطرق تدريسه ·
(مجلة العلوم — القاهرة — ١٩٤٢)

Moughtar, M.: Notes sur les pays he Harar (Bull. Soc. Kh. Georg. Ser. I No. II — 1876).

ولا يجب أن يقع الباحث فى خطأ ذكر أسماء الدوريات واعدادها دون

---

(١) ارجع لما ذكرناه عن أهميتها فى الفصل السابع الخاص بالمصادر والمراجع عند الحديث عن المكتبات ودور الكتب ·· الخ ·

اتباع الطريقة السالفة من ذكر اسم الكاتب وعنوان المقال ، ثم عنوان الدورية ورقم العدد وتاريخ صدوره ٠

فأهمية المقال ترجع عادة للكاتب نفسه قبل الدورية التى نشرته ـ هذا بالاضافة الى عنوان البحث نفسه وموضوعه ٠

سابعا ـ فهرس الأعلام :

تشتمل بعض البحوث على العديد من الأعلام (الاشخاص أو الأماكن) التى يرد ذكرها فى أماكن متفرقة من البحث ٠

ولذا يلجأ البعض الى عمل فهرس أبجدى لهذه الأعلام يوضح فيه الأماكن المختلفة من البحث التى ورد فيه ذكر كل منها ليتيسر للقارىء مهمة الرجوع لهذه الاعلام فى أماكنها المتعددة ٠ ويطمئن هذا الباحث على أنه أعطى تعريفا بالعلم عند ذكره لأول مرة ٠

ثامنا ـ فهرس البحث (المحتويات) :

قد يكون الفهرس فى أول البحث بعد الورقة الأولى التى تشتمل على اسم البحث ، وعنوانه ، واسم الباحث والدرجة الجامعية المتقدم لنيلها ٠

وقد يأتى الفهرس فى نهاية البحث ٠

ويجب أن يكون الفهرس مفصلا فيشتمل ليس فقط على الاشارة للمقدمة، وأقسام البحث ، وعناوين الفصول والملاحق ومكتبة البحث ، بل أيضا على المحتويات التفصيلية لكل فصل ـ كما ذكرت فى مقدمة الفصل ٠ وليس هذا تكرار لا مبرر له ، فاذا كان ذكر محتويات الفصل فى بداية كل فصل يعطى القارىء قبل أن يقرأ الفصل فكرة واضحة عما اشتمل عليه الفصل ـ فان ذكر ذلك فى نهاية البحث له أيضا عدة فوائد ، فهو دليل للبحث ، ويعطى للباحث فرصة أخيرة ليتحكم بنفسه على مدى الترابط والتسلسل بين المواضيع المتعددة التى عالجها فى بحثه ، وييسر للقارىء مهمة العثور على نقطة معينة يريد الرجوع اليها ومعرفة كيف عولجت ٠٠ ...

تاسعا ـ ملخص البحث :

يطلب من الباحث أن يقدم ملخصا للبحث باللغة العربية وترجمة له بلغة أجنبية .. يختارها هو .

وذلك فيما لا يتجاوز عددا محدودا جدا من الصفحات . وبالطبع لايمكن أن نتطلب من الباحث أن يقدم فى هذه الصفحات المحدودة بيانا تفصيليا عن كل الجهد الذى بذله .

لكنه على الأقل يعطى لمحة سريعة عن الموضوع الذى تناوله وعن بعض المصادر التى رجع اليها ، والنتائج الهامة التى اسفر عنها البحث ..

وتسترشد بعض الجامعات بهذا الملخص عند نشر بيان توضـيحى بالرسائل التى أجازتها .

كما أن العادة جرت على أن يطلب من الباحث أن يقدم ملخصا لبحثه وجهده والنتائج التى انتهى اليها وذلك فى جلسة علنية يناقش فيها البحث من اللجنة الثلاثية (ومنها المشرف) التى تحددها الجامعة لذلك .

ولو استطاع الباحث أن يقدم هذا العرض السريع لبحثه وجهده .

بالاستعانة ببض النقاط المرشدة فقط دون أن يتلو الملخص تلاوة ـ فان ذلك بلا شك يكون أوقع ، وأكثر تأثيرا على السامعين وفيه دلالة على المامه بموضوع بحثه وثقته بنفسه .

وهكذا يمكن فى ضوء ما سبق أن نحدد عمل الباحث فيما يلى :

١ . عليه أن يستخرج من الوثائق كل المعلومات التى تخدم بحثه .

٢ ـ عليه أن يضم هذه المعلومات التى قدمتها الوثائق الجزيئية بعضها ـ الى بعض ـ ويصنفها تبعا لمبدأ تصنيف معين .

٣ ــ أن يضعها جميعا فى اطار عام ، تدخل فيه كل هذه الوقـــائع قدر المستطاع حتى تتكون صورة واضحة للعصر التاريخى او للموضوع الذى يعالجه ٠

٤ ــ يملأ الثغرات فى داخل هذا الاطار ويملأ كل فراغ بين تسلسل الأحداث حتى يطرد سير التاريخ ويكون متصل الأجزاء ٠

٥ ــ يقوم بوضع الصيغ العامة حتى تصبح حقائق معقولة قابلة لأن تدون فى صورة تاريخية ٠

٦ ــ عرض الأحداث وفقا للصيغ التى اختارها وترتيبها بحيث يمكن أن تنقل للاخرين ٠

خاتمـــة

هذه بعض المعالم فى طريق البحث التاريخى الشاق ـ نضعها أمـام الباحثين والدارسين بعد خبرة طويلة فى هذا الميدان على أمل أن يهتدوا بها فى سعيهم نحو الوصول لهدفهم المنشود ·

وقد يبدو الأمر فى الصورة التى فصلناها صعبا شاقا ـ وهو كذلك ـ لكن من سار على الدرب وصل ··

ولعل ما يشعر به الباحث وهو يحاول أن يجد للأحداث عللا وأسبابا يقتنع بها العقل وتساير المنطق ، بالاضافة الى ما يخرج به من دروس فيـه شىء من التعويض عن هذا الجهد المضنى ·

ان الباحث لا يبغى مقابل ما يبذله من جهد وعرق ـ عوضا ماديا ـ فالعلم والمعرفة هما أبخس سلعة فى عالم الماديات الذى نعيش فيه ·

لكن لا شك فى أنه يحس بمتعة ما بعدها متعة وهو يحاول أن يكشف بعض الغموض الذى يحيط بحياة الانسان وتصرفاته فى هذه الحياة وعلاقاته ببنى جنسه والدوافع التى تكمن وراء هذه النظريات وما يترتب عليها من نتائج ·

وقد لا يستطيع الباحث أن يطبق المنهج الذى شرحناه بالدقة المطلوبة ـ لكن المحاولة والسعى كفيلان بأن ينجح فى تحقيق ذلك بالتدريج ·

ومهمة الأستاذ المشرف أن يمسك بيد الباحث وهو يخطو خطوة أثر خطوة نحـو الهدف المنشود ·

والله الموفق

مكتبة البحث

(المصـــادر والمراجـــع)

اولا ـ مصادر ومراجع عربية أو مصرية :

١ ـ **اسماعيل ، الامام ، ابو الفداء بن كثير القرشي الدمشقي :**
تفسير القرآن العظيم (بيروت ١٩٨٠) .

٢ ـ **أمين ، أحمـد :**
فجـر الاسلام جـ ١ (القاهرة ١٩٢٨) .

٣ ـ **امين ، أحمـد :**
ضحى الاسلام جـ ٢ ، جـ ٣ (القاهرة ١٩٣٨

٤ ـ **انجلز ، فردريك :**
التفسير الاشتراكي للتاريخ (ترجمة راشد البراوى ـ القاهـــرة ١٩٤٧) .

٥ ـ **انجلو وسينوبوس :**
المدخل الى الدراسات التاريخية (ترجمة عبد الرحمن بدوى ـ نشرت ضمن مجموعة بعنوان النقد التاريخي ـ القاهرة ١٩٦٣) (١) .

٦ ـ **بدوى ، عبد الرحمن :**
مناهج البحث العلمي (القاهرة ١٩٦٨) .

٧ ـ **بدوى ، عبد الرحمن :**
مؤلفات ابن خلدون (القاهرة ١٩٦٢) .

٨ ـ **البـــلاذرى :**
انساب الاشراف جـ ٥ (١٩٤٠) .

---

(١) ترجم د . عبد الرحمن بدوى ثلاث كتب .

٩ ـ بوويير ، كـارل :
عقم الذهب التاريخي (ترجمة عبد الحميد صبره ـ اسـكندرية ١٩٥٩) ٠

١٠ ـ الجمـل ، شـوقي :
تاريخ كشف افريقيا واستعمارها (القاهرة ١٩٥٩) ٠

١١ ـ حزين ، سـليمان :
صفحات من تاريخ الاستعمار (د٠ ت)

١٢ ـ حسن ، علي ابراهيم :
استخدام المصادر وطـرق البحث في التـاريخ المصري الوسيط (القاهرة ١٩٤٩)

١٣ ـ حسن ، محمد عبد الغني :
علم التاريخ عند العرب (القاهرة ١٩٦١)٠

١٤ ـ خفاجه ، محمد عبد المنعم :
قصة الأدب في الأندلس (بيروت ١٩٦٢) ٠

١٥ ـ ابن خلدون :
مقدمة ابن خلدون لكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان (بيروت ١٨٧٩)

١٦ ـ ابن خلكـان :
وفيات الأعيـان ، جزءان (القاهرة ١٢٩٩ هـ) ٠

١٧ ـ خليفة ، حاجي :
كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون جزءان (استامبول ١٩٤١، ١٩٤٣) ٠

١٨ ـ الدوري ، عبد العزيز :
بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب (بيروت ١٩٦٠)

١٩ ـ الذهبى :
تراجم رجال روى عنهم محمد بن اسحق (ليدن ١٨٩٠) .

٢٠ ـ رستم ، أسد :
مصطلح التاريخ (بيروت ١٩٣٩)

٢١ ـ روزنتال ، فرانتز :
مناهج العلماء المسلمين فى البحث العلمى (ترجمة د. أنيس فرنجة، مراجعة وليد عرفات ـ بيروت ١٩٦١) .

٢٢ ـ زريق ، قسطنطين :
نحن والتاريخ (بيروت ١٩٥٩) .

٢٣ ـ ابو زيد ، حكمت :
التاريخ ، تعليمه وتعلمه حتى نهاية القرن التاسع عشر (القاهرة ١٩٦١) .

٢٤ ـ سارتون ، جورج :
تاريخ العلم (ترجمة لفيف من العلماء باشراف الدكاترة بيومى مدكور، كامل حسين ، قسطنطين زريق ، مصطفى زيادة) ج ١ (القاهرة ١٩٥٧) .

٢٥ ـ السخاوى ، محمد بن عبد الرحمن :
الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (دمشق ١٣٤٩ هـ) .

٢٦ ـ شلبى ، احمد :
كيف تكتب بحثا أو رسالة (القاهرة ١٩٧٣)

٢٧ ـ الطبرى :
تاريخ الأمم والملوك (ليدن ١٨٨١) .

٢٨ ـ الطبرى :
المنتخب من كتاب ذيل المذيل (المطبعة الحسينية) .

٢٩ ـ عباس ، احسان :
تاريخ الأدب الأندلسى ، عصر سيادة قرطبة (بيروت. ١٩٦٠)

٣٠ ـ عبد الرحمن ، عائشة :
الاسرائيليات فى الغزو الفكرى (القاهرة ١٩٧٥)

٣١ ـ عثمان ، حسن :
منهج البحث التاريخى (القاهرة ١٩٦٥)

٣٢ ـ كار ا ، ا ٠ :
ما هو التاريخ (ترجمة احمد حمدى محمود ـ القاهرة ١٩٦٢)

٣٣ ـ كاسيرر ، ارنست :
فى المعرفة التاريخية (ترجمة احمد حمدى محمود ـ مراجعة على ادهم ، القاهرة د٠ت) ٠

٣٤ ـ الكاشف ، سيده اسماعيل :
مصادر التاريخ الاسلامى ومناهج البحث فيه (القاهرة ١٩٦٠)

٣٥ ـ كراوثر ، ج ٠ ج :
صلة العلم بالمجتمع (ترجمة حسن خطاب ـ مراجعة محمد مرسى احمد ، جـ ١ ـ القاهرة د٠ت)

٣٦ ـ الكلاعي ، الامام ابى الربيع سليمان بن موسى الاندلسى :
الاكتفاء فى مغازى رسول الله والثلاثة الخلفاء (تحقيق مصطفى عبد الواحد ـ جـ ١ ـ القاهرة ١٩٦٨) ٠

٣٧ ـ كنت ، امانويل : (١)
التاريخ العام (ترجمة عبد الرحمن بدوى ، ضمن مجموعة بعنوان النقد التاريخى ١٩٦٣) ٠

---

(١) كانت فيلسوف المانى ـ وقد نشرت أبحاثه هذه سنة ١٧٨٤ ٠

٣٨ ـ لوبون ، غوستاف :

فلسفة التاريخ (ترجمة عادل زعيتر ـ القاهرة ١٩٥٤) ٠

٣٩ ـ ماس ، بول :

نقد النص (ترجمة عبد الرحمن بدوى ـ ضمن مجموعة بعنـــوان النقد التاريخى ١٩٦٣) (١) ٠

٤٠ ـ مالك ، شارل وصرف ، فؤاد ونعمان شيست ونظيف ، مصـــطفى :

البحث العلمى فى العالم العربى (باشراف هيئة الدراسات العــربية فى الجامعة الامريكية ببيروت ـ بيروت ١٩٥٦) ٠

٤١ ـ المســـعودى :

مروج الذهب ومعادن الجوهر (القاهرة ١٣٠٣ هـ / ١٨٨٢ م)

٤٢ ـ نصار ، حسين :

نشأة التدوين التاريخى عند العرب (القاهرة ـ د٠ت)

٤٣ ـ هورنشــو :

علم التاريخ (ترجمة وكتب حواشيه وأضاف اليه فصلا عن التاريخ عند العرب ـ د٠ عبد الحميد العبداوى ، القاهرة ١٩٣٧) ٠

٤٤ ـ هورفتس يوسف :

المغازى الأولى ومؤلفوها (ترجمة حسين نصار ـ القاهرة ١٩٤٩) ٠

٤٥ ـ هونكه ، زيغريد :

شمس العرب تسطع على الغرب (نقله عن الالمانية فاروق بيضون ، كمال دسوقى ـ بيروت ١٩٦٤) ٠

---

(١) الكتاب الاصلى للبروفسير د ٠ بول ماس Prof. Paul Mass
نشر فى ليبزج Leipzig 1950 بعنوان نقد النص (Text Kritik)

٤٦ ـ ولسن ، و٠هـ :
مدخل لفلسفة التاريخ (ترجمة أحمد حمدى محمود ، القاهرة ١٩٦٠)

٤٧ ـ ياقــوت
معجم البلدان ١٨٦٦

٤٨ ـ ياقوت :
ارشاد الاريب (طبعة ليدن) .

ثانيا ــ مراجع بلغات أوربية :

1. Carr, E.H. : What is History (London 1961).
2. Clark, G.K. : Guide for Research Student Working on Historical Subjects (Cambridge, 1938).
3. Collingwood, R.G. : The Idea of History (Oxford, 1946).
4. Crump, C.G. : History & Historical Research (London, 1928).
5. Fling, F.M. : The Writing of History; An Introduction to Historical Method. (New Haven 1926).
6. Freeman, E.A. : The Methods of Historical Study (London, 1886).
7. Garrgham, G.J. A. Guide to Historical Method (Fordham 1951)
8. George, H.B. : The Relations of Geography and History (Oxford, 1924).
9. Gooach, G.P. : History and Historians in the Nineteenth Century.
10. Langlois, Ch. V. and Seignobos, Ch. : Introduction aux Etudes Historiques (Translated to English by Berry, G.B. — London 1912).
11. Oman, Ch. : On the Writing of History (London, 1939).
12. Popper, Karl, R. : The Poverty of Historcisim (London, 1937).
13. Renier, G.J. : History, Its Progress and Method (London, 1950)
14. Rowse, A.L. : The Use of History (London, 1946).
15. Semple, E. Ch.: Influencse of Geographic Environment (N.Y., 1911).
16. Taylor, H. : History as a Science (London, 1933).
17. Vincent, J. M. : Aids to Historical Research (N.Y. 1934).

ثالثا - دوريات :

١ - صفوت ، محمد مصطفى

التاريخ - أهميته وطرق تدريسه (مجلة العلوم - القاهرة - ١٩٤٢) .

٢ - عثمان ، حسن :

كيف يكتب التاريخ (مجلة الرسالة - ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٦ ، ٤٢٨ ، ٤٣٢ ، ٤٣٥ ، ٤٤٠ - القاهرة : أغسطس ، سبتمبر ، أكتوبر ، نوفمبر، ديسمبر ١٩٤١) .

الفهـــــرس

الجـزء الاول

علم التاريخ ـ نشأته وتطوره ووضعه بين العلوم الاخـرى

الموضـــوع | الصفحة

